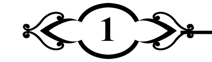
يوسف أبو شادى

الكوميديا الصهيوأميريكية

صدرت الطبعة الأولى فى يونيه 2019



بطاقة الكتاب

عنوان المؤلف	الكوميديا الصهيو أميريكية
المؤلف	يوسف أبو شادى
التصنيف	رواية
رقم الإيداع القانونى	11033 - 2019
الترقيم الدولى	978-977-6726-12-3
رقم الإصدار الداخلى	427 الطبعة الأولى يونيه 2019
عدد الصفحات	192 صفحة
المقاسات	20x14
تصميم الغلاف	مؤسسة النيل والفرات



إهــــداء

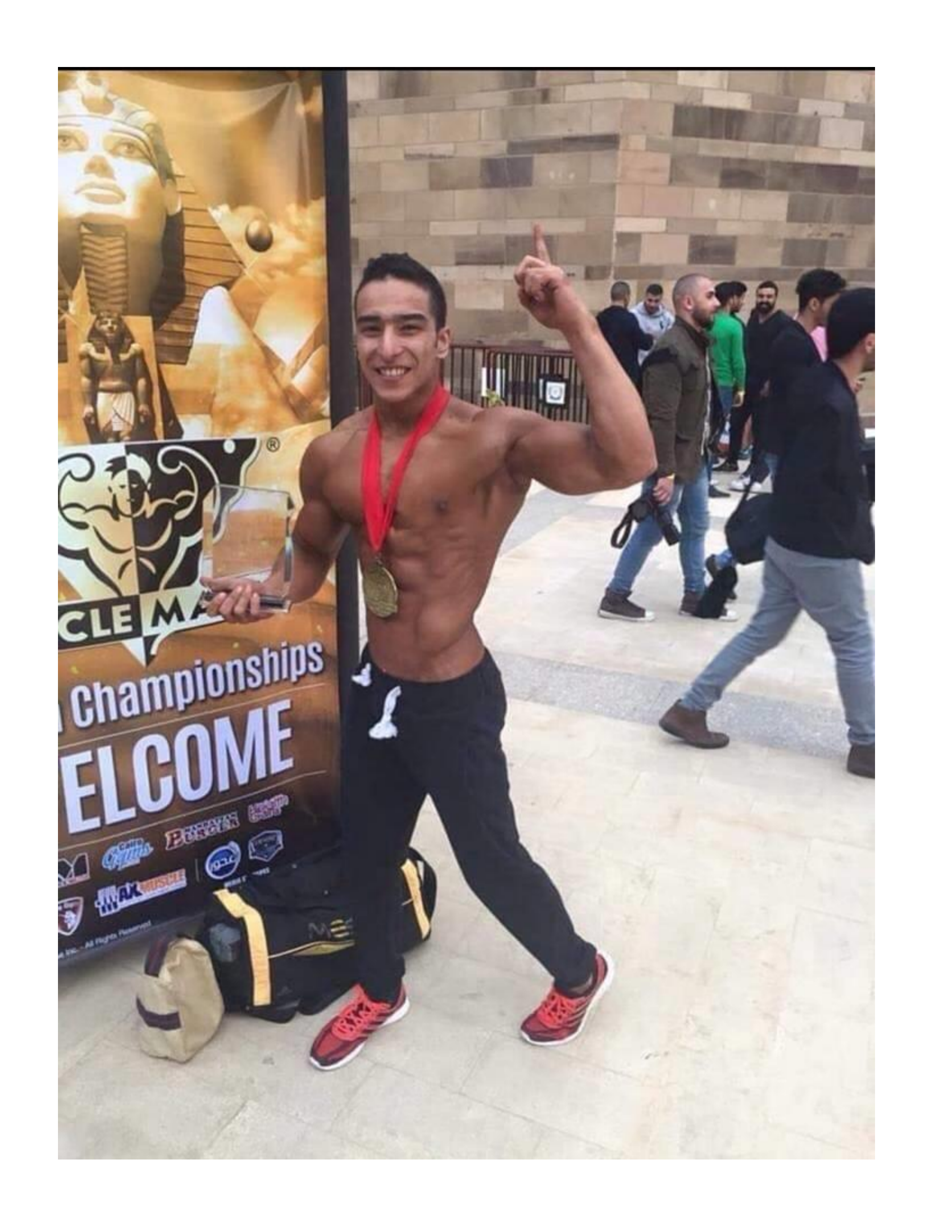
إهداء إلى روح ابنى وقرة عينى

شادى الحاصل على " بطولة العضلات النموذجية " عام 2015 بالقاهرة،

ومات قبل خوضه لمنافسات البطولة الثانية بأيام خارج مصر.

نسألكم الدعاء له بالرحمة والعفو وأن يدخله الله فسيح جناته.

يوسف أبو شادى


Championships

إن مع العسر يسرا

ما أروع الصداقة فى معانيها وقيمتها الإنسانية الرفيعة، وما أجملها فى حياة البشر وما أروع تأثيرها فيهم، وكم من قصص رائعة بعالمنا الشرقى الذى اتسم واستمسك دائما بالأصالة والتراث والموروثات من القيم الجميلة والجليلة، ولكم قرأنا من القصص الواقعية التى روت عن الصدق والوفاء والإخلاص ومشاركة الصديق صديقه فى الأفراح والأتراح والشدة والرخاء، بل ربما تقدم صديق ليفدى صديقه من المهالك، وإنه لمن المؤسف حقا أن نرى ظاهرة الصداقة الآن وهى تتوارى وتختفى رويدا رويدا خلف أنانيتنا وماديتنا ومعاركنا التى لا تهدأ ولا تستكين، إما مع الحياة التى أضحت أكثر صعوبة وقسوة ومادية، أو مع جيراننا ومن هم حولنا إشباعًا لأطماعنا وتحقيق طموحاتنا بأى ثمنٍ ندفعه نحن أو نجعل غيرنا يدفعه لنا وعنا، حتى إننا أصبحنا نجد من الصعوبة بمكان فى أيامنا أن نرى صديقًا يمد لنا يد العون معينا على شدةٍ أو أزمةٍ، ويبدو أن صعوبة ذلك لا يكمن فى اختفاء المشاعر الإنسانية والأخلاق الحميدة بقدر ما هو انشغالًا فى معاركنا الحياتية التى دائما ما نخوضها لمجرد فقط أن نبقى على قيد الحياة.

كان جارى وصديقى المهندس الشاب يتخذنى صديقًا وأخا أكبرًا له رغم فارق السن بيننا والذى يتعدى العشرين عاما، كان دائما يستنير برأيى وخبرتى الحياتية ويستعين بمشورتى فيما يتعلق بأمور حياته الاجتماعية والعملية وكل ما يعترضه من مشكلات اقتصادية واجتماعية بل ووطنية، وما أكثرها فى عصرنا، أما فى حالات استقرار أموره فقد كان دائما ما يزورنى لمناقشة الأمور والأحداث

السياسية الأقليمية منها والعالمية ودراسة تأثيراتها على أمتنا حيث كان يتمتع بوطنية ومسئولية طاغية مُتمنيا دوما أن يرى أمتنا وقد توحدت وتكاتفت فى مواجهة ما يحاك لها من مؤامرات، كنت دائما ما أراه ثائرا حينما يستمع ويشاهد لعدوانٍ إسرائيليٍ على غزة التى كان يسميها المدينة الباسلة البائسة، ثم يثور على أميريكا التى تدعم وتساند إسرائيل فى المحافل الدولية بل وتستعين بحق الفيتو فى إفشال أى قرارٍ يصدره مجلس الأمن ضدها حتى وإن كان مجرد تنديد بأفعالها فى فلسطين، والحقيقة أن مجلس الأمن فيما يتعلق بإسرائيل لا يملك سوى الشجب والتنديد مثله مثل جامعة الدول العربية، غير أن مجلس الأمن يستطيع إصدار قرارٍ فوريٍ باستعمال المادة السابعة من مواده التى تستعمل القوة لرفع الظلم عن الشعوب غير أنه لم يستعملها فى العقود الأخيرة إلا ضد العراق وليبيا كما كان يمكن استعماله ضد سوريا مؤخرا وما منعه من ذلك سوى حساسية الأمر على أرض سوريا التى ازدحمت بقوىً ودولٍ تستطيع إجهاض مثل تلك القرارات فى حال اتخاذها.

كان صديقى هذا قد توقف عن العمل نظرا لتوقف الشركة التى كان يعمل بها عن العمل عقب قيام الثورات التى أطلق عليها أوباما وأعوانه مسمى الربيع العربي، لم يكن صديقى المهندس الوحيد الذى لحقته لعنة البطالة بل امتدت إلى الملايين الذين أغلقت شركاتهم ومصانعهم ومؤسساتهم فى كافة الأنشطة الصناعية والتجارية والبنائية حتى كادت حركة الحياة أن تتوقف ببلادنا، ورغم أنى كنت من ألحقته للعمل بتلك الشركة التى كان يعمل بها قبل أن تتوقف أعمالها ومشاريعها إلا أننى قد فشلت فى معاونته لإيجاد عمل أخر حيث كان سوق العمل مغلقا تمامًا كما يقولون.

كانت علامات الاكتئاب والحزن والألم تعتلى وجوه الناس جميعا حزنًا وخوفًا على مصير بلادنا وجيوشنا، أولا: بسبب انتشار الفوضى والبلطجة بصورة مخيفة بل ومرعبة كنتيجةٍ طبيعيَّةٍ لانهيار مُؤسسات الدَّولة ونظامها بل وأخلاقياتها، وثانيا: لعجزهم عن تلبية احتياجاتهم من ملبسٍ ومأكل وما إلى ذلك من ضروريات الحياة، وكان صديقى واحدًا من هؤلاء النَّاس الَّذين اضطرهم يأسهم فى الحصول على حياة أفضل رغم كونه مهندسا، قد تجاوز الثلاثين من عمره ولم يتزوَّج بعد لعجزه عن القيام بأعباء الزَّواج الماليَّة فى الوقت الذى كان فيه مسئولا مسئولية كاملة فى الإنفاق على أسرته، ولهذا فهو لم ير طيلة حياته لون الليالى المسماة بالحمراء، لا حلالاً، ولا حراماً، حيث كان مُؤمنا مُلتزما تقيَّاً، لا يفعل ما يُغضب الله، وأظُنَّه قد قنع بلون لياليه السوداء عوضا عن الحمراء مثله مثل غالبية شبابنا،

فى ذات يومٍ من الأيام فوجئت بصديقى هذا يهاتفنى مُبتغيَّاً الاهتداء برأيى فَى أمر هام، فأبديت استعدادى لمعاونته بالرَّأى الصَّادق الأمين، حيث إنى لا أملك غير ذلك فى حينه، ولأن الإحساس بالقلق كان هو ما نتوقعه دائما فى تلك الأيام فقد طلبت منه أن يطمئننى بدايةً عن الأمر الَّذى يودُّ مشاورتى فيه فأجابنى بأنه وباختصار أمرٌ متعلقٌ بالسَّفر للعمل

بإحدى الدِّول الخليجية، وعلى الفور أبديت تأييدى ودعمى للفكرة بلا أى ترددٍ، فقد بدى ذلك لى فى حينها أنَّه الحلُّ الأوحد بل والسِّحرى أمام المصريين جميعا، وعندما زارنى كى يُطلعنى على التَّفاصيل قال:

- قابلنى اليوم أحد أصدقائى الحميمين والمقرَّبين إلى قلبى للغاية، وقد كان عائداً لتوه من إحدى الدِّول الخليجيِّة الغنيِّة ببترولها لقضاء إجازته بين أهله وأحبائه فدعانى لاحتساء القهوة معه بإحدى

المقاهى الراقية الشَّهيرة بوسط المدينة، وحين وصلنا وبعد أن احتلَّ كلٌّ منَّا مِقعده بادرنى بابتسامته الجميلة مُتسائلا:

- هل ستصدِّقنى صديقي الحبيب حين أقسم لك أنَّنى دائمًا ما أُفكِّر فيك وأنا بعملي بالخليج حتَّى تمنيت لو كنت تعمل إلى جوارى هناك؟
- بكلِّ تأكيدٍ أُصدِّقكَ جدًّا صديقى فأنا أيضا كثيرا ما يحدث لى ذلك، حتَّى إنَّنى دائم المرور على داركم للاطمئنان على أبويك وسؤالهما عمَّا إذا كانا فى حاجة لشيء أستطيع القيام به، ولعلك سألتهم وأجابوك بتأكيد ذلك.
- نعم صديقى، صدقت فهم لا ينتظروننى حين أزورهم فى زياراتى السَّنوية لأسألهم، بل يخبروننى بذلك فى رسائلهما إلىَّ، حتَّى إنَّنى ولعلمى أنك لم تتزوج بعد، أحضرت لك هديَّتى هذه المرة بدلة فرحك الَّذى أتمنى أن يكون قريبًا، ألم تتزوج بعد؟ أو على الأقل ألم تتقدم لخطبة فتاة ما؟
- يبدو أنك عدت لطبيعتك المزاحية صديقى، إذ كيف أُقدم على ذلك وأنت أكثر من يدرى بحالى وحال أسرتى التى لا زلت مسئولا عنها مسئولية كاملة؟.
- أعتقد صديقى أن لديك فرصة ذهبية الآن بجعبتى، ربَّما أرسلها الله تلبيةً لدعاء والديك.
- كيف؟
- أنت تعلم جيَّدًا أنى أعمل بدولة غنية بل ومن أغنى دول العالم وأكثرها رفاهية، كما أن الأعمال بها لا تتوقف فى كافة الأنشطة والأصعدة، وقد شاء القدر أن أعمل بشركة يمتلكها أمير المدينة الَّتى أنا فيها، وهو رجل كريمٌ، طيبٌ، هادئٌ، ستحبه كثيرا حين تراه، ومنذ شهرٍ تقريبًا تقدم السيد مُدير الشَّركة الفلسطينى باستقالته حيث منَّ الله ًعليه بالخير إذ قام بافتتاح شركةٍ خاصة به، وكان سموِّ الأمير كريمًا معه للغاية إذ قدم له التَّهانى، وتمنَّى له النَّجاح، بل وأكثر من



هذا، وعده بإسناد بعض الأعمال التى تقوم بها شركتنا دعمًا له فى بداية نشاطه.

- الحقيقة صديقى أنا سعيد للغاية أن أسمع ما تقوله عن ذلك الرجل، فقد بدا لى جميلًا بالأوصاف الَّتى خلعتها على سموِّه فى بداية كلامك عنه، فلكم سمعنا عن معاناة من نعرفهم ممَّن يعملون لديهم وعلى كفالتهم فى مثل هذه الحالات، وإنَّه لمن الصعوبة أن ينال أحدٌ هذه المعاملة الكريمة ممن يكفله هناك، وخاصة فيما يتعلق بأمر نقل الكفالة، إلا إن كان محظوظًا بالعمل مع مثل ذلك الرَّجل وأمثاله قليلون حتى اعتقد الناس أنهم أنقرضوا واختفوا من عالمنا.
- نعم صدقت، لكن الفلسطينيين يحظون بالرِّعاية دائما بتلك الدول تقديرا لمعاناتهم المريرة بقضيتهم التى لا يوجد مثيل لها الآن على ظهر كوكبنا الأرضى، فكم هو قاسٍ أن يُغتصب وطنًا ويُطرد منه أهله على مرأىً ومسمع من العالم أجمع.
- وما هى تلك الفرصة الذَّهبية الَّتى بجعبتك لى.
- حين تقدَّم ذلك الرَّجل باستقالته، دعانى سموِّ الأمير بديوانيته فأحسن ضيافتى، وبعد أن امتدحنى وعبر لى عن سعادته بأمانتى وإخلاصى بعملى، أخبرنى بأنَّه قد أوكل إلىَّ أمر إدارة الشركة حتَّى يتسنى له تعيين مدير يرى فيه أنَّه جدير بهذا المنصب، وهنا لا أعرف كيف رأيتك وكأنَّك جالسٌ أمامى، فشكرته أوَّلا على رضائه عنِّى، ثُمَّ سألته عما إذا ما كان يسمح لى بترشيح من يخلف ذلك المدير؟ وعندما سمح لى بذلك ذكرتك أمامه وأخبرته أنك تكبرنى بعدة أعوام، وأننى قد عملت معك بأحد المشاريع الكبرى الَّتى كنت أنت مديرا لها، والَّتى كنت أنت من منحنى فرصة العمل تحت إدارتك بتلك المشروع بعد أن قضيت عاما أبحث عن عمل ولم أنجح فى ذلك، ثُمَّ أفضت له فى ذكر مهاراتكَ الهندسيَّة والفنيَّة، والماليَّة والإداريَّة، وكذلك حسن خلقك وأمانتك، فلم يتردد فى قبول ترشيحى لك بل طلب منى أن أكون على

أهبة الاستعداد للسفر إلى القاهرة لمقابلتك وعرض الأمر عليك، فإن حظيت بموافقتك فسوف أبلغه هاتفيا حتى يتواصل بسفارتهم بالقاهرة من أجل منحك لفيزة العمل لديه، فانظر ماذا ترى فى هذه الفرصة صديقى العزيز.

- الحقيقة صديقى إنَّها فرصةٌ ذهبيةٌ حقا، أنت من سعيت لإهدائها إلىّ ولك جزيل الشُّكر والعرفان على هذا، وبالرغم من مجيئها بالوقت المناسب غير أنَّى لم أُجرِّب الابتعاد عن أبى وأمى، وأعتقد أن ابتعادى عنهما سيكون قاسياً على قلبى وكذلك على قلبيهما.
- لا تقلق صديقى فسوف يُرسل الله لهما من يعتنى بشؤنهما كما كان يُرسلك لوالدىَّ، كما أنَّنى أرى أن هذه الفرصة هى الحلُّ الأمثل بل الوحيد أمامك حتَّى تستطيع الزواج، وحتى تستطيع توفير حياة كريمة لوالديك ولمن ستتزوجها مستقبلا، وانتبه أن العمر قد بدأ يسرقك صديقى العزيز، ولهذا فقد أطلقت عليها فرصة ذهبية، وأرجو ألا تضيَّعها.
- حسنا صديقى أنا أؤمن بصدق وصحة رؤيتك، فلتمنحنى فرصة اليوم اناقش الأمر مع والدىَّ، وأعدك بإخبارك بقرارى غدا إن شاء الله تعالى.

قلت له:

- حسنا صديقى، كل ما سمعته جميل، بل رائعٍ جدا فلتتوكلٍ على الله مُستبشرا خيرا، فقد أسدى لك صديقك خدمةً جليلة ممزوجةً بمشاعر الحُبِّ والطِّيبة، وتأكد أن الله دائما ما يبارك فى الأعمال الَّتى تتمُّ بحبٍ خالصٍ لوجه الكريم، ولدىَّ أملٌ فى أن تُطمئنى دائما عن أحوالك كلَّما تسنَّى لكَ ذلك.

كان صديقى وصديقه قد سافرا بعد أيامٍ قليةٍ من حديثه معى، وفى اليوم التالى لسفره هاتفنى ليطمئننى ويًخبرنى بأنه وفور وصولهما توجَّها مباشرة لمقابلة سموِّ الأمير الَّذى قابلهما باسمًا مُرحبًا،

فتناقشوا بكافة الأمور المُتعلَّقة به، وبعمله وإقامته، ووعده بالدَّعم والمُساندة دائمًا، كما نبَّهه على ألا يتردَّد للحظة فى طرق بابه كلما احتاج إليه، وأخبره أيضا بأنه سيكون أحد أقطاب ضيوف ديوانيته على الغداء بعد صلاة الجمعة مباشرة بكلِّ أيام الجُمع، ولم يملك صديقى غير أن يتقدَّم بشكره لسموِّ الأمير على كرم المقابلة والضِّيافة، وعلى كرم خلقه، ثُمَّ تأبط ذراع صديقه وانصرفا وهو يقول: " *وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ* " . *صدق الله العظيم.*

صلاة الجمعة

استيقظ العرب صبيحة يوم الجُمعة كعادتهم فى كلِّ يوم جُمعة، بعد أن فرغوا من لياليهم الحمراء، وعادوا إلى مضاجعهم فى أمانٍ وسكينة حيث إنَّه لم يعد هناك ما يقلقهم ولا يقضُّ مضاجعهم الوثيرةً، فقد اتفقوا على دعمهم للفلسطينيين بالقدر الَّذى يُبقيهم على قيد الحياة ويبعدهم عن شبح الموت جوعًا حامدين ربَّهم أنَّه لم يعد متشبثا بالبقاء فى وطنه سوى الكثيرين من المساكين والفقراء الَّذين هم دائما الأكثر حُبًّا للوطن فى كلِّ الأُمم، أمَّا باقى الفلسطينيين فمنهم من هاجر أو هُجِّر مجبرا إلى أميريكا الشَّمالية، والجنوبية، وما بينهما آملين فى حياة أكثر استقرارًا وأمنًا ورغدًا، ومنهم من استبعد أميريكا فهاجر إلى أوروبا حتَّى يكون أقرب العائدين لأرض الوطن عند تحريره من براثن اليهود المغتصبين، ومنهم من هاجر إلى الدول النفطيَّة الغنيَّة والنَّاشئة، فكان منهم من عمل مديرًا لأعمال رجلٍ هناك، وما أكثر رجال الأعمال العرب الَّذين تتجاوز ثرواتهم ثروة بيل جيتس وأوناسيس، ومنهم أيضا، وأقصد هنا الفلسطينيين من أدار متجرًا مُتواضعًا ثُمَّ تطور بعمله وتجارته حتَّى افتتح شركة كبرى، فغدى قانعًا هانئًا بما أتاه الله من فضله ونِعمه، كما أن منهم من لجأ للدول المجاورة الفقيرة ليكون أكثرهم حظًّا فى سرعة العودة لوطنه عند استرداده بمشيئة الله.

بعد أن انتهى العرب من تناول فطورهم الفاخر بدأوا يتبادلون أحاديث الفخر بفحولتهم ورجولتهم الطاغية فتحدثوا عن تفاصيل ليلتهم السابقة، والتى كانت حمراءً لكن بحمرة تختلف عن الحمرة

التى لوَّنت أوجه بعض البلدان العربية حيث سالت دماء الإخوان على أراضيها بيد إخوانهم من الجماعات الجهاديَّة التَّكفيريَّة وما أكثرها فى بلداننا، فى حين استقرت قادتها، وكوادرها العليا بأوروبا وأميريكا، ولأنهم معلومين جيدا لإجهزة مخابرات تلك الدول فقد نشأ بينهم وبين تلك الأجهزة المخابراتيَّة نوعًا من الألفة والحميمية والتعاون فيما بينهم لتحقيق مصالحهم المشتركة واستراجياتهم حتى وصلت العلاقات بينهم إلى تبادل المصالح والتَّعاون على تحقيق الأهداف التى تعنى كلٌّ منهما، بيد أن بعض تلك الجماعات تكون فاعلةً فى بعض البلدان، وبدون فعالية قتالية فى البلدان التى توفر لها الدعم والمأوى، ومنها أيضا الخلايا النائمةً أو الساكنةً ببياتها الشَّتوى فى بلدان آخر، فى انتظار الأوامر من قياداتها بالخارج للخروج من مخابئهم لنشر الفوضى والقتل والدَّمار مُطمئنين لدعم القوى الكبرى بعالمنا، وبما تملكه من جمعيات لحقوق الإنسان والحيوان والنِّسوان وحقوق القتلة الَّذين ما زالوا يتنفسون ويحاكمون، وفى خضم أنشغالهم بحقوق القتلة، يغفلون حقوق المقتولين عملًا بالحكمة القائلة "الحيُّ أبقى من الميِّت".

وكما استيقظ العرب استيقظ صديقى الَّذى لم يكن من الَّذين اعتادوا على تناول وجبة الفطور مذ كان تلميذًا بالمدرسة الابتدائيَّة، حيث لم يكن بمقدور والديه توفير كمية الحليب والأجبان والبيض والخبز الشامى والفينو الكافين لإفطار أبنائهم الثمانية الذين كان منهم خمسة بمراحل التعليم المختلفة، والباقون منهم كانوا لم يبلغوا السنَّ القانونية بعد للالتحاق بمرحلة التعليم الإلزامية، كما لم يكن بوسع الوالدين منح أولادهم مصروفًا مناسبًا يكفيهم للاستعانة بساندويتشات الفول والفلافل من كانتين المدرسة عند شعورهم بآلام الجوع، ومن هنا فقد اعتاد صديقى على نسيان هذه الوجبة، أو ربَّما

كانت معدته قد تشكلت وبُرمجت لتناول وجبة واحدة باليوم، هى الَّتى كان يتناولها عندما يعود جميع أخوته من مدارسهم ويعود أبوه من عمله، وظلَّ على هذا النَّمط الغذائى حتَّى بعد أن أتمَّ دراسته ونال شهادته فى الهندسية المعمارية، ولا يعلم أحدٌ غير الله كم عانى وكم كابد حتَّى نال تلك الشَّهاده، وعندما التحق بالعمل بإحدى الشركات وتحسنت أحوال أسرته ماديَّاً حيث إنه قد أوفى بوعده بمعاونة والده الَّذى شاب، ولم يعد قادرا على العمل حيث انهارت صحته وقوته، فقد التزم صديقى فى أوَّل كل شهر ميلادى بأن يضع راتبه بيد أُمِّه بعد أن يقتطع بعض المال يكفى بالكاد لشراء سجائره واحتساء الشَّاى والقهوة بعمله، ولم تكن أُمُّه سعيدة بعدم تناوله الفطور قبل ذهابه لعمله، وكانت دائما تذكَّره بأهمية وجبة الفطور لما تُعطيه للجسد من طاقة تعينه على تأدية عمله بهمة ونشاط، وكلما نبَّهته لذلك فى كلِّ صباح كانت لا تنسَ أبدًا أن تلعن السَّجائر الَّتى قتلت شهيَّته ومنعته عن تناول الفطور، فكان يضحك حين يسمعها تقول ذلك ويخجل أن يُذكِّرها بسنين طويلة كان يكتفى فيها مُجبرًا بتناول وجبةٍ واحدةٍ طيلة يومه، نظرا لتواضع المستوى المادى الَّذى لم يكن ليُعين الأسرة على تناول الوجبات اليومية الثلاث الَّتى تحتاجها أجساد النَّاس جميعا، وقد كان يكتفى فى كل صباح بتدخين سيجارته مع فنجان قهوته التركية والَّتى كان كلما ناولته أُمُّه أياها يسألها: لماذا يسمونها تُركيَّة يا أمى؟ بينما نجلبها إمَّا من اليمن الَّذى كان يُسمى فى الماضى القريب سعيدا؟ وإما من البرازيل التى أصبحت سعيدة بعد أن حكمها رجل كان ماسحا للأحذية فى طفولته؟ فكانت تضحك وتقول: لا أدرى بنىِّ، فلتسأل القهوجى اللى على ناصية الشَّارع وانت رايح شغلك، فيضحك ويُقبِّلها بين عينيها وينصرف طالبا منها الدعاء.

بعد أن انتهى صديقى من احتساء قهوته وهو يلتهم سيجارته انطلق فى طريقه لديوانيِّة سموِّ الأمير الطَّيب الكريم المضياف والذى تحلى بتواضعٍ من النادر أن تراه فى رجلٍ غنىٍّ بمنطقتنا، فقد تعود صديقنا بل تعمدً كلَّ يوم جمعة الذِّهاب فى الوقت الَّذى يكون النَّاس فيه قد أتموا فطورهم ليبدأ يومه معهم بشرب الشاى الملئ بالسُّكر، والقهوة الخليجية الخالية منه تماما.

كانت الديونية تُحفةً معماريَّة رائعة، وآية من أيات الرَّوعة والجمال، تشعر بالبهجة حين تدخلها فتُسر أعينك بجمال وقيمة ورقى كل ما فيها، كان واضحا أنه قد قام بتصميمها وتنفيذها مهندسٌ للديكور ماهرٌ بارعٌ فى عمل التصميمات الداخلية، حيث يستعين الأثرياء والأمراء العرب دائما بمهندسي الديكور من إيطاليا وفرنسا وبريطانيا، كان السقف مزُيَّنًا ومكسواً ببلاطات من الجبس المٌزركشة المُربَّعة، أما الجدران فقد طُليت بأفخر أنواع الطِّلاء الحديثة، وكُسيت أرضيتها بأفخر أنواع الرخام الأسباني، والعجيب أنَّه قد تمَّ تغطية تلك الأرضية البديعة بالسِّجاد الإيرانى الَّذى يُعدُّ من أرقى وأغلى أنواع السِّجاد فى العالم، حيث يتميز بجودة خاماته، ودقة صناعته، وروعة تصميماته ورسوماته بألوانها الجذابة، كما رُصت المقاعد الفرنسيَّة الكلاسيكيِّة الفاخرة والوثيرة طراز لويس السَّادس عشر، والَّتى تبدو للنَّاظرين أنَّها قد صُمَّمت خصيصًا لتُناسب قياس حوائط الدِّيوانيَّة، وقد رصَّت مُتجاورة ملاصقة لثلاث حوائط من الديوانيَّة الَّتى زُيَّنت وطُعَّمت ببعض البانوهات والإطارات الخشبيَّة المُذَّهبة وقد عُلِّق بداخلها صورٌ دينيةٌ بديعةٌ للكعبة المشرفة، وللمسجد الحرام بمكَّة، والمسجد النَّبوىِّ بالمدينة، وبعض آيات الذِّكر الحكيم والعديد من الصور الأخرى، وعلى الحائط العرضى على يمين المدخل علقت فقط صورة سموِّ أمير البلاد المفدى، والَّذى يُخيَّل لناظرها أنَّ إطارها قد صُنع من الذَّهب الخالص، وإلى جواره وضعت صورة سموِّ الأمير

الَّذى يعمل صديقي لديه وعلى كفالته، وأما الحائط الرابع والمقابل لذلك الحائط فقد ثُبت عليه جهاز التِّلفاز الَّذى بدا ككلٍّ عنصرٍ وُجد بالدِّيوانيَّة فاخرًا مُبهجًا من أحدث الماركات العالميَّة، مُحاطًا بإطار من الأبنوس المُطعَّم الفاخر، كما كان يعلو بمقدار مترٍ واحدٍ عن مستوى أرضية الدِّيوانيَّة فبدى ارتفاعه مُناسبًا للآكلين والشَّاربين، الجالسين منهم على الأرائك أو الجالسين منهم على أرضيَّة الدِّيوانيَّة على السواء، كلٌّ حسب رتبته ومنزلته ومقامه.

كان صديقى المهندس قد قدم عليهم، وهم ما يزالون يروون قصص الفخر بأدائهم المُشرِّف ليلة البارحة حتَّى نُودى لصَّلاة الجمعة فانصرفوا وانصرف معهم صديقى سعيدا إلى المسجد بعد أن اتفقوا على العودة إلى حديثهم عقب الانتهاء من الصَّلاة، وكانت الخُطبة الَّتى وُزِّعت على جميع أئمة المساجد تتحدَّث وتُندِّد بصفقة القرن، والَّتى لم يُعلن منها سوى عنوانها، وإعلان أميريكا لنقل سفارتها إلى القُدس، واعترافها بالقُدس عاصمة أبدية لإسرائيل، وبعد انتهاء الخطبة وقبل إقامة الصلاة طفق جميع الخطباء بالدعاء بإن يُشتِّت شملهم، وييتِّم أطفالهم، ويُزلزل الأرض من تحت أقدامهم، وأن يجعلهم غنيمة لنا، ثُمَّ انتقل الدعاء لمرحلة التَّوسُّل إلى الله بتوحيد صفوف العرب والمسلمين، طالبين منه سبحانه وتعالى العون فى الانتصار على الصهاينة المغتصبين، ومعاونتنا على استرداد المسجد الأقصى الشَّريف أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين من براثن الصِّهيونيَّة العالميَّة، وهنا هبَّ أحد المصلِّين ليعترض على تسمية القُدس بأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين حيث أفتى بعض كبار العلماء المسلمين بخطأ هذه التسميه، وقام آخر ليقول بل نحن المسلمون نسميه هكذا منذ تحرير صلاح الدين الأيوبى للقدس من براثن الصَّليبين فاضطر الخطيب إلى إنهاء الدُّعاء، ونادى لإقامة الصَّلاة.

وبعد انتهاء الصَّلاة أنقسم النَّاس كعادتهم، بين مؤيدٍ لتسمية المسجد الأقصى ومعارضٍ لها، وجاء من أقصى المسجد شابًا وسيمًا أنيقًا، أخبر النَّاس أنَّه عائدٌ لتوِّه من أميريكا، ويريد أن يُناقش السَّيِّد الخطيب فى أمر ما، وعندما مكَّنوه من ذلك، أبلغ الخطيب أنَّه وقبل مجيئه للمسجد لأداء الصَّلاة استمع بالتِّلفاز لقارئ نشرة الأخبار يعلن أنه قد جرى اتصالا بين سموِّ أمير البلاد المفدى، والرَّئيس الأميركى، وقد طالبه سموِّه بالضَّغط على إسرائيل لحل القضية الفلسطينية، وفى الصَّلاة ندعوا نحن على الصهاينة بأن يشتت شملهم إلى أخر الدَّعوات، وسؤالى سيَّدى الخطيب هو: إذا كنَّا نُريد من الرَّئيس الأميريكى أن يضغط على إسرائيل لحلِّ قضيَّتنا، وإذا كنَّا ندعو الله أن يشتت شملهم، فما الَّذى يجب علينا نحن أن نقوم به ؟ إن كان الله فى السَّماء سيُزلزل الأرض من تحت أقدامهم، وأميريكا الَّتى هى الزَّعيمة والفتوة فى الأرض، والتى هى مُساندةٌ وداعمةٌ لإسرائيل ستضغط عليها، فأجابه الخطيب بأننا فى حالة وهنٍ وضعفٍ وتشتتٍ بل وتقاتل فيما بيننا وما علينا إلَّا الدُّعاء، فسأله الشَّاب: ولماذا سيدنا لا نعمل على تقوية أنفسنا وعلى تصالحنا ووحدتنا ثُمَّ ندعو جنبا إلى جنب؟ فاحتدَّ أحدهم على الشَّاب وأخبره بأن الدعاء مخ العبادة، واتهم رجلٌ آخر للشَّاب بتأثرة بالإعلام الأميريكى الكافر الفاسد العلمانى أثناء وجوده هناك، وكعادة النَّاس انقسموا مرة أخرى بين مؤيدٍ ومعارضٍ حتَّى تدخَّل أحد كبار القوم مُنبهًا ومحذِّرًا للنَّاس من أخطار الفتن، ودعاهم ليتقوا الفتنة بالانصراف إلى بيوتهم فقد حان موعد الغداء، فانصرف النَّاس وعادوا جميعا لبيوتهم واجتماعاتهم، لاستكمال أحاديثهم عن ليلة الخميس الحمراء.

صفقة القرن الثانية

أرسلت المطاعم صوانى الكبسة الشَّهية تعلوها الخرفان المشويَّة، فشمَّروا جميعا عن أكمامهم استعدادا للقفز والغوص فى أعماق الخراف والأرز والمرق، بينما كانوا لا يزالون مستمرين فى تباهيهم بفحولتهم ورجولتهم ونياتهم باستكمال الأربع زِّيجات، ونيَّات الَّذين لديهم أربعة بتطليق أكبرهنَّ عُمرًا واستبدالها بفتاة صغيرة تُعيد لهم شبابهم، وما أجمل أحاديث العربِ وهم يلتهمون بل يفترسون الخراف المسكينة الَّتى ترقد مُستسلمةً بين أياديهم لا حول لها ولا قوة، وما أن فرغ الجميع من الطعام توجَّهوا جماعاتٍ إلى حيث تُوجد المغاسل الَّتى بدت وكأنَّها أُنشئت لأفخر الفنادق العالميَّة وأرقاها تصنيفًا، وما أن انصرف أخر رجل بالجماعة لأماكن الاغتسال حتَّى توسَّط أرض الدِّيوانيَّة كبير الخدم الذى بدا ضخما سمينا داكن اللون مناديا بأعلى صوته : يا ولد، فجاءته إلى حيث يقف أصوات الملبين للنِّداء من الخدم مهرولين بادين فروض الطاعة قائلين: لبيك سيِّدنا، فكان منهم من انحنى لرفع بقايا الأرز والخراف، وعظامها وحطامها، ومنهم من لملم مشمع الأرضية الَّتى كان يُغطِّى السِّجادة الوثيرة حتَّى يحفظها من سيول الشُّوربة والمرق الأحمر المتسرِّب والمُتساقط من أيادى وأفواه الآكلين المفترسين، وأخيرًا جاء من كان عليهم تنظيف السِّجاد وإقامة شُعيراته وأوباره الوثيرة، لإعادتها لسيرتها الأولى، ثُمَّ قدم من يُبخِّر ويُعطِّر المكان ليصبح روضةً من رياض الجنة.

عاد كل من اغتسل وتجفَّف، ليأخذ مكانه على الأرائك الفخيمة والتى رصَّت بتناسقٍ وجمالٍ بالغٍ حول جدران الدِّيوانية عدا الجدار

المثبت عليه التلفزيون، واستقر كلٌّ فى مكانه وتوجهت الأعين محملقة بالتِّلفاز انتظارا للشَّيخ الَّذى سيقول حديث الجمعة، والَّذى اعتاد أن يقوله منذ عدة سنوات فى ذات الموعد فى كل يوم جمعة.
وبدأ برنامج حديث الجمعة بعرضٍ فيلمٍ من القدس المُحتلة، وقد ظهر فيه جنود الاحتلال يمنعون المصلِّين اَلَّذين تقلُّ أعمارهم عن أربعين سنة من ولوج المسجد للصَّلاة، كما عُرض بالفيديو لقاءٌ مع سيِّدة فلسطينية تبكى وهى تناشد العالم والإنسانية للتَّدخل لتمكين المسلمين من الصَّلاة وممارسة شعائرهم، كما ناشدت أيضا جمعيات حقوق الإنسان فى كل من أوروبا، وأميريكا بإرسال مبعوثيها وعملائها المتواجدين بدول الرَّبيع العربى فقط لمراقبة انتهاك أنظمتها لحقوق الإنسان، وفى نفس المشهد تطلُّ رأس رجلٍ فلسطينى بصورة هلامية أمام الكاميرا يصرخ هاتفًا: أين أنتم يا عرب، وهنا ينتهى الفاصل، ويعود السّيِّد مُدير الحوار معتذرًا للشَّيخ وسائلا إياه عن كيفية رؤيته للصورة التى رأها لتوه؟، فيبدأ الشَّيخ مُسمَّياً باسم الله الرحمن الرحيم، ثُمَّ حامدًا لله ومُصلَّيا على رسوله صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ رفع أكفَّه داعياً أن يهلك الله الصهاينة المحتلين ومن يعاونهم بل ومن يؤيدهم، إلى أخر تلك الدَّعوات، ثُمَّ اختتم دعاءه بأن ينصرنا الله عليهم نصر عزيزًا مؤزَّرا، وبعد أن مسح بكفيه على عينيه ووجنتيه بدأ يستصرخ ويُعزِّى الأمة فى ضعفها وخنوعها، ويستنهض النَّاس وولاة الأمر للتَّوحد لمقاومة الصهاينة الغاصبين، المحتلين، الكافرين، ثُمَّ وجه نداءً إلى جميع فصائل المقاومة من كتائب عز الدين القسام، وسرايا القدس، وكتائب الأقصى وغيرهم من الكتائب المسماة بأسماء عديدة، كما استحث حركة حماس الَّتى اختارت طريق الجهاد والكفاح المُسلَّح لتحرير فلسطين، وقد ناشدهم مولانا الشَّيخ بوقف أعمالهم الجهاديَّة فى سيناء ضد الجيش المصرى الَّذى كاد أن يكون هو الجيش الوحيد الأقوى والمتبقى لأُمَّتنا بعد استنزاف قوى الجيش

العراقى، والجيش السورى، وكذلك الجيش الليبى، فقال فى جملة واحدة: دعوا الجهاد ضد إخوانكم وعودا للدفاع عن قدسكم، وعن أهاليكم من الشِّيوخ، والنِّساء، والأطفال، قائلا: إنَّ أمة بلا خلافة، خيرٌ من أمة بلا جيوش، ثُمَّ عرج بالحديث ليُذكِّرهم ويذكِّر النَّاس بأبطال المسلمين البواسل أمثال خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وطارق بن زياد، وعقبة بن نافع، وغيرهم، كما ذكَّر الحُكام بالخلفاء الراشدين العادلين، أمثال أبى بكرٍ وعمرٍ رضى الله عنهما، وهنا اعتذر مقدم البرنامج لفضيلة الشيًخ عنً الاضطرار لقطع البرنامج مرة أخرى لإذاعة بيان هام، ولم ينتظر لردِّ الشَّيخ بقبول الاعتذار، وأذيع فاصلٌ من الموسيقى العسكرية الوطنية مع صورة للمسجد الأقصى وأمام أبوابه يقوم جنود الاحتلال بمنع المصلين بل وضرب المعترضين من الرِّجال والنِّساء، وبعد انتهاء الفاصل الموسيقى ظهر المذيع لينبِّه النَّاس مرةً أخرى أنهم متأهبون للانتقال إلى واشنطن لإذاعة بيان هام عن زيارة رئيس وزراء الكيان الصِّهيونى للرَّئيس الأميريكى، والَّتى أطلق عليها المراقبون زيارة القرن، ثُمَّ عادت الموسيقى لعزف السَّلام الأميرى مع عودة عرض الصورة السابقة للمسجد الأقصى، وجموع المصلين متجمهرين حوله، حيث وقف جنود الاحتلال بهراواتهم وأسلحتهم حائلا بين الناس والمسجد.

هنا بدأ الرجال الجالسون على الأرائك ينتابهم شعورًا بالقلق فراحوا يتهامسون، ويصبُّون لعناتهم على الصهاينة وعلى أميريكا حيث أفسدا عليهم مُتعتهم بغدائهم الشَّهى كما أفسدوا خُططهم بالتَّحاكى والتَّباهى بسهرة الخميس الحمراء، ثُمَّ يتناسون الليلة الحمراء والخراف ليعودوا متسائلين فيما بينهم: ترى لماذا يُطلق عليها المراقبون بزيارة القرن؟ وهل لهذه التسمية علاقة بصفقة القرن الَّتى طرحها الرَّئيس الأميريكى عند نقل السفارة الأميريكية

للقدس؟ ودعوته لكافة دول العالم بالحذو حذو أميريكا والبدء فورا بالعمل على نقل سفاراتهم إلى جوار السِّفارة الأميريكية، وهنا قطع صوت الشَّيخ الكبير بالمجلس السُّكون ليأمر النَّاس بالكفِّ عن التَّهامس والتزام السكون، حيث أن تهامسهم يزيد من توتُّره، ودعاهم لاحتساء القهوة انتظارًا لسماع البلوة، أو لعلها الكارثة الآتية من واشنطن، والتى أكد أنه قد تم طبخها بين الكافر والصهيونى فكلاهما لا يريد بنا ولا بأمتنا خيرًا، ولم نتعود أن يأتينا منهما خيرًا أبدا، وفجأة عرض التلفاز لصورة الرئيس الأميريكى وهو يدنو من رئيس وزراء الكيان الصهيونى مادًا يده باسطًا لها لمصافحته بحرارةٍ كما لو كان يراه لتوه، وبعد أن رحب به ببلده الثَّانى، وأشاد بتعاونهما سويا منذ عقود من الزمن مؤكدا توحُّد المصالح والأهداف لكليهما، راجياً من ضيفه أن ينقل تحيَّاته وأطيب أمنياته لدولة إسرائيل، رئيسًا وحكومةً وشعبًا، ولم يفته أيضًا تذكير البشريَّة بما تفعله أميريكا من جهود مضنية تكلفها الجهد، والمال والرجال، بل والنساء أحيانا، من إجل إرساء دعائم متينة للسَّلام العالمى، ومراعاة حقوق الإنسان فى كل مكان على سطح كرتنا الأرضية، ثم أشار على ضيفه رئيس وزراء الكيان الصهيونى بإعلان قرارات لقاء القرن التى صاغاها سويَّاً، واتفقا عليها وعلى تنفيذها، فقال:

جئتكم سيِّداتى آنساتى سادتى، حاملًا إليكم بيدى أغصان الزَّيتون والليمون، آملا أن يعم الحُبُّ والسَّلام كوكبنا الأرضى الَّذى طالما سعينا إلى إحلال السَّلام والحُبِّ بين ربوعه، وما كانت براعتنا المتعلقة بالزِّراعة إلا لرغبتنا فى زرع بذور السَّلام فى كل شبرٍ بكرتنا الأرضية، وتحويل صحرائها إلى واحاتٍ وبساتين خضراءً، وخير دليلٍ على ذلك هو محاولة زرع بذور الرَّبيع العربىِّ، وقد رأيتمونا نذهب بكرةً وأصيلا إلى حائط المبكى حامدين الله على نجاحه ببعض الدول العربية، ثُمَّ باكين ولاطمين الخدود - برغم حرمة ذلك بشرعنا

- لفشله فشلًا ذريعًا بجارتنا الحبيبة إلى قلوبنا وإلى نفوسنا مصر الحبيبة، ومع ذلك ورغم كل محاولاتنا للتَّقرب من العرب، نجدهم جميعا دائما وأبدا ما يُناصبوننا العداء والكراهية، ولا ندرى لماذا؟ حيث إننا لا نرَى سببا وجيها لذلك، ومع أنهم لا ينفكون يدعون علينا بالإبادة، والتَّشرد، والتَّرمل، واليتم، إلا أنَّنى أدعو الله مخلصا وأنا على وضوءٍ أمامكم أدعو لهم بالرَّفاهية، والازدهار، وأن يوحد الله صفوفهم، ويُألف بين قلوبهم، كما ندعو لهم دائما بزيادة نسلهم حتَّى وإن صاروا كغثاء المُهل، فإن الصهاينة يسعدهم ويسرهم رؤية العرب سعداء على أيَّة حالٍ، فهم أبناء عمومتنا، وأبناء أحب.. وهنا قُطع الصوت، فبدأ الجالسون يتكهنون ماذا كان يقصد بالكلمة الَّتى لم تكتمل حين قال أحب.. وقُطع الصوت؟ فمنهم من قال إنه ربما قصد أحبائنا وقال الأخر بل هو كان يسبَّنا بأمهاتنا، وهنا انبرى أحد أساتذة اللغة والنحو والصرف بعد أن شمر عن أكمامه ليقول يا أخوانى الواو واو عطف، وما جاء بعدها ينعطف على ما قبلها معنىً وإعرابًا، وأغلب ظنِّى، رغم عدم ثقتى ببراءة المتحدث، أنَّه قصد أن يقول أحبابنا، وبدأ العراك والسِّباب بين مؤيد ومعارض لرأى أستاذ النحو والصرف، وعاد الصوت فخرص كل من فوق الأرائك ومن تحتها منصتين إلى خطبة القرن، فعاد الرئيس الأميريكى للاعتذار عن الخلل الفنِّى الخارج عن إرادتهم معيدا الكلمة للسَّيِّد رئيس وزراء الكيان الصهيونى فعاد ليقول مبتسمًا:

منذ عودتنا لدولة فلسطين والَّتى نُؤمن أنَّها وطننا، وحجتنا فى هذا أن الله كان قد وعد نبينا موسى (عليه السلام) بها، وبالبلدان الَّتى إلى جوارها وكان ذلك عندما أمرنا بالخروج من مصر، ويؤمن العرب بأننا قد قمنا باحتلالها واغتصابها من أهلها مرةً أخرى مُعتبرين احتلالها فى عهد موسى (عليه السلام) الاحتلال الأول وحجتهم فى ذلك أن فلسطين والفلسطينين كانوا موجودين قبل بعثة

نبى الله موسى (عليه السلام)، ونحن منذ منتصف القرن الفائت نتعارك على هل هى عودة كما نعتقد ونؤمن نحن؟، أم أنها إعادة احتلال؟ كما يظن ويزعم العرب دائما، وأيضا ومنذ ذلك التاريخ لم تتوقف الاجتماعات والمؤتمرات على المستوى الثنائى للدِّول، وعلى المستوى الأُممى حيث طرحت العديد من الحلول عبر منصَّة الأمم المتحدة، وقد قبلنا جلَّ القرارات الأممية فى حين رفضها الجانب العربى، حتَّى إنَّنا كنَّا نقبل متعمدين ما لا نرتضيه من بعض القرارات حتَّى ندفع العرب إلى رفضها، فقد اكتشفنا أنهم يكفرون بكل ما نؤمن به عن ثقةٍ، ويرفضون ما نوافق عليه من حيث المبدأ ودون عمل الدراسات اللازمة الَّتى تُمكَّنهم من اتخاذ القرار الصحيح، ولم يدرك أيَّاً منهم ذلك حتَّى تاريخه، وكما أظن بأنهم أيضا لن يدركوه حتَّى بعد إعلانى له، وهنا ضحك ساخرًا، وضحك معه جمع الحضور المتنبِّهين تمامًا لكلِّ كلمة يقولها سيادته، بما فيهم السَّادة المصورون والرَّاعون والمنسقون، والأعلاميون الممثلون للوكالات العالمية - حيث أظن أنه لم توجد بعد وكالات أنباء عالمية خاصة أو مملوكة للعرب، الذين اكتفوا دائما بإعلان أهم الأحداث العالمية بل والمحلية أيضًا نقلا عن رويترز أو أسوشيتد برس - وعندما توقف الخطاب حتى يتسنى للضاحكين الانتهاء من ضحكاتهم، عاد الجالسون على الأرائك لكيل السباب واللعنات على رئيس الوزراء الصهيونى الذى يبدو متهكِّما سافلًا، بينما تأسف بعض الجالسين عل حال أمتنا لأننا بتفرقنا، وتقاتلنا، منحنا الفرصة لذلك الأحمق كى يتندر علينا وعلى عقولنا، وعاد الجميع للصمت إذ عاد السَّيِّد رئيس وزراء الكيان الصهيونى لاستكمال خطبة القرن ليقول:

منذ عدة شهور مضت قام فخامة السَّيِّد الرئيس الأميريكى بعرض صفقة القرن الأولَى بإعلان قراره بنقل السفارة الأميريكية للقدس، واعتبار القدس عاصمة أبدية لدولة إسرائيل كما نسميها، أو للكيان

الصهيونى كما يحلو للعرب تسميتها، وقامت الدنيا ولم تقعد، وعقدت اللقاءات العربية العربية، كما عقدت المؤتمرات على مستوى وزراء الخارجية تارة، وعلى مستوى الملوك والرؤساء تارة أخرى، ومنهم من وافق على الصفقة قانعا بها في سريرته بيد أنَّه التزم الصَّمت فلم يعلن تأييده، أو رفضه للصَّفقة خوفًا من اتهامه بالخيانة والعمالة لنا، ولأميريكا، ومنهم من عارضها بقوة وكان على رأسهم مصر كعادتها، وهنا تدارسنا الأمر فيما بيننا نحن والإدارة الأميريكية، وحين تأكد لنا بما لا يدع مجالا للشَّكِّ رفض العرب لها. والحقيقة وبكل صراحة أقول لكم حيث إننا لم نعتد أبدا على الكذب والتَّضليل، فقد تفهَّمنا رفض العرب للصَّفقة، حيث إن الحلَّ هذا لم يكن سوى نقل معاناتنا مع الفلسطينيين إلى دولٍ عربيةٍ أخرى، ولعلَّهم عندما يُعانون منهم يعذروننا ويعلمون أنَّنا كنَّا الضَّحية فى الصراع العربى الإسرائيلى وليس الفلسطينيون، وأعود لأكرر ما قلته سابقا: لقد أبدينا مرونة، ووافقنا على جلِّ القرارات الدولية، ومنذ عدة أسابيع، وبعد رفض العرب لصفقة القرن، طلب منَّا فخامة الرَّئيس الأميريكى مهلةً أخرى لطرح صفقة جديدة فأمهلناه كعادتنا، ثُمَّ وفى زيارتنا هذه قام فخامته بطرح فكرته، وبالرَّغم من أنَّها تتنافى مع كلِّ ما كنَّا نُخطط له لتحقيق الحلم اليهودى انطلاقا من القدس فقد قبلناها ما دامت ستحقق حلمنا ولو بطريق يختلف عما كنَّا نُخطط له، ولا نرى فى الأمر أى امتعاض، فلا بأس لدينا من تعدد الأساليب والمسالك والدروب ووسائل الوصول، ما دام الحلم واحد، وإنَّه ليسعدنى الآن أن أزفَّ أليكم خبرًا مبهجًا وسعيدًا لكم، وللأُمَّة العربيَّة، واليهوديَّة، وليس هذا فقط بل هى بهجةٌ وسعادةٌ ستعمُّ كلَّ أُمم العالم، وهآنذا أعلن أمامكم قبولنا لصفقة القرن الثانية والأخيرة، آملين أن يقبلها أبناء عمومتنا العرب، وداعين الله أن يُرشدهم ويهديهم مراشد الأمور، ولسوف أقوم بالإعلان عن صفقتنا تفصيليا مساء اليوم،

أشكركم، كما أشكر أخوانى العرب جميعًا ولا أستثنى منـهم السلطة الفلسطينية والأخوة الفلسطينيين، بل أغتنم هذه الفرصة لأقدم لـهم الشُّكر على حسن تعاونـهم معنـا.

البيت الأبيض

فى تمام الثَّامنة مساءً كانت صالة المؤتمرات بالبيت الأبيض تعجُّ بالبشر من كافة الجنسيات، وكانت أعين الجميع مُصوَّبة نحو مدخل المنصَّة مُترقبة لوصول فخامة الرَّئيس الأميريكى وضيفه السَّيِّد رئيس الوزراء الإسرائيلى، وكانت الصالة مُكتظَّةً بالصَّحافين، والمصورين من كافة بلدان العالم، وبالتَّأكيد كان نصفهم على الأقل مُمثلين لوكالاتٍ استخباراتيَّة حضروا تحت مظلَّة الإعلام، وحتَّى يموِّه هؤلاء على السُّلطات الأميريكية، حمل بعضهم أجهزة التَّسجيل الَّتى دائمًا ما تكون بحوزة السَّادة الصُّحافيين إذ هى من أهمِّ أدواتهم، كما حمل بعضهم كاميرات تصوير مُتطوِّرة للتَّدليل والتَّأكيد على أنَّهم مُصورين، وهم بذلك متصورون أو واهمون أن هذا سينطلى أو سيخدع أجهزة المخابرات الأميريكيَّة والمُوساد الَّتى تعرفهم جميعا وبالاسم الحركى والفعلى، كما وتعلم رتبة وموقع كلٍّ منهم بجهاز المخابرات الَّذى يعمل لديه سواء كان عاملًا به أو عميلًا له، وربَّما هو نفسه يعلم أنهم يعلمون ذلك، إلَّا إن كان لا يزال مُستجدًّا بعمله.

بدأت المنصة تستقبل نجوم الليلة، حيث دلف الرئيس الأميريكى متأبطًا ذراع ضيفة، ووقف كلٌّ منهما أمام المنصَّة الَّتى سيتحدث منها، وقد بدا الرئيس الأميركى كعادته متبسمًا سعيدًا فخورًا مُتباهيًّا بنفسه، مُبرزًا صدره للأمام، ورافعا أنفه فى شموخ لأعلى ناظرًا من أسفل نظارته صوب جمهور المكتظِّين أمامه جلوسًا ووقوفًا، يمينًا ويسارًا، وكأنه قد ودَّ لو أتاه كلٌّ منهم ليصافحة وليقبِّل يداه مُعترفًا بعبقريته، وبأنَّه قد فعل ما عجز عنه كلٌّ الرؤساء الأميركيين الَّذين

سبقوه، وقبل أن يبدأ حديثه مد يده ليصافح ضيفه وكأنه يراه للمرة الأولى مرة أخرى، أو كأنَّه قابله مصادفة، ثُمَّ التفت ناظرًا للميكرفون ليُرحب من جديد بضيفه العزيز، ثُمَّ معلنا أنهما قد اتَّخذا قرارًا بدا أنَّه شبه مُستحيلٍ للجميع، أو كان مستحيلًا بالفعل، كما أنَّهما يسعيان معًا بهذه الخطوة المباركة فى طريقهما لخلق عالمٍ جديدٍ يسوده السلام والعدل، بل ويسوده الحُبُّ والوئام بين أعداءٍ الأمس، ووعد العالم والبشريَّة بأن هذا القرار هو الأول وسوف تتبعه قرارات أخرى. قال ذلك ثُمَّ أتَّجه بنظره نحو ضيفه وأعلن أن هذا كلُّ ما يُمكنه قوله الآن، ولهذا فإنَّه سيُعطى الفرصة لضيفه لإعلان ما تسمح به مصلحة أُمَّته اليهوديَّة بالإعلان عنه ممَّا توصَّلا إليه.

وعلى الفور أسدى رئيس وزراء الكيان الصهيونى الشُّكر الجزيل لأميركا العظمى، رئيسا، وحكومةً، وشعبًا، مُمتنًّا للرِّعاية، والحماية الَّتى تُوليها أميريكا للأمة اليهودية منذ عودتها لفلسطين، ومنذ طفق العرب يطلقون عليها القضية الفلسطينية أحيانا، وأحيانا أخرى يطلقون عليها الصراع العربى الصهيونى، ولعل حضراتكم جميعا تعلمون عنه، وترفقًا بكم فلن أطرح على حضراتكم تفاصيله بل سأقفز مباشرةً للحديث عن صفقة القرن فى نسختها الثانية والأخيرة، والَّتى لا تدع أى فرصةٍ لأنصاف العاقلين لرفضها، وإن كان هناك من له حق الرفض هنا، فهم اليهود الَّذين أُمثِّلهم وأنوب عنهم جميعا فى هذا الأمر، وصفقة القرن هذه كما مررنا عليها بنظرة خاطفة ثقةً منَّا فى أمانة ورعاية فخامة الرئيس الأميريكى لدولتنا، ولشعبنا ومصالحه، كما أننا على يقين كامل وثقة بالغة فى حرص فخامته على تحقيق الحلم اليهودى وإن اختلفت سبل تحقيقة، ونحن هنا قد آمنا بالقول العربى السَّديد القائل: تعددت الأسباب والحلم واحد، وقد أبلغنا فخامة الرَّئيس أنَّه قد استنفد جُلَّ وقته وطاقته فى بحث قضيَّتنا منذ نشأتها، وحتَّى تاريخة، ولم يكن هذا تفضُّلًا منه علينا، بل كان ردٌّ على جميلنا

وجهدنا لدعمه فى الوصول إلى البيت الأبيض، رغم أن منافسه كان الأفضل والأكثر صلاحية لرئاسة الحبيبة الغالية أميريكا، فقد راقبناه طويلًا وتأكَّدنا من إخلاصه وحسن مشاعره وحُبِّه للأمة اليهودية كما لو كان يهودى الأصل، ولهذا فاسمحوا لى بتكرار شكرى وعرفانى، والله وحده يعلم كم عانينا وكابدنا فى فلسطين من أبناء عمومتنا، وصبرنا وثابرنا، وحاولنا كثيرًا استرضاء العرب والتَّعايش معهم فى حب وسلام، لكنهم أبوا إلا أن يُناصبوننا العداء والكراهية، حتَّى أنَّه قد أتى وقتٌ علينا، دعونا لله على من اختار عودتنا لفلسطين، فى حين أنَّه حين طرأت فكرة إنشاء وطنٍ لنا، تمَّ اقتراح أوطان أخرى كوطنٍ بديل، غير أنَّ حُكماءنا بل أكادُ أن أقول أغبياءنا قد فضَّلوا فلسطين وطنًا لنا، بيد أنَّنا ربَّما نجد لهم عذرًا حيث كان هذا الاختيار هو الأنسب نظرا للظُّروف العالميَّة فى تلك الحقبة من الزَّمن، وعلى أية حال فقد انتابتنا حالة من اليأس والقنوط خاصة بعد رفض العرب لصفقة القرن الأولى، فقد أيقنَّا عين اليقين أنَّه من المستحيل الوصول مع جيراننا لاتفاق يُرضيهم حتَّى وإن كان يغضبنا، فقد أضحى فيهم من يرفض فكرة الأوطان، وقرروا الحرب فيما بينهم للعودة للشَّكل القبلى والطائفى، وينادون بالعمل والجهاد لإقامة دولة الخلافة الإسلامية، غير أنَّ كلَّ طائفة منهم قد انقسمت على نفسها إلى جماعاتٍ، ولكلِّ جماعةٍ ممولٌ، وداعمٌ، ومُحتضنٌ، وحتَّى أكون أمينًا معكم، فيجدر بى ألَّا أُنكر أنَّنا من صنعنا العدد الأعظم منهم، كما نسَّقنا مع من يُمولهم من الحكومات العربية أيضا، وما كان هذا إلَّا لحُبِّنا فى الإسلام، ورغبة منا فى انتشاره وسيادته لعالمنا فقد تعاونَّا معهم لإقامة الخلافة العثمانيَّة حتَّى تستعيد تلك الأُمَّة المسكينة سيطرتها على العالم، غير أنَّ النتائج كانت عكسية تماما عما تأملنا به إذ وجدنا أنفسنا نتعامل مع بعض الحكومات الضعيفة المُهترئة للغاية، وفى أغلب الأحيان وجدنا أنفسنا نتفاوض مع جماعات يزعمون أنَّ

لهم اليد الطولى فى أوطانهم، رغم كفرهم بفكرة الوطن حتى إن أحدهم قال يوما: وما الوطن إلَّا حفنة من ترابٍ عفن، ومن هنا تسرب القلق لقلب الزعيم الأميريكى الأمين، خوفا علينا من تلك الجماعات، والكيانات العديدة، وهى جميعها فدائية، انتحارية، مسلحة، حريصة على الموت حرصنا على الحياة، ولهذا فقد انشغل وانهمك سيادته ليلا ونهارًا، مُحاولًا إيجاد حلٍ حتَّى توصَّل إليه بالفعل وأطلق عليه صفقة القرن وكما قلت آنفا فقد رفضه العرب، وعاد سيادته إلى صومعته صائمًا قائمًا، بل ومُعتكفًا ليجد صفقة أخرى تكون بديلة عنِ الأولى، وكان همُّه الأكبر فيها ألا يجد العرب أىُّ مُبررٍ لرفضها، واثقًا فى يسر وسهولة إقناعنا بها، وقد هداه مولانا الرَّب ٍ إلى حلٍ وجدناه صادمًا لنا للوهلة الأولى كما يبدو فى ظاهره، إذ بدا وكأنه يحوِّل الحلم الصِّهيونى إلى كابوسٍ ثقيلٍ سئيل، وبالرَّغم من أنَّ لنا بعض التَّساؤلات، كما وأننا نحتاج ٍأيضا لبعض الإيضاحات بالصَّفقه، إلا أنَّ هذا لا يمنعنا من إعلانها على حضراتكم، وأن أصبنا فلنا أجران، وإن أخطأنا ـ وحاشا أن يُخطئ يهودى ـ فسيكون لنا أجرٌ عند الله، وصفقة القرن الثَّانية، والجدير بالذِّكر هنا أن أعلن أيضا أنَّها صفقتنا الأخيرة ولن نسمح بعقد صفقاتٍ أخرى، ولهذا أعلنها أمامكم وأمام العالم بأسره كما يلى:

إنَّه وحرصًا من الإدارة الأميريكيَّة على إرضاء واسترضاء حلفائها العرب الَّذين نعترف دائما، ومنذ عشرات السِّنين بحرصهم علي المصالح الأميريكية ورعايتها، بل وبالتضحية بالمال، والأنفس، والثَّمرات، والثَّروات فى سبيل ذلك، فقد وجدنا أنه قد حان الوقت لردِّ جميلهم، إذ نرى فى هذا حسن الخلق الَّذى يتحلَّى به كلانا، العرب، ونحن، فمنذ تولينا لحكم البلاد بدعم من اليهود والعرب مُتحدين أحيانًا ومُنفصلين أحيانًا أُخرى فقد جعلنا قضية إسعاد العرب وتهنينهم من أولى قضايانا، فإننا لم نعد لنتحمل مسئولية آلامهم،

ومُعاناتهم لأبعد من هذا، فكم رصدنا معاناة هؤلاء المساكين الأبرياء من الشقاء والتَّعاسة حتَّى غدوا أتعس خلق الله على أرضه، بالرغم من أنَّهم أغنى النَّاس وأكثرهم ثروةً، ونحن نتفق معهم إذ يظنُّون أنَّ هذا قد حدث جراء نظرات الحسد والحقد التى تنهال عليهم من كلِّ حدبٍ وصوبٍ، فنحن أيضا نُؤمن أنَّ العين فلقت الحجر، ولهذا فقد تعاطفنا معهم بكلِّ جوارحنا ووجداننا، ولهذا فإنَّنا ومن هنا نُعلن انسحاب اليهود جميعا من الأراضى العربية المُحتلة جميعها بلا قيدٍ أو شرط، كما نُعلن التِّزام أميريكا بإيجاد مكان مكين يكون لليهود أكثر أمنا ينطلقون منه لتحقيق أحلامهم وآمالهم، ومن هنا أيضا أُعلن نيابة عن الرئيس الأميريكى عن عزمه القيام بزيارةٍ شرق أوسطيَّة تبدأ بزيارة دولة إسرائيل ثُمَّ المملكة الأردنية ثُمَّ مصر ثُمَّ السَّعودية ثُمَّ العودة بسلامة الله لواشنطن لتكليف عددٍ من الموؤسسات المعنية بالقيام بما هو منوطٌ بها، كلٌّ فيما يخصة لتنفيذ القرارات المتعلقة بصفقة القرن فى صورتها النهائية، ومن الجدير بالذكر أيضًا هنا أن سيادته قد تلقى تحذيرات عديدة من قبل جهاز المخابرات بعدم زيارة الجمهورية العربية السورية أو المرور بطائرته فى أجوائها حيث يتجمع ويتحالف علي أراضيها كلُّ الأعداء الكارهين لأميريكا ورئيسها بدءً بداعش الَّتى صنعناها ونشهد أنَّها قد أتمت مهمتها على خير وجه، وانتهاءً بإيران الَّتى أعدنا لها الحكم الإسلامى فجحدت الجميل واطلقوا على كلينا لقب الشَّيطان، وبرغم أن داعش وإيران أعداء بالفطرة غير أن التقرير المخابراتى لديه تخوفات من أنَّه ربَّما اتحد الأعداء إذا ما تعلق الأمر بكراهية إسرائيل وأميريكا.

هنا طوى السيد رئيس الوزراء اليهودى الورقة التى كان يقرأ منها ليستأنف حديثه ارتجاليا: وهنا يسعدنى سيداتى آنساتى سادتى أن أفجر لكم قنبلة تفوق فى شدَّتها وقوَّتها تلك القنبلة الذَّرية الَّتى أطلقتها أميريكا على هيروشيما وكذلك قوة القنبلة التى أطلقتها على

ناجازاكى حتَّى تُنهى الحرب العالميَّة الثَّانية بالضربة القاضية لتتفرغ لتحقيق السلام العالمى، وربما كان هذا السبب هو ما دفع الرئيس السابق للولايات المتحدة الأميريكية برفض الاعتذار عن تدمير مدينتين يابانيتين عند زيارته الأخيرة لليابان بدعوى أن أميريكا قد ضحت بهما لأنقاذ حياة باقى البشرية، وأعود لأقول إنَّنا وحرصًا منَّا على ألا تشتعل الحرب العالمية الثالثة بسبب العرب وتشدُّدهم المستمر فى سبيل استرداد أراضيهم منَّا، فإنِّه سيسعدنى أن أُعلن أمامكم كرئيسٍ وممثلٍ لليهود: قبولنا نحن اليهود لهذه الصفقة دون قيدٍ أو شرطٍ ... وهنا ضجَّت صالة المؤتمرات بالصُّراخ بل تزلزلت من التَّهليل، والتَّصفيق، والصَّفير، والهتاف بحياة أميريكا العظمى. وبعد أن هدأت الأمور وعاد السُّكون تدريجيًّا ليعمُّ القاعة التفت أحد المصورين المصريين إلى معاونه قائلا: يا ريتك كنت جيبت معاك مراتك عشان تزغرت. وهنا عاد رئيس وزراء الكيان الصهيون رافعا يده اليمنى التى تعلقت بكفها مسبحة طويلة ليستأنف حديثه بإعادة وتكرار جملته الأخيرة قائلا:

أعود لأقول أمامكم وأشهدكم وأشهد الله على إعلانى هذا، بقبول اليهود جميعًا لصفقة القرن الثَّانية والأخيرة، بل وبالعمل والتَّعاون مع إخواننا العرب، وإخواننا بأميريكا جنبًا إلى جنب فى وضعها قيد التَّنفيذ فى الوقت الَّذى تراه أميريكا مُناسبًا لذلك، ويُعد هذا توكيلًا وتفويضًا عاما منا نحن الأمة اليهودية لفخامة الرئيس الأميريكى بتولى الأمر مع العرب نيابة عنا وذلك أنهم دائما ما يتشاءمون منا.

عادت الصالة للتَّزلزل فرحًا وابتهاجًا وهتافًا لصفقة القرن وصانعها، ومُعلنها وسالقها ومُقشِّرها وآكلها، وكذلك ابتهاجًا بقرار اليهود بقبولها بيسر وليونة لم يكن هناك مجنون واحد يعيش على ظهر هذه الكرة الأرضية ليتصور أن يقبل يهودى واحد بالانسحاب

من كلِّ الأراضى الفلسطينية، بل ومن كلِّ الأراضى العربية المُحتلة منذ يونيو ألف وتسعمائة وستين وسبع، وهنا أعلن الرئيس الأميركى انتهاء المؤتمر، واعدًا السَّادة الصحافيين بدراسة طلبات عديدة قُدمت بواسطة وكالات الأنباء الأميريكية والأجنبية بعقد مؤتمر صحفى للرَّدِّ على تساؤلات من لديه سؤالٌ منها، على أن يُحدد ويُعلن موعد هذا المؤتمر لاحقا، ثُمَّ تأبَّط زراع ضيفه رئيس الوزراء وانطلقا ليختفيا خلف جدران البيت الأبيض.

وعلى الفور بدأت شاشات أكبر وكالات الإعلام الأميريكية العالمية بعرض لافتة كتب عليها بيان عاجل مع خلفية من الموسيقى المبهجة ويبدو أن التلفزيون الأميريكى لا تحتوى مكتبته على موسيقى المارشات العسكرية، كما أنه لم يكن من الطبيعى أيضا أن لديها بعض آيات الذِّكر الحكيم لإذاعتها. وبعد قليل توقفت الموسيقى وأختفت لوحة البيان العاجل ليرى المشاهدون رجلًا يشبه الكائنات الفضائيَّة التى تأتينا بداخل الأطباق الطائرة الغازية أو الزَّائرة لكوكبنا الأرضى قادمة إلينا من كواكب أخرى، قدَّمه المُذيع معلنا أنَّ السَّيِّد المسؤول الأممى الكبير قد حرص احتفاءً منه بهذه المناسبة أن يُعلن بيانا باعتباره مُمثِّلا للأمم المتحدة، وقد استهل الرجل حديثه بحمد الله والثناء عليه، وأعلن أنه بالنيابة عن الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة وبالأصالة عن نفسه، يُعلن مُباركة المنظَّمة الدَّوليَّة الَّتى كانت تسعى دائمًا ومنذ إنشائها لإرساء السَّلام بكلِّ شبر عل كوكبنا الطَّاهر، فهى قد تأسست لإرساء قواعد السَّلام، ومدَّ يد العون للسَّاعين وللمحُبِّين للسلام فى كل مكان فى عالمنا وبالاستعانة بأميريكا بالطبع، ثُمَّ قال: إنَّ موافقة إسرائيل على هذه الصفقة تعنى لنا أنَّه قد تمَّ حسم أكبر النزاعات على كوكبنا منذ العصور الوسطى، إذ كانت دائما أكثر الصراعات صعوبةً وتعقيدًا، بل ومآساويَّةً، ولم ينسَ الرَّجل فى ختام بيانه أيضًا نيابةً عن الإنسانيَّة جمعاء، وطبعا

بالأصالة عن نفسه أن يغتنم هذه الفرصة ليتقدَّم بعظيم الشُّكر والامتنان للولايات المتحدة الأميريكية مُمثلةً فى رئيسها، شاهدًا على سعيها الدؤوب فى حل كافة الخلافات والنِّزاعات الدَّوليَّة، داعياً الله أن تُكلل مساعيها دائما بالنجاح، ثُمَّ هنَّأ الفلسطينيين فى الضفة وغزة والمهاجرين منهم والمهاجرات، كما كانت لفتةٌ جميلةٌ منه إذ توجَّه لله بالدعاء لشهداء القضية بالرحمة، وأن يدخلهم فسيح جناته، وأن يلهم أهليهم وذويهم الصبر والسلوان وأن يعوضهم الله عن فقدانهم خيرا.

كان موعد إعلان صفقة القرن الثانية قد تمَّ إعداده بعنايةٍ فائقةٍ كعادة اليهود والأميريكان فى هذا، إذ كان قد تمَّ تحديدة سلفًا ليكون بمساء عطلة نهاية الأسبوع ففي تمام الثانية عشرة ليلا وكما نطلق على هذه اللحظة منتصف الليل أُضيئت سماء واشنطن تمامًا بالألعاب النَّارية المُبهجة، وامتلأت الميادين بالفرق الموسيقيَّة، وبالمغنِّيات والمغنِّين، والرَّاقصات والرَّاقصين، والشَّاربات والشَّاربين، والكاسيات العاريات والعارين بيضا وسودا وما بين هذين اللونين احتفالا بهذه المناسبة السَّعيدة الَّتى أُطلق عليها يوم السَّلام العالمى أسوة بيوم المرأة، ويوم الحُبِّ وخلافه، وأنتشرت الألعاب النارية لتغطى سماء الولايات المتحدة الأميريكية ثُمَّ انتقلت للدَّول المجاورة، ثُمَّ للمجاورة للمجاورة، حتَّى أنارت سماء الكرة الأرضية بالأنوار والموسيقى والأغانى، وحتَّى بالدِّول الَّتى لا يعلم مواطنوها أين تقع دولة فلسطين على الخريطة، وكذلك الدَّول الَّتى لم تكن تعلم أبدا أن هناك نزاعا بين اليهود والعرب على وطن يُدعى فلسطين، ويبدو أنَّ شعور النَّاس فى كلِّ مكانٍ بالتَّعاسة والشَّقاء فى حياتهم دفعهم لاغتنام الفرصة لمشاركة السعداءَ والفرحين أفراحهم، فربَّما أشعرهم ذلك ببعض السَّعادة أو على الأقل سيُنسيهم تعاستهم وشقاءهم عدة

ساعات حين ينشغلون بالرقص والغناء واحتكاك الأجساد بالأجساد، فمثل هذه الاحتفالات تمنح فرصا عديدة لبدء علاقات جديدة أو لاستبدال علاقة قديمة بأخرى.

فى الأراضى الفلسطينية المُحتلة انتشرت ونشطت مكاتب وكالات الأنباء العالمية حيث أرسلت مراسليها ليغوصوا خلال الدِّيار والربوع لاستطلاع أراء الشعب الفلسطينى بصفقة القرن الثانية والأخيرة، فاتجه بعض المراسلين إلى رام الله حيث سُجِّى جُثمان الزعيم ياسر عرفات ليجدوا عشرات الآلاف من الزَّائرات والزَّائرين للقبر بهذه المناسبة هاتفين باسم عرفات الَّذى يعتبرونه الأبَّ الرُّوحى للثَّورة الفلسطينيَّة وللفلسطينيين، وبدأت كاميرات مصوريهم بتسجيل الوجوه العديدة بمختلف تعبيراتها فمن الوجوه من كانت تبكى بحرارة ربَّما فرحا، وربَّما حُزنًا على ألَّا يروا عرفات بينهم الآن ليشاهد وليسعد بهذه الفرحة العارمة المرسومة على وجوه الشَّعب الفلسطينى الَّذى عانى كافة وسائل القهر والقمع على مدى عشرات السنين.

أمَّا على الجانب الآخر، وفى غَّزة، فقد كانت أعداد وكالات الأنباء والقنوات الفضائيَّة أكثر تواجُدًا ونشاطًا، وكان على رأسهم القناة الكبيرة والشَّهيرة الأكثر تأثيرًا على المستوى الدَّولى فقد كان مراسلوها ومصوِّروها مُنتشرين فى كلَّ مكان داخل غزَّة الَّتى غادر كلُّ سكَّانها ديارهم ليحتفلوا بحرم المسجد الأقصى وحواليه بما فيهم الشيوخ والعجائز، والمرضى والمعوقين المبتورين الأرجل والأذرع جراء الاعتداءات الصهيونية إذ حُملوا على أظهر وأكتاف زويهم من الشَّباب للاحتفال مع المحتفلين من الشباب والرجال والنساء بل ومن الأطفال حيث انطلقت الهتافات والصَّيحات المُعبرة عن حُبِّ القدس وفلسطين، كما سُمعت الأغانى الوطنيَّة والشَّعبيَّة، وأغانى الأفراح،

وفى ركنٍ ليس ببعيدٍ خلف حائط المسجد الأقصى استندت منصَّة صُنعت سريعًا من الأخشاب العتيقة اعتلاها العديد من الشَّواعر و الشُّعراء الفلسطينيين، لألقاء القصائد الوطنيَّة المُعطَّرة بحُبِّ الوطن وعشقه، ولا أعتقد أنَّ هناك وطنًا كُتب أو قيل فيه شعرٌ كما كتب وقيل فى فلسطين، وليس هناك أيَّة مدينةٍ قيل فيها شعرٌ أو تغَّنى بها أحدٌ أكثر مما قيل فى مدينة القدس الشريف، كما كانت اللقاءات التلفزيونية الَّتى عقدت مبهجةً للغاية حيث تشعر بفرحة النَّاس وسعادتها تنطلق خلال زغاريد النساء والفتيات وكأنها انطلقت من قلوبهم لتنشر الفرحة والسَّعادة بسماء المدينة المقدسة، وهنا أغتنمت القناة الأميريكية الشهيرة الفرصة لتقترب من إحدى الفتيات بعد أن جلجلت بزغرودة طويلة تفوقت بها على المصريات اللواتى ابتدعن ظاهرة الزغرودة تعبيرا عن سعادتهن، وإيذانا للنَّاس أنَّ هناك فرحا واحتفالا بالمكان الذى انطلقت منه الزَّغرودة، أو لتُّعلن للنَّاس أنَّ بهذ المكان فرحا لخطبة أو عقد قران عروسين، أو أن هناك احتفالا بحفل زفاف، أو بطهور طفلٍ صغير، وتعددت اللقاءات بين مختلف طوائف الشَّعب الفلسطينى الَّذى قُهر لعشرات السِّنين، بينما وقف العالم عاجزًا مُتفرجا أحيانا، وداعمًا للقاهر أحيانا أخرى، وفجأة هرع أحد المراسلين مشيرا إلى معاونه المصور نحو فتاة لم تتجاوز العاشرة من عمرها بعد، بدت بفرحتها وفستانها الأبيض كعروسٍ أو فلتقل كملاكٍ طاهرٍ هبط من السماء ليشارك الفلسطينيين أفراحهم ويقدم لهم التَّهانىَ والتَّبريكات والدَّعوات وباغتها الشَّاب المُراسل قائلا :

- **هل أنت سعيدةٌ طفلتى الجميلة؟**
- **جدًّا جدًّا عمُّو، بل إنَّنى أكاد أطير نحو السماء فرحًا، لأُقدِّم لله الشُّكر والحمد أن أعاد لنا وطننا ومقدساتنا وحقوقنا، ولأن أقربائى المأسورين والمسجونين ظلما سيعودون إلينا.**

- إذاً فقد أسعدك كلٌّ من الرَّئيس الأميريكى والسَّيِّد رئيس الوزراء الأسرائيلى.
- أبدا عمُّو، بل إن الله هو من أسعدنى بهدايتهم للحقِّ فهو القادر على كل شيء.
- إذاً هل لى أن أسألك عن سرِّ سعادتك صغيرتى الطَّاهرة،
- وهل يحتاج إنسانٌ رُدَّ إليه حقه، أو أُعيد إليه وطنه وحريَّته إلى بيان سبب وسرِّ سعادته؟
- لقد هزمتنى براءتك ولباقتك سيَّدتى الصَّغيرة، فقد تصورت أنَّك ستقولين بأنَّكِ سعيدةٌ لأنَّك ستفوزين بالإقامة بأحد الدِّيار المُريحة والمُجهَّزة بكل وسائل السَّعادة والرَّفاهية، والَّتى سيتركها لكم اليهود بعد مغادرتهم لوطنكم.
- السَّعادة عمُّو تكون بالقلوب الَّتى تسكننا، ولا تكن بالدِّيار الَّتى نسكنها بما تحتوية من رفاهية ووسائل للمتعة، فكم من قصور عاش سكَّانها فى تعاسةٍ وشقاءٍ بينما يكون خدمهم الذين يعيشون فى غرفٍ تحت الأرض فى سعادة وهناء.
- أعتقد أنَّه لمن الشَّجاعة أن أعترف بالهزيمة أمام العالم أجمع، فهلا سمحت لى بسؤالك عن أسباب بلاغتك وفصاحتك وقد هُزمت أمامهما؟.
- أنت لم تُهزم عمُّو، لكنَّك أتيتنى لتسمع كلامًا أردت أنت أن أقوله، لكنَّنى قلت ما هو بداخلى وما يرضينى أنا أن أقوله، لقدت حدَّثتك من قلبى وأعتذر لو أزعجتكم عفويتى وبراءتى.
- ليس هناك أىُّ داعٍ لاعتذارك طفلتى بل وسيِّدتى، وأطمع فى كرمك بالإجابة على سؤالى الأخير قبل أن أتركك تهيمين فى عالمك السَّعيد.
- تفضل عمُّو.
- هل تكرهين اليهود؟



- **هل تسمح لى عمُّو أن أسألك سؤالا واحدًا بعدما سألتنى العديد من الأسئلة؟ فقد تكون إجابة السؤال بسؤالٍ أبلغ وأصدق الإجابات وعلى الأقل فى حالتى.**
- **تفضلى طفلتى الملائكية.**
- **ألا تجد أنك من الأفضل لمعرفة أجابة أكثر صدقًا وواقعيَّة أن تسأل طفلة أميريكية ماذا ستحمل من مشاعر تجاه من احتل وطنها، وقتل أباها، وظل يهددها بأنها ستلقى مصيره إن هى بكت أو تألمت؟ فارتضت مُجبرة أن تحيا يتيمةً، مسكينةً، كاتمةً لمشاعرها وأحزانها بداخلها، ألا تسأل لأم أميريكية ترمَّلت بعد أن قتل زوجها عن مشاعرها تجاه نفس القاتل؟، وتسأل أمًّا أخرى نفس السؤال عندما يُقتل ابنها سواء كان طفلا أو شابا، أو أن يحبس ابنها ظلما وجورا، وتذكر عمُّو أنَّنى سأكون مُمتنَّةً وشاكرةً لك إن نقلت إلىَّ إجاباتهن فى لقائنا المقبل.**
- **لا أدرى حقا عما كان يجب أن أُناديكى طفلتى أم سيَّدتى؟، لكن ما أدريه جيدا أنك أعظم من قابلت بحياتى، إلى اللقاء طفلتى.**

قال ذلك الرَّجل وانصرف خجِلًا مزهولًا، لكنَّه كان كلَّما ابتعد عن الفتاة عاد لينظر خلفه مُتمنَّيا أن يعود لتلك الفتاة، على الأقل حتَّى يشاركها فرحتها، ثُمَّ أفاق عندما استدار فوجد رجلا كان قد اصطدم به وهو ينظر خلفه صوب تلك الفتاة، وقد تبين بعد أن اصطدم به أنه يرتدى زيًّاً بدا عليه إمَّا أنَّه رجلٌ من رجال الشُّرطة الفلسطينيَّة ، أو بطلا من رجال المقاومة الشعبية أو الجماعات الجهادية، فبادره مراسل القناة الفضائية بالاعتذار ثم ألقى عليه تحية الإسلام وهى السلام عليكم، وعندما رد الرجل عليه السلام تفاعل كثيرا وقال موجها حديثة إليه:

- **أولا دعنى أُهنئك وأُهنئ الشَّعب الفلسطينى فى غزَّة، وفى كلِّ مكان على كرتنا الأرضية بمناسبة صفقة القرن الَّتى تبدو بل تُعدُّ عرضًا**

خياليًّاً لم يكن فى حسبان أى حيٍّ يتنفس على ظهر كرتنا الأرضية، بل ولم يكن فى حسبان الموتى فى قبورِهم، ولعلنى أقول إنه أيضا لم يكن يخطر على بال الأجنَّة فى بطون أُمَّهاتها.

- أشكرك أيُّها الأميريكى.
- هل لك أن تُطلعنا على انطباعك لما سمعناه بواشنطن هذا المساء بخصوص قضيتكم المؤلمة والتى أيضا بينى وبينك يعنى عادلة؟
- بدايةً، أنت تعلم أنَّنا لا نثق بكم ولا بقادتكم لِمَ عانيناه ورأيناه منكم ومن وعودكم الزَّائفة، وأنا وكما يبدو لك كمناضل من مناضلى المقاومة الفلسطينية، وقبل أن أستمع لقرار قادتى على تلك المبادرة المشئومة، أعلن رفضى لها تمامًا وبإصرار.
- هلَّا سمحت لى بمعرفة مُبرراتك لرفضها سيِّدى المُناضل المخلص لقضيتك العادلة؟.
- قلت لك وبوضوح: إننا لا نثق بكم ولا بحكوماتكم، إنما نثق فقط بقول قائدنا وزعيمنا عبد النَّاصر الَّذى عاش عظيمًا ومات عظيمًا بعد أن قال: ما أُخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة، ثم ألم تسمع قصيدة الفارس المغوار عنترة بن شداد حين قال:

لا تَسقِني ماءَ الحَياةِ بِذِلَّةٍ	بَل فَاسقِني بِالعِزِّ كَأسَ الحَنظَلِ
ماءُ الحَيــاةِ بِذِلَّةٍ كَجَهَنَّم	وَجَهَنَـــمٌ بِالعِـــزِّ أَطيَبُ مَنـــزِلِ

- الحقيقة سيِّدى، أنا مُضطر للانصراف لإجراء لقاءات أخرى، ولتقبل اعتذارى عن عدم متابعتى للأدب العربى كما تتابعون أنتم آدابنا، لكن لا أُخفى عليكَ سماعى لهذا الاسم كثيرا حين تنادون دائما: أين أنتم يا عرب؟! أين أنت يا عنترة؟! أين أنت يا صلاح الدين؟! والغريب أنَّنى كنت قد قرأت فى كتب التَّاريخ أنَّ صلاح الدِّين هذا كان قد قتل من المسلمين أضعاف أضعاف ما قتل من غيرهم من الصليبيين،

فدعنا ننتظر عودة بطلكم عنترة، أو قائدكم صلاح الدِّين، ولله الأمر من قبل ومن بعد، تحياتي صديقى المناضل المغوار. قال المراسل الأميريكى كليماته هذه ثُمَّ اختفى عن أعين الرجل مُردِّدًا لبعض الكلمات الغير مفهومة باللغة الإنجليزية.

المؤتمر الصحفى

فى مساء الأحد كان كلُّ شيءٍ قد أعد بصورة رائعةٍ لإقامة المؤتمر الصُّحفى بدءًا من خارج القاعة حيث تُفاجأ بفتاةٍ رائعة الجمال تقوم باستقبالك، وتوجيهك، ومعاونتك، وترى تلك الفتاة ترتدى زيًّاً بدا موحدا ككلُّ فتيات الفريق الَّتى كانت هى واحدةً منه، وكان الفريق يقوم على تقديم الخدمات لجموع المحتشدين خارج صالة المؤتمرات وداخلها بكلِّ بشر، وحبور، وسرور، وقد زاد من جمالهن رشاقة قوامهن الَّذى بدا مًتشابهًا طولًا ووزنًا بكل عضوات الفريق الحسناوات وقد أضفى لباسهن الَّذى بدا مماثلًا لجمال وأناقة الباس الَّذى ترتدينة راقصات البالية كاشفا لسيقانهن وأفخاذهن، فمنهنَّ من تحمل باقات الزهور، ومنهنَّ من تهدين الزُّهور البيضاء بأياديهنَّ الملائكية لكلِّ وافدٍ على قاعة المؤتمر، فبدا الأمر مُبشِّرًا مفعمًا بالخير، والعطر، والجمال، ورغم أنَّ الجميع على علمٍ ودرايةٍ تامةٍ بتقاليد ومراسم تلك المؤتمرات، فقد أعاد منسق المؤتمر تنبيهاته بعد تقديم تحياته وأطيب أمنياته للجميع بأن يُعلن كلُّ سائل عن اسمه، واسم الوكالة الصحفيَّة الَّتى ينتمى إليها، ثُمَّ يحدد الشَّخصيَّة الَّتى سيتوجه بسؤاله إليها ثُمَّ يتلو سؤاله، كما نوَّه السَّيِّد المُنسق للسائلين أن يتوخوا اختصار سؤالهم فى كليماتٍ مُختصرةٍ، وأن يكون لكلِّ سائلٍ سؤالٌ واحدٌ، مع عدم السَّماح بالمجادلة للسَّيِّد المُجيب.

بدأ المؤتمر بالصُّورة الَّتى تبدأ بها كافة المؤتمرات من ترحيب السَّيِّد المضيف للضَّيف، وشكر الضَّيف للمضيف على كرم ضيافته،

وبعد هذا سُمح للسَّائل الأوَّل بتوجيه سؤاله فقال بعد إعلانه عن هويَّته وعن الوكالة الَّتى يُمثلها:

- سيِّدى الرَّئيس، لقد جئتكم فقط لأُعلن كمهاجر لبلدكم، زهوى، وافتخارى بأن أكون من المقيين على أرضكم، وبأننى لو لم أكن كينى الأصل لتمنيت أن أكن أميريكيا كما أننى جئتكم أيضا لأُعلن عن افتخارى بكم حيث اقتحمتم مشكلةً معقدةً للغاية، وقمتم باستنساخ حلٍ عبقريٍّ كان من المستحيل على كلِّ أهل الأرض مجتمعين حلَّها حتَّى وإن استعانوا بالجنِّ وكان بعضهم لبعضٍ ظهيرا ومعينا.

ابتسم الرئيس الأميريكى ابتسامة عريضة تعنى أن ما كان لأحد على ظهر هذا الكوكب أن يكون فى دهائه وعبقريته، ثُمَّ اقترب من الميكرفون المثبت على الطاولة التى وقف مختالا أمامها ليقول وهو ينظر إلى الناس يميناً ويسارًا:

- يظُنُّ بعض النَّاس أنِّى مجنونٌ أو مخبولٌ، بل ويدَّعون زورًا أن أميريكا تسعى لخلق التَّوتُّرات، والمُنازعات بكلِّ بقاع الأرض، وإنَّ ما رأيتمونا فعلناه منذ الأمس لخير ردٍّ على هؤلاء الظَّالمين الموتورين، وأقول لهم تذكَّروا دائمًا قول الله عزَّ وجل: "إنَّ بعض الظَّنِّ إثم"، كما أقول لهم أيضا توقفوا عن رمى المُحصنات بالبَّاطل، ولتنظروا بأعينكم أنَّ أميريكا، وهى القوة العظمى الوحيدة على ظهر هذا الكوكب كما تبدو أمام أعينكم، بل وأعين كلِّ من يستطيع الرُّؤية بأعينه، أقول: إن أميريكا وربيبتها إسرائيل تعملان دائمًا على نشر السَّلام العالمى وإرساء قواعده المتينة، وهما حريصتان كلُّ الحرص دائمًا على استعمال القوى النَّاعمة فى سبيل ذلك، فى حين أنَّهما القوتان الوحيدتان بالعالم اللتان يستطيعان وبلا شكٍ، وبلا جدالٍ من أحد باستعمال قوتهما الغشيمة ... عفوا أقصد الغاشمة لبسط إرادتهما، قال ذلك ثُمَّ قال مُوجِّها حديثه للا أحد: اللى بعده.

وهنا تناول السَّائل التَّالى للميكرفون الحر بالصالة وقد خصص للسادة الإعلاميين فقال:

- أهنئكم سيادة رئيس الوزراء الإسرائيلى على الصفقة المُعلن عنها، وسؤالى لسيادتكم هو هل استشرتم أو أشركتم روسيا فى هذا الأمر قبل إعلانه؟ وسؤال أخر : إلى أين أنتم ذاهبون بعد مغادرة فلسطين؟
- مُخطئٌ سيِّدى من يظُنُ أنَّنا على خلافٍ مع روسيا، فالاتصالات بيننا لم تنقطع أبدُا، وبيننا تنسيق دائمٌ وتعاونٌ على كافة الأصعدة، وقد كنَّا نضحك كثيرا عندما ظنَّ العرب أنَّ روسيا أو ما كان يسمى بالاتحاد السُّوفيتى فى حينها كان يُساندهم ويدعمهم سياسيَّاً وعسكريَّاً أبان حرب يونيو 1967 الشَّهيرة، وقد كانت روسيا هى التى أوحت لعبد الناصر بعزمنا على الاعتداء على سوريا وإننا قد أرسلنا حشودًا عسكرية على حدودها تمهيدا لمهاجمتها وكما تعلمون حضراتكم أن ما قالته المخابرات الروسية لناصر كان خبرا كاذبا تماما وكان الهدف منه دفع ناصر لحشد جيوشه للدفاع عن سوريا وكانت فرصتنا لاحتلال المزيد من الأراضى المصرية والسورية والأردنية والفلسطينية وكان ذلك عملا عظيما قدمته لنا روسيا لإشباع أطماعنا فى حينه، أمَّا بخصوص سؤالكم الثَّانى إلى أين نحن ذاهبون؟ فإجابتى هى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ".

تناول السائل التَّالى للميكرفون حيث بدا أكثر حرصًا وتحفظًا فى إبداء آيات الشُّكر لأميريكا وإسرائيل، كما كان بخيلًا فى إضافة الألقاب البراقة الَّتى يستعملونها بكثرةٍ وإفراطٍ فى مسقط رأسه وبعد أن أعلن عن نفسه وهُويَّته قال:

- أشكر لكم منحى فرصة سؤالكم رئيس الوزراء الصهيونى، وسؤالى هو ببساطة ووضوح: ألا تعطون الحق للعرب بصفة عامة؟ والفلسطينيين بصفة خاصة؟ بالشَّك فى نوايا إعلانكم، وبأنَّه خالصٌ

لوجه الله بإعلانكم التَّوبة والرِّجوع عن ظلمكم وغيكم لأبناء عمومتكم كما ادعيتم، وسؤالى الثَّانى لماذا أميريكا؟ وأميركا فقط؟ هى من وقع عليكم اختيارها لإعلان صفقتكم الَّتى لم تعلنوا غير اسمها وبدون أى تفاصيل مثلما حدث فى صفقتكم المسماة بصفقة القرن الأولى، وسوف تقومون بالطبع لاحقًا بتمرير بعض التَّسريبات عنها فقط، وبصفة غير رسمية، ثُمَّ تدَّعون أنَّ العرب قد رفضوها كما رفضوا الصفقة الأولى، فهل تعتبرون أنَّ أميركا هى كبيركم الَّذى علمكم السحر؟

- **ضحك رئيس الوزراء الصهيونى كثيرا، فقلده معظم المُحتشدين حتَّى ضجَّت القاعة بالضَّحك ثُمَّ توقف، فتوقفوا ليستمعوا، فبدأ إجابته بأنَّه لم يكن عسيرا عليه معرفة السؤال الَّذى سيوجه إليه بعد أن أعلن السائل عن هُويَّته العربيَّة، ثُمَّ أردف قائلًا: إنَّهم لطالما عانوا من سوء ظنِّ أبناء عمومتهم، وكرر الآية التى كثيرا ما يستعملونها العرب والمسلمون، "إنَّ بعض الظَّنِّ إثم"، وعن التَّساؤل بأنَّهم يعتبرون أنَّ أميريكا هى كبيرهم الَّذى علَّمهم السِّحر فهو سيخاطب السَّائل بلغته ويقول أنهم فعلوا ذلك ربما إيمانا بالقول المصرى أنَّ من ليس له كبير بيشتريلوا كبير. كما أنَّ المصريين جميعًا يعلمون أنَّنا نُعلِّم السِّحر ولا نتعلَّمه إذ هم على علمٍ ودرايةٍ بعصا موسى أكثر منا.**
- **هل تسمح لى سيادتكم بسؤال أخير أم اكتفى بذلك؟**
- **لك ما شئت صديقى، فقد أقمنا هذا المؤتمر من أجلكم أحبابنا العرب، وأعتقد أنَّ مُنسِّق المؤتمر ومُديره كان قد أخطأ عندما أعلن أنَّ لكلِّ سائلٍ سؤالًا واحدًا، وقد كان عليه أن يمنح العرب ميزةً أكبر بإمكانية تعدد الأسئلة، لكنه ربما كان لا يعلم مدى حبكم للتعددية الزوجية رغم معارضتكم للتعددية الحزبية، وربَّما كان ذلك لجهله بعشقكم للتزاوج والتَّكلم والمجادلة، فتفضل سيِّدى.**

- أراكم فى إجاباتكم تستعينون بآياتٍ من القرآن الكريم وبعض الأمثال العربية، فهل يعنى هذا إعلان إسلامكم جنبا إلى جنب وتزامنًا مع إعلانكم لمبادرتكم؟
- إنفجر الرَّجل ضاحكا حيث كان لا يُمكنه أن يتوقع مثل هذا السَّؤال، وأيضا ضجَّت القاعة بضحكات المحتشدين بها، وعندما أنتهى فاصل الضحك قال رئيس الوزراء وهو يكفكف دموع عينه: أيوه يا أخى أسلمت، ماهى حاجة تكفَّر، ثُمَّ عاد إلى نوبة الضحك.

لم يتقدم سائل أخر وعندما شرع منسق المؤتمر بالإعلان عن انتهائه قاطعه السَّيد رئيس الوزراء، مُعتذرا عن مقاطعته أوَّلا، ومعربا عن اندهاشه ثانياً لعدم تقدم أى من الأعلاميين الفلسطينيين بأسئلة إليه وتمنى على السادة الإعلاميين الفلسطينيين بالتَّقدم بأسئلتهم واستفساراتهم بخصوص الصفقة إن كان لديهم استفسارات، وهنا أنبرى أحدهم مسارعا برفع يده، فناولته فتاة الصالة الميكرفون باسمة فقال:

- أقول لرئيس الوزراء الصهيونى: إننا لم نتقدم بأىِّ سؤالٍ حيث إنَّ إعلان الصفقة كان عبارة عن النطق بعنوانها فقط دون أيَّة تفاصيل نستطيع التَّحاور والتَّجادل فيها وعنها. وهنا سأله الرئيس:
- وأىُّ تفاصيلٍ تريد معرفتها عن انسحاب دون قيد أو شرط؟ وعلى العموم لك أن تتخيل معضلة ما ممَّا تتوقع أن تُمثل مشكلة بصفقتنا، ربما تعوق تنفيذها، فقال الإعلامى الفلسطينى مستأنفا كلامه:
- على سبيل المثال أسألكم عما إذا كنتم قد وضعتم فى اعتباراتكم دفع تعويضاتٍ مناسبة للفلسطينيين نظير الأضرار المادية، والمعنوية، والنفسية التى لحقت بهم جراء اغتصابكم لوطنهم؟ والسُّؤال الثَّانى إن سمحتم عن الدَّلالات والضمانات الَّتى تُعطونها للفلسطينيين بجدية صفقتكم، فكم تعودنا على أن نستمع من السَّادة السِّياسيِّن دائمًا لخطبٍ مليئةٍ بكلماتٍ طيبةٍ مثل السَّلام والعدل، حتَّى نكاد نشعر أنَّنا

نستمع لملاكٍ هبط علينا من السَّماء أو لنبىٍّ يُوحى إليه، وحين ننظر لأعماله لا نرى إلا شيطانا رجيما، فأىُّ سلام تحدثنا عنه سيادتكم ولا زالت يدكم ملوثةً بالدِّماء الفلسطينيَّة، ولَا زالت سجونكم مكتظَّة بالأسرى والمعتقلين والمعتقلات من أبناء فلسطين وبناتها تسومونهم فيها سوء العذاب، ثُمَّ من الذى دمَّر العراق وأفغانستان، وأصدر قرارات بتجويع عدة أممٍ غير أميريكا؟

- مرة أخرى ضحك رئيس الوزراء وضحكت الصالة ربَّما مجاملةً لسيادته، ثُمَّ توقف ونظر صوب سائله، ونصحة بألا يضع جل اهتماماته بالمكاسب الماديَّة وأن يتوقف للأبد عن مطالبة يهودى بتعويضٍ أو بمال وأنتم تضربون الأمثال ببخلنا، فأنتم دائما لا تسألون إلا عن تعويضات ماليَّة وعن زيادة الدَّعم الَّذى يدفعه الداعمون فهل كنتم تحلمون بانسحابنا من أراضيكم إبدا؟ صدقنى صديقى واعلم أن هناك ما هو أعظم من الدَّعم ومن التعويضات.

وهنا أشار مُنسق المؤتمر لحاخام يهودى حيث كان قد فهم بإيمائة من السَّيِّد رئيس الوزراء بانتهاء المؤتمر، تقدَّم الحاخام اليهودى رافعًا يديه للسماء داعيا لله:

اللهم جمِّعنا ولا تفرَّقنا، ووحدَّنا على فعل الخير وإرساء السَّلام بأرضك ولا تشتت شملنا وضجت القاعة بجميع أجناسها هاتفةً .. آمين، فاستأنف دعاءه وألا تُيتم أبناءنا، وأن تُعين شعب الله المختار على تحقيق حُلمه الأبدى، وأن ترضى عنَّا يا إلهنا الكريم، ثُمَّ قال: أشكر الجميع من كل الأجناس الَّذين أمَّنوا بكلِّ الحُبِّ على دعواتنا، كما لا يفوتنى أن أتقدم بالشُّكر للفراعنة المصريين الَّذين علَّمونا وعلَّموا الناس جميعا كلمة آمين نسبة لإلههم آمون.

انتهت مراسم المؤتمر الصحفى بين أحضان وقبلات جُلِّ الحاضرين وانصرف الجميع ليعاودوا متابعة الاحتفالات بشوارع وميادين واشنطون وضواحيها.

أما فى المنطقة العربية فقد بدت وكأن سماءها قد اكتست بالسحب الكثيفة إذ بدا الأمر ضبابيا بكلِّ بلدانها، فقد أعلن المتحدثيين الرَّسميين فى بيانات عاجلة متشابهة أن الأمة العربية، وأن كان قد أسرها وأسعدها البيان الأميريكى الإسرائيلى، إلا أنها تُراقب الموقف والتطورات عن كثبٍ، آملة أن تكون الصفقة جدية، وجادة، وألا تنطوى على مكيدة جديدة، مُعبِّرين عن انعدام الثقة بالجانب الصهيونى، إلَّا أنَّهم وتجاوبًا مع الصفقة سيتم الدَّعوة لعقد اجتماع عاجلٍ للجامعة العربية ينبثق عنه قرارٌ يتضمن الرَّدَّ الشَّافى والكافى على صفقة القرن وعلى كل ما يتعلق بها.

حوار الديوانية

كان الصمت والزُّهول يُخيِّم على وجوه الناس فى الديوانية فتوقفوا عن التحدث عن قصص بطولاتهم وقصص لياليهم الحمراء، كما تناسوا تلك الخراف الشَّهية الَّتى التهموها التهامًا، طيلة حياتهم، لكن الجميل فى الأمر وعلى قدر اعتقادى أن العُرف قد جرى بمجتمعات الديوانيات بأن يصمت الجميع انتظارا لسماع ما سيقوله صاحب الديوانية، ولم يطل الوقت كثيرا إذ توجه سموِّ الأمير بنظره لابنه الطَّيَّار الحربى الَّذى كان يجلس عن يمينه مباشرةً بوجهه المُضئ الَّذى كانت تعلوه مسحة من الحيرة والتَّرقب وبعد أن رشف فنجان قهوته دفعة واحدة سأل ابنه:

- كيف ترى الأمور سائرة بنا بُنىَّ بعد ما سمعته عن تلك الصفقة الَّتى أيدها ووافق عليها الجميع، وهم ينتظرون الآن ردة فعلنا كطرف رئيس فى تلك الصَّفقة؟
- الحقيقة أبى سموِّ الأمير، لا أدرى إن كان علينا أن نسمِّيها صفقة أم صدمة أو صفعة، إن ما سمعناه يبدو رائعًا وسارًا، ومُبهجًا جدًّا فى ظاهره، ولآننا لا نعلم ما بالسَّرائر ولا نتوقع منهم إلَّا للمخاطر، فدائما نشعر بالصدمة والتوهان والحيرة فى مثل هذه الأمور، ولا ندرى ما الَّذى يجب علينا أن نفعله، وما سمعته ليست صفقة سموِّ الأمير، بل هى صدمة، أو لعلك تنطقها صفعة، نحن لا نثق أبدا باليهود وألاعيبهم، ولا نتوقع منهم خيرا أبدا، فقد بدا الأميريكيون واليهود معا، وكأنهم يعملون لوجه الله، ولا يريدون من العرب جزاءً، ولا شكورا، والعرب يؤمنون بما يقوله إخواننا المصريون فى مثل هذه الحالات إن "الحدَّاية مش بترمى كتاكيت"، فلا أدرى سموّك بماذا

أفسر لك ما سمعته أو سمعناه معًا؟ فالعقل يقول فعلا أنها صفقة ستُعيد إلينا كلَّ شبرٍ من أراضينا طوعًا وبلا قتالٍ، ولا قتلى، ولا أسرى، وبلا حاجة لَوجود مجاهدين قالوا أنهم قد اختاروا الجهاد من أجل تحرير فلسطين، وإذا بهم يبدأون جهادهم ضد الجيش العراقى، والجيش المصرى والجيش السورى، يقتلون جنودهم بلا شفقةٍ أو رحمةٍ وبأساليبٍ خسيسة ودنيئة، وحين تُذكَّرهم بأنَّهم قد أعلنوا الجهاد ضد اليهود ليحرروا المسجد الأقصى وفلسطين، يقولون لكَ صبرًا جميلًا أخانا، دعنا نُجاهد أوَّلًا تلك الجيوش الكافرة حتَّى نتمكن من عودة الخلافة الإسلامية، ثُمَّ نتَّجه وعلى رأس المجاهدين يكون خليفتنا لنحرر القدس وفلسطين وكافة الأراضى العربية المحتلة، فالطريق إلى القدس سيمر عبر بغداد ودمشق والقاهرة، ومن هنا فأنا أرى بالنَّظر إلى أوضاعنا، ووهننا، وفُرقتنا، أنَّ هذه الصفقة لا يرفضها إلا أحمق، أو من كان يتاجر بالأزمة وما أكثر المتاجرين بها وفيها، فمنهم من يتحجَّج بها لإقامة الخلافة الإسلاميَّة، أو من يتعلَّل بها من الحكام لقمع شعبه وتجويعه، ومن منهم أيضا يستغلها للتَّغطية على فشله في إدارة بلاده حتى أصبحت فى المرتبة الأخيرة بين البلدان المتقدمة علميا، وثقافيا، واقتصاديا، وسياسيا، بل وأخلاقيا، والأولى بين البلدان المتخلفة، كما أنَّه أيضا لا يمكن لأحد رفض مثل هذه الصفقة وبالصُّورة الَّتى طُرحت بها إلا من كان منَّا، وله بأزماتنا وكوارثنا مآرب أخرى.

هنا التفت سموِّ الأمير صوب المهندس الَّذى لاذ بالصمت منذ قدومه للديوانية وسأله:

- وما رأيك مهندسنا الطَّيب فيما سمعت؟
- ما سمعته سيِّدى سموِّ الأمير من ابنكم سموِّ الأمير كافٍ وشافٍ لتحليل المشروع المسمَّى بصفقة القرن، وقد ذكَّرنى حديثة بمقولة أبى فى مثل هذه الأمور إذ كان قارئًا ومحللا للأحداث جيدا، كما كان

شاعرا مفوها ... وهنا صمت المهندس قليلا إذ كانت دموعة قد جرت عند ذكر أبيه الذى كان يخشى عليه أن يموت قبل أن يعود إليه بعد عامٍ ليُريه الخير الَّذى وصل إليه جراء سفره للعمل بدول الخليج، وبعْد لحظات كفكف دموعة واستأنف حديثه قائلا:

- عفوا سيِّدى الأمير فقد تذكرت أبى الذى لطالما أعاننى على تفسير مثل هذه الأحداث، فأنا أفتقده، وأفتقد أمى، وإخوتى، وأخواتى كثيرا، وقد كنت أقول سيِّدى الأمير، كان أبى قارئا جيدا، وسياسيا بارعا، وكان يكتب شعرًا، كما كان رائعا فى القائه لأشعاره التى كانت فى مُعظمها وطنيَّة، وسياسيَّة، يتحدث فيها دائما عن الأحداث والفتن الَّتى مرَّت وتمرُّ على أمتنا، واعتاد أصدقاؤه وزملاوه بالعمل أن يأتوه كلَّ مساءٍ يسترشدون بأرائه وحكمته فى المواضيع العامة وكانوا دائما قبل أن ينصرفوا عائدين من حيث أتوا يطلبون منه أن يُسمعهم شعرًا، فكان أحيانا يُسمعهم أحدث ما كتب، وأحيانا يمتنع مُتعلَّلا أنَّ وحى الشِّعر لم يأته فى الأيام الماضية، وذات يوم كانوا يتحدثون بمرارة عن الربيع العربى وما خلَّفه من قتلٍ، وحرائقٍ، ودمار، بل إنَّه قد نشر الفوضى والسِّرقة، والبلطجة والأخلاق السيئة التى غدت تسيطر على تصرفات الناس، فلم يعُد الصغير مُحترمًا للكبير، ولم يعُد الغفير محترما للمدير ولا حتى الوزير، وخفت صوت السَّيِّد، وعلا صوت الحقير، وتوارى الوطنيون الشُّرفاء، وظهر علانية الخائنون والعملاء، وأضحى الوطنى خائنا وعميلا، والخونة والعملاء ظهروا كوطنيين شرفاء، وعندما لعن أحد ضيوف أبى المتحدثين عن الربيع العربى للسياسيين الأميريكيين مدعيا أنهم وراء ما يحدث بأمتنا مُدلِّلا على ذلك أنهم هم من أطلقوا عليه ربيعا ليزيدوا البلهاء والأغبياء بأُمَّتنا تحميسا للاستمرار فيه أجابه أبى قائلا:

- لا أدرى صديقى عما إذا كان يجب علينا الآن أن نلعن اليهود وأميريكا جراء ما يحدث فى أوطاننا الآن، فى حين أنهم لم يكونوا

مسئولين عن الفتنة التى اشتعلت نيرانها بعد مقتل سيدنا عثمان، وانقسمت الأُمَّة بسببها إلى شيعةٍ وسُنَّة، ولا زالت منقسمة حتى الآن، فى حين أن أميريكا لم تكن موجودة فى حينه، كما وأننا لم نقرأ عبر كتب التاريخ أنه كانت هناك مؤامرة من طرف خارجى كالرووم مثلا، وكل ما فعله قيصر الرووم فى حينها أنه كان قد كتب لمعاوية يقول: علمنا بما حدث بينك وبين على بن أبى طالب وإنا نرى أنك أحق منه بالخلافة .. فلو أمرتنى أرسلت لك جيشا يأتوك برأس على. واجابه معاوية أن أخوان تشاجرا فما بالك تتدخل فيما بينهما؟ .. فإن لم تخرس أتيت إليك بجيش أوله عندك وآخره عندى يأتونى برأسك أقدمه لعلى. ، كما أننا لم نقرأ أيضا عن وجود مؤامرة دولية تحاك لأُمَّتنا بُغية تدميرها وإعاقة نموها وتطورها وانتشارها، بل أن ما قرأناه فى جُلِّ الكُتب لا يقول سوى أنه كان صراعا على كرسى الحكم، والحكم فقط، وكان هذا عجيبا فى أمة كانت لا تزال تشم عبق وأريج عطر سيدنا محمد (صلَّى الله عليه وسلم)، والَّذى حذَّرنا دائما من الفتن وشرورها، أما الأعجب من هذا، أن آثار نيران تلك الفتنة الَّتى شبَّت واشتعلت سريعًا منذ أربعمائة والف عام ما زالت مستمرةً حتَّى تاريخه بين الشِّيعة والسُّنَّة، فعجبًا لأمةٍ تتقاتل كلَّ هذا الزَّمن بسبب الاختلاف على من كان أولى بالخلافة منذ قرونٍ عديدة، أمَّا الأدهى وألأمرّ بل والأعجب من هذا كلِّه، فهو أنَّ من استعمل كافة الأساليب والوسائل للفوز بالحكم حينها، وبعد أن تحقق له حلمه واستوى على عرش البلاد، ألغى لقب الخليفة وأطلق على نفسة أمير المؤمنين، كما حرص قبل موته أن يغير قواعد وصورة الحكم لتتحول من اختيار الأُمَّة لخليفتها، إلى تعيين الأبن مباشرة ليكون خلفا لأبيه يرث لقبه ومكانته على كرسى العرش بعد موته أو قتله، فيظلُّ هو الآخر أميرًا للمؤمنين حتَّى موته أو اغتياله، أمَّا الأكثر عجبًا فى أمر تلك الفتنة المدمِّرة والَّتى لا زالت الأُمَّة تعانى من تبعاتها، فقد بدأت

برفض معاوية لمبايعته لسيِّدنا علىِّ رضى الله عنه حينما تولى الخلافة، وكانت حجته فى ذلك أنه سيرجئ مبايعته لحين أخذ ثأر عثمان بالقصاص من قاتليه، وأجابه علىِّ (رضى الله عنه) بأن الوقت والظروف لا تسمح بإقامة الحد عليهم فى حينه، وإنه سوف يُنظر فى الأمر عند استتباب الأمن بالبلاد، غير أن معاوية تمسك بموقفه فقامت الحروب الَّتى نعرفها جميعًا، والَّتى انتهت بتولى معاوية للخلافة، وعندما طالبه النَّاس بالقصاص من قتلة عثمان حسبما ينص الشرع، أجابهم أن الوقت والظروف غير مواتية لذلك ونصحهم بالتَّمهل حتَّى تستتب الأمور بالبلاد ثُمَّ يقتص منهم. ولم يتم القصاص منهم طيلة حكم الدولة الأموية وحتى الآن، وهنا هبَّ رجلٌ بدت عليه علامات العزِّ والوقار واقفا وآمرًا للمهندس بالتوقف عن هذا التَّخبيص، والهُراء، والأكاذيب الَّتى يتقيأ بها مُدعيا العلم والمعرفة، ولولا مقام سموِّ الأمير ورفعته لعاقبه على ما تفوَّه به بخصوص أمر الخلافة الإسلامية وقُدسيَّتها، وهنا كان على سموِّ الأمير التَّدخل تلطيفًا للأجواء الَّتى كانت فى الأصل مُتوتِّرة عقب إعلان صفقة القرن خوفًا من أن تأتى بشرور على أُمَّتنا، وعندما هدأ الشَّيخ وجلس مستغفرا لله وداعيا له بالعفو عن المهندس لما اقترفه من جرمٍ بحق الخلافة، توجَّه سموِّ الأمير للمهندس مرة أخرى ليسأله عن مقولة أبيه التى ذكرها ونسى أن يقولها فقال المهندس مستأنفا حديثه:

- كأن أبى حفظه الله يقول: إنَّ أميريكا تعاملنا كما يتعامل رجلٌ مع هرَّته فيقذف لها بكرةٍ البنج بونج ناحية إحدى أركان ديوانيته فتهرع الهرَّة مُبتهجةٌ لإعادتها له ظانَّة أن صاحبها يداعبها إلى حيث قذف بالكرة، فتلتقطها وتُعيدها إلى حجر جلبابه، فيلتقطها ويلقيها بالركن الأخر وتهرع الهرة لتُعيدها إليه، ويستمر الأمر هكذا حتَّى تتعب الهرة من السَّعى بين حجر جلباب الرجل والرُّكن الذى يلقى الكرة إليه، وبعد أن تلتقطها للمرة الأخيرة، تضعها وهى تلهث بحجره وتركع أمامه على

قدميها ورجليها حتَّى تستريح قليلًا، ومرة أخرى يهِبُّ الشَّيخ واقفًا مُحتجًّا على سخرية المهندس بأُمَّته الَّتى هى خير أُمَّة أخرجت للنَّاس، ومرة أخرى يتدخل سموِّ الأمير ليُفهم الشَّيخ أنَّ الرَّجل لم يسخر من أُمَّته برواية مقولة أبيه بل إننى قد فهمت مغزاها إذ تعنى أنَّ الأُمَّة، وأىَّ أُمَّة تُضعف نفسها بتفرُّقها، وبخلافاتها، وتقاتلها تستحق تلاعب الأمم بها، وهنا عاد الشيخ للجلوس احتراما لمقام سموِّ الأمير الَّذى خذله للمرة الثَّانية، مُعزِّيا لنفسه حيث قال وكأنه يوجه كلامه للمهندس: إذاً فلتكمل حديثك فإنَّ ناقل الكفر ليس بكافر، هنا ضحك سموِّ الأمير وعلى أثره ضحك المهندس وبالتالى ضحك جميع الحضور مجاملة لضحك سموِّ الأمير.

إلى تل أبيب

ما إن هبطت طائرة السَّيِّد رئيس الوزراء الأسرائيلى وتوقفت مُحركاتها بمطار اللدِّ حتَّى حاصرها الأعلاميون من كل صوبٍ فاضطر وهو بمنتصف سلم الهبوط أن يشكرهم جميعا ويرجوهم بالانصراف كل إلى مكان عمله، ووعدهم بأن يعقد مؤتمرا صحفيا غدًا، ولهم فقط لشرح الأمور المتعلقة برحلته كاملةً، وبالصفقة الَّتى طرحها على العرب على وجه الخصوص، كما كان حريصا على طمأنتهم بأنَّه لا يوجد على ظهر هذا الكوكب يهوديٌّ واحدٌ يعمل لغير صالح إسرائيل، كما وأيضا ذكَّرهم بأنَّ لليهود حلمًا يجب العمل دائما على تحقيقة، وقد كان قدره أن يكون واحدًا من اليهود الَّذى كان عليه قيادتهم نحو تحقيق هذا الحلم، فانصرفوا تلبيةً لطلبه، فى حين انصرف هو متجها من المطار إلى حيث يقيم الرئيس الاسرائيلى مباشرة، لإطلاعه على ما أعلنه وما لم يعلنه، وكذلك لإطلاعه على ما دار بينه وبين الرئيس والمسئولين الأميريكين.

ما أن قابل رئيس الكيان اليهودى رئيس وزرائه وقبل أن يمدَّ يده مصافحًا له، ومهنئًا على سلامة العودة بادره بغته بسؤاله قائلا:

- هل صارت الأمور كما تمنِّينا صديقى؟
- بل أكثر وأبعد كثيرًا عما تمنِّينا سيِّدى.
- أتظنُّ أنك أفلحت ونجحت فى خداع العرب والعالم أجمع؟
- بل أفلحت فى خداع الجنِّ والدواب قبل الإنس سيِّدى.
- إذا فهذا يكفى، وما عليك الآن سوى أن تتوجه إلى محل إقامتك كى ما تنال قسطا من الراحة، وعندما تستيقظ عليك بتجميع أوراقك وأفكارك للجلسة الطَّارئة للكنيست والَّتى ستعقد فى صباح الغد بمشيئة الله.

قال الرَّئيس ذلك ثُمَّ مدَّ يده مصافحًا ومعانقًا ومهنِّئًا، ومن ثُمَّ تركه ليعود إلى بيته فالعبء سيكون ثقيلا عليه فى الأيام بل والأسابيع المقبلة فى إقناع اليهود وعلى وجه الخصوص أعضاء المعارضة بالكنيست، وما أصعب أن تقنع أحدا وخاصة إن كان يهوديا بمشروع تخفى تفاصيله وتعتبره سرِّيًا للغاية، وكيف تقنع شعبًا يهوديًا بمشروع يبدو لهم من عنوانه وكأنه كتب فى إحدى عيادات مستشفى المجانين، فليعن الله هذا اليهودى المسكين على هؤلاء اليهود الملاعين، الطَّمَّاعيين، الجاحدين، الذين تعودوا دائماعلى النهب، ولم يتعودوا أبدا على العطاء حتى وإن كان جزءًا مما نهبوا.

لم يستطع رئيس الوزراء الخلود إلى النَّوم ربَّما بسبب الإرهاق والإجهاد من رحلة سفر طويلة وشاقة أستمرت ما يقارب العشرين ساعة بالطائرة، بخلاف الجهد الجهيد الَّذى كابدة بأميريكا، فغادر سريره وأمسك بالهاتف الذى أدار قرصه ليحادث السَّيِّد رئيس الدَّولة الَّذى لم يعطه الفرصة للتحدث بل باغته قائلا:

- **يبدو أنك بحالة من الإثارة والتَّرقب، جعلت الأرق ينتابك رئيس وزرائى.**
- **نعم سيِّدى ربَّما كان ذلك هو السبب، وربَّما كان الإجهاد، وربَّما كان الانشغال بالتَّفكير فى كيفيَّة شرح الأمر على الشَّعب اليهودى، والأدهى من ذلك هو كيف سأستطيع أن أقنع معارضى حكومتنا بعنوان مشروع فقط حيث أن التفاصيل محفوفة بالمخاطر، ومليئة بالألغام، وأخشى إن قُلت التَّفاصيل كاملة أن يبوح بها أحدهم وهو فى حالة سكر بَيِّن فيغنم أعداؤنا العرب بمعرفتها ويعملوا على كشف وفضح مخططنا فى تحقيق حلمنا الأبدى.**
- **أُنبِّهك صديقى أوَّلا إلى نسيان استعمال كلمة أعدائنا عندما تتحدث عن العرب من الآن فصاعدا، وتذكَّر دائمًا وحتَّى فى لحظات يأسك**



وغضبك أن تلتزم باتفاقنا على مناداتهم باعتبارهم أبناء عمومتنا وأحبَّائنا.

- **حسنا سيِّدى سأراعى ذلك مستقبلا، ولكن ما العمل الآن.**
- **لقد اتصلت برؤساء أحزاب المعارضة بالفعل وسيصلك خطاب منى للتَّوِّ، به بعض التَّفاصيل بهذا الخصوص حتَّى تُراعى ما به فى الاجتماع الذى سيضمك معهم بمنزلى عند الثَّامنة مساءً، وأرجو أن تنال قسطا من الراحة الآن، حتَّى تكون بحالة أفضل عند محاورتهم كما أنبهك بالتَّحلِّى بالصبر والتُّؤدة وإظهار الحميمية لهم، وبأنَّكَ تلمس وتُقدِّر وتُثمِّن وطنيتهم، وإخلاصهم للقضيَّة اليهودية.**
- **أمرك سيِّدى لكن أستسمحكم بعدم تكرار تعبير القضية اليهودية والاكتفاء باستعمال تعبير الحلم اليهودى حيث إننى أصبحت أشعر بالتشاؤم من فرط ما أطلق العرب لمصطلح القضيَّة عندما يتحدثون عن المأساة الفلسطينية.**

فى اجتماع الثَّامنة بمنزل السَّيِّد رئيس الكيان الصهيونى كان الجميع مُتفهما للتَّكتُّم على تفاصيل صفقة القرن الثَّانية والأخيرة، وقبل الانصراف التفت رئيس أكبر وأقوى أحزاب المعارضة الإسرائيلية للرئيس الصهيونى وقال:

- **أتمنى سيِّدى أن نجتمع بنفس المكان خلال أيام لنشرب نخب أبناء عمومتنا وأحبائنا محتفلين ومبتهجين بموافقتهم على الصفقة.**
- **أتمنَّى ذلك عزيزى.**
- **سيِّدى لا أستطيع إخفاء تخوفى بأن يلحق بك ما لحق بالسَّيِّد إسحق رابين عندما سار بطريق السلام، لدوره فى معاهدة أوسلو الَّتى منحت السُّلطة الفلسطينيَّة السَّيطرة الجزئية على كلٍّ من قطاع غزة، والضفة الغربية، وكذلك توصله لاتفاق سلام أيضا مع الأردن وكان يسعى للاتفاق مع سوريا والانسحاب من هضبة الجولان، وربَّما كان**

هذا هو السَّبب الرئيس لاغتياله بيد يهودى، وكان هذا فعلا مُخزيا ومُفجعا لليهود جميعًا وما فعله المرحوم والمغفور له رابين أهون كثيرا من صفقة القرن.

- **الموت علينا حق صديقى العزيز، ولكل أجلٍ كتاب، ومن لم يمُت بالسَّيف مات بغيره، ألم يقل أبناء عمومتنا و أحبَّاؤنا ذلك دائمًا.**

هنا قال الرئيس مُنهيا للِّقاء: أتمنى رئيس وزرائى إلا تعلن إسلامك قبل موافقة العرب على صفقتنا، فلكم أراك مُؤخَّرا تستشهد بآيات من قرآنهم، وشِعرهم، وأقوالهم حتَّى إنَّنى كدت أشك بأنَّهم قد استطاعوا تجنيدك كى تكون عميلًا لهم بيننا، ولأن الشيء بالشيء يذكر فلتعلموا أنَّنى أصدرت أوامرى لجهاز الاستخبارات لدينا بتنشيط عملائنا فى كلِّ شبرٍ بالعالم العربى، بل وخارجه أيضا، على أن يوافونى بالتَّقارير بصفةٍ يوميَّه، كما أن هناك خبرا يبدو جيِّدًا حيث أعلنت الجامعة العربيَّة عن عقد مؤتمر قمةٍ طارئٍ الأسبوع المقبل، يسبقه اجتماع لوزراء خارجيتهم تمهيدا لذلك، هنا اقترح أحد أقطاب المعارضة على الرَّئيس الإسرائيلى بأن يعرض على المعتدلين من القادة العرب دعوة إسرائيل لحضور هذا المؤتمر كضيف شرفٍ، فهناك مؤتمرات عديدة عقدتها الجامعة ودُعى فيها رؤساء بعض الدول لحضورها كضيوف شرف. فأجابه الرئيس قائلا: صدقت فقد حدث هذا بالفعل لكن لاحظ أنك تتحدث عن ضيف شرف وليس ضيف قرف من أمثالك، وهنا ضحك الجميع وانصرفوا.

الإعلام

بينما لوحظ تكتم وتحفظ الهيئات الرَّسميَّة، والشَّخصيات السِّياسيَّة فى البلدان العربيَّة على التَّعليق على ما يجرى بخصوص تلك الصَّفقة، نشطت الفضائيَّات وكثَّفت من برامجها ولقاءاتها بهذا الخصوص، فمنها من استقطب بعض المحلِّلين والخبراء السِّياسيين، والعسكريين المشاهير المحببين لدى جمهور المتابعين بحسن تحليلاتهم وصدق رؤاهم للأحداث، مُستغلَّة حبَّ العرب للحوارات ومعاركها، وكما يُشبع المشاهدون رغباتهم بمتابعة مثل هذه البرامج حيث إن النَّاس ببلادنا لا يجدون ما يستثمرون فيه أوقاتهم ويستنزفون به حياتهم غير الكلام والجدال وأحيانا إعطاء الدروس والمواعظ لأناس ما عادت تهتم بأن تتعظ، والإعلاميون وأصحاب تلك القنوات الفضائية يُشبعون رغباتهم فى الانتشاء بتزايد أعداد مُتابعى قنواتهم إذ يعود ذلك بالنَّفع الكثير عليهم إمَّا بنشر الإعلانات التُّجارية، أو بتحقيق الهدف الَّذى من أجله أنشأت قنواتهم، فجميعنا يعلم أن الإعلام أداةٌ تُعد من أقوى الأدوات والوسائل الحديثة لنشر فكر معين سواء كان محمودًا أو مذمومًا، ضارًا أم نافعاً، ثُمَّ إنهم يبيعون بضاعتهم بالمجان فهم لا يبيعون غير الكلام، ورغم أن الكلام رخيص فى ثمنه، غير أنه باهظ الثَّمن بتأثيره، فكم من برامج ساهمت فى تحريق أُمَّة، وتفريق أُمَّة أخرى، وتدمير أمم عديدة، وما حدث من حرائق وقتل وهدم ببلدان الرَّبيع العربى كان خير شاهدٍ على ذلك عندما اندسَّ الخونة الأشرار بين الشرفاء الثوار.

كان المهندس الشَّاب جالسا إلى جوار سموِّ الأمير الَّذى يعمل لديه حيث دعاه لزيارته لمتابعة زيارة رئيس بلاده للمملكة، ليريا سويًّاً ما ستسفر عنه هذه الزِّيارة فيما يتعلق بصفقة القرن، وعقب انتهاء نشرة الأخبار التى جعلت مُعظم أخبارها عن تفاصيل تلك الزِّيارة الهامة بالصوت والصورة، حيث عرضت مراسم مُغادرة سيادة الرَّئيس أرض بلاده، ثُمَّ مراسم استقباله بحفاوة وفرح وسرور، ثُمَّ عرض صورة صامتة تجمعه بسموِّ أمير البلاد المفدَّى، وبعد انتهاء نشرة الأخبار سأل سموِّ الأمير المهندس عن انطباعه عمَّا رأى وسمع حول تلك الزِّيارة فقال المهندس ضاحكا، أو ساخرا ربَّما:

- عن أى زيارة تسألنى سيِّدى؟.
- زيارة رئيس بلدكم لأميرنا كما شاهدناها للتَّوِّ معا.
- لم أسمع سيِّدى ولم أرَى سوى مراسم وداعٍ كان فيها السَّيِّد رئيس وزرائنا، وفريق وزرائه، وكبار الشَّخصياتٍ الهامة ببلدنا يصافحون فخامة الرَّئيس مُتمنِّين لسيادته سلامة الوصول بمشيئة الله لوطنكم العزيز، وداعين لله أيضا بعودته سالمًا غانمًا لوطنه وشعبه، وقد استغرقت مراسم الوداع عشر دقائق ولم ينصرف المودِّعون إلا بعد أن رأوا بأمِّ أعينهم طائرة السَّيِّد الرَّئيس مُحلِّقة بالسَّماء ومقتربة من حدود مملكتكم حفظها الله من كل سوء، ثُمَّ رأيت مراسم هبوط طائرة فخامته بمطاركم، حيث كان فى استقباله سموُّ أمير البلاد المفدى عند سلم الطائرة مُرحِّبًا بفخامته بحفاوتكم المعهودة ، ثُمَّ استعرضا حرس الشَّرف وعُزف السَّلاميين الجمهورى والملكى، ثُمَّ مُصافحة المستقبلين من السَّادة الأمراء والسَّادة أعضاء السِّفارة، وكذلك علياء القوم، وقد استغرق هذا خمسة عشرة دقيقة، ثم عرضت النشرة صورة فخامة الرئيس ومُضيِّفه جلالة الملك، وبينما كانت الصورة صامتة أعلن السَّيِّد المذيع أنِّ فخامته وجلالته قد ناقشا العلاقات الثنائية المتميزة بين بلدينا، كما ناقشا سبل تحسينها، وتعميقها،

وتطويرها على كافة المستويات، وقد حرص السَّيِّد المذيع على الشَّهادة بأنَّ المباحثات كانت ودِّية للغاية وسادتها روح الأخوة والتفاهم والاتفاق فى الرَّأى حول القضايا المطروحة على السَّاحتين العربيَّة والإقليمية وكذلك الدوليَّة، ثم أنتهت النَّشرة بعرض مراسم الوداع للضَّيف الكبير بعد انتهاء التَّشاور حول الوضع الراهن لأُمَّتنا الَّتى تمر دائمًا وأبدًا بمنعطف تاريخى، وما أكثر منعطفاتها ومزلقاناتها.

- هناك مُهندسنا أمورٌ ليس من الصَّواب إعلان تفاصيلها حتَّى لا يكشف الأعداء ما يدور بيننا وما يدور برؤسنا وما نفكر فى العمل به، فالأعداء بنا متربصون، لا يريدون لنا الخير والرَّخاء، ولا الأمن ولا الأمان، وربَّما لهذا لا يُطلعنا حُكامنا على ما يدور بينهما من حوارات ومناقشات، وانت خير من تعلم أنَّ الحيطان لها ودان، ولهذا فحسبنا أن يُحيطونا علمًا بأنَّها كانت وديةً وأخويةً ومثمرة، ولأنها دائما كذلك فجميع لقاءات حكامنا تحظى بأصداء دولية وإقليمية ومحلية، وأظنُّ أنَّ نشراتنا القادمة ستعلن ذلك.
- لن أجادلك سيِّدى فى هذا كثيرًا، وما أردت أن أقوله إنَّنى لم ألمس أى أصداء محلية بعد مثل تلك الزيارات وأنا من المحليين، فكيف يكون لها أصداء عالمية؟ لا أدرى.
- إذاً دعنا نقفز خارج هذه القناة ونتجه نحو القناة الَّتى هى مثار جدلٍ دائمٍ فى بلداننا، فقد أطلق عليهم الكثير من المصريين أبان ثورتهم بالحقيرة، وأطلق عليها بعضهم لقب العميلة، وبعضهم لقب الخنزيرة، فهل أيدتنا فى مشاهدة وسماع ما تقوله تلك القناة عن هذه الزِّيارة؟
- أنا لا أمانع سيِّدى فى مشاهدة واستماع ما يقولونه عنَّا، فقد علَّمنى أبى أن أستمع للعدو وللصديق على حدٍ سواء، ثُمَّ أُحاول استبيان الحقيقة مُستعملًا قلبى وعقلى وعلمى وعينى ويقينى، كما يعنينى هنا سيِّدى الأمير أن أشهد لهذه القناة وفى بدايتها أن مُلاكها الأوائل

قد أوصلوها للمستويات الإعلامية العالمية بإمكاناتها المالية البالغة، وبتقنياتها الفنية العالية، وقد نالت شهرة عالمية لم تحققها أى قناة عربية أخرى حيث اغتنمت ما كان يسمى بأشهر الأعمال الإرهابيَّة منذ ظهور الجماعات الجهاديَّة كما يُسمونها أصحابها، والجماعات الإرهابيَّة كما يُسميها من ينالهم تفجيراتها، ففى الحادى عشر من سبتمبر سنة ألفين وواحد، أذاعت تلك القناة فيلما مُصوَّرًا للحظات اصطدام طائرات مدنيَّة ببرجى التجارة بمدينة نيويورك الأميريكية، كما صورت لحظات انهيارهما وشعور الأميريكيين بالخوف والهلع، كما كان لتلك القناة سبقًا إعلاميًّاً تاريخيًّاً نادرًا حين أذاعت تسجيلًا صوتيًّاً لأسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة عقب انهيار البرجين يتوعد فيه أميريكا وزعمائها بالمزيد من الصفعات والتفجيرات، والعجيب أن أحدا لم يسأل نفسه كيف وصلت هذه القناة لزعيم تنظيم القاعدة الذى يقيم بجبال أفغانستان الوعرة فى حين عجزت أجهزة مخابراتية عن رصد مكان إقامته، وهذا ما يحاولون إيهامنا به، مما جعل النَّاس تظنُّ أنَّ هناك جهازًا مخابراتيًّاً جبَّارًا يعمل وراء تلك القناة، بل يدعمها ويُعينها، ومن النَّاس أيضًا من أثنى على براعتها، ومن تشكك فى نواياها، ومنهم من تخوف من ردة الفعل الأميريكى الَّذى اغتنم الفرصة للتَّشهير بالإسلام مدعيا أنَّه دينٌ إرهابيٌ يريد تدمير الحضارة والبشريَّة، ومنهم من لعن بن لادن ومن معه، ومنهم من ابتهج به وبصفعته القاسية على الوجه الأميريكى القبيح، غير أن الجميع اتفقوا على أن تلك القناة فعلت ما عجزت عنه قنوات دولية أكثر منها شهرةً وانتشارًا وبذلك احتلت تلك القناة مكانة مرموقة بين القنوات العالمية وحظيت بنسبة مشاهدات لم تبلغها أىٍّ من القنوات فى أوطاننا من قبل.

- **إذاً دعنا نتحول إليها لنرى ونسمع ماذا سيقول من ستستضيفهم من المحلَّلين السِّياسيين بخصوص الزِّيارة والقضايا الَّتى تهم أُمتنا.**

ظهر الإعلامى العجوز الَّذى يشبه وجهه وجه الثعلب النحيف وكأنه لم يأكل منذ عام ثم نجح فى الفوز بصيد ثمين يكفى إطعامه لعدة أيام مقبلة، وبدأ برنامجه هاتفًا بصورةٍ جديةٍ وقاطعةٍ:

- **"إتلمِّ المتعوس على خايب الرَّجا" ... هذا هو عنوان حلقة اليوم عن زيارة قائد الانقلاب إلى مُؤيده وداعمه ومُموِّله الرئيسى، ثُمَّ قدَّم التَّرحيب لضيفه من أنقرة، وضيفه من أميريكا، والثَّالث من غزَّة، وتوجه بسؤاله مباشرة إلى ضيفه التُّركى قائلا:**
- **قل لى ضيفنا من أنقره، كيف ترى أسباب ومُلابسات وأهداف تلك الزِّيارة؟**
- **إنَّ ما يجرى بأُمَّتنا سيِّدى، ما كان ليجرى إلَّا نتيجة للانقلاب الَّذى قاده العسكر فى مصر للإطاحة بحكم الإخوان المسلمين، وإعاقة إقامة الدولة الإسلامية بمصر ومن ثُمَّ إعاقة وتأخير إقامة دولة الخلافة العثمانية بأنقرة والَّتى ستُعيد للأُمَّة هيبتها ومكانتها، ولتسترد إمبراطوريتها التى كانت تمتد من حدود الصين شرقا وحتى جنوب فرنسا غربا مشتملة وفيما بين الشَّرق والغرب على جميع دول شمال إفريقيا. وما كانت إسرائيل لتعلن عن صفقتيها الأولى، ولا الثانية والتى بدا فى تسميتها تهديدًا لأُمَّتنا، وإلَّا فما معنى تسميتها بصفقة القرن الثانية والأخيرة؟**

وهنا ينقل المذيع الميكرفون عبر الشاشة إلى ضيفه من غزة سائلا له:

- **ما هو تعليقكَ سيِّدى على ما سمعنا من ضيفنا فى أنقرة؟.**
- **نعم لقد أصاب ضيفكم الكريم كبد الحقيقة، وأغتنم هذه الفرصة لأُذكِّركم، بل وأُذكِّر العرب، والعالم كلَّه، أنَّ حماس قد تصدت لانقلاب العسكر فى مصر على الرئيس الإخوانى المنتخب ديمُقراطيا، وذلك باعتبارها فصيلا تابعا لتنظيم الأخوان المسلمين فى مصر إذ كنَّا قد**

تحسَّبنا لذلك وتوقَّعناه مُسبقا، فقمنا بنشر فصائلنا بسيناء متعاونين مع من جاءوها من متطوعى ومجاهدى داعش، بل إنَّنا قد يسَّرنا مرورهم وتسليحهم وإقامتهم بسيناء عبر أنفاقنا الَّتى تضاعفت أعدادها وتفريعاتها بصورة أكبر وأمتن وأروع أثناء حكم الأخوان المسلمين لمصر، والَّذى وكما نعلم جميعا لم يستمر سوى عامٍ واحد، وقبل وقوع الانقلاب قمنا بتنفيذ بعض العمليات لإيصالٍ رسالة للمصريين بقوة تواجدنا وقوة رجالنا وعتادنا، وهنا أغتنم هذه الفرصة كى أقدم الشكر لدولة تُركيا، وكذلك لدولتكم على دَّعمكم الَّذى أوليتمونا أياه على كافة المستويات المالية منها والمعنوية لتنفيذ مُهمتنا الَّتى قمنا بها على قدر طاقتنا، غير أنَّنا وللأسف قد واجهنا جيشًا عنيدًا قويَّاً لم يكن لنا به طاقة، وحسبُنا هنا أنَّنا قد قدَّمنا وفعلنا كلَّ ما استطعنا فعله إخلاصا لتنظيمنا العالمى، ونعد بمواصلة العمل والجهاد دون كللٍ لإقامة الخلافة الإسلامية العثمانية ومقرها أنقرة.

هنا نقل مقدم البرنامج الكلمة لضيفه من نيويورك الَّذى طلب وقتًا كافياً لأن هناك بعض النقاط الهامة الَّتى يود طرحها وبعد موافقة مقدم البرنامج قال:

- حسنا أصدقائى، فقد استمعت للمتحدثين اللذين سبقانى بالحديث إلى ما ليس له علاقة لا بموضوع الحلقة ولا بصفقة القرن الثانية غير ما قاله الصديق التركى بأنه لولا انقلاب العسكر فى مصر على حكم الأخوان، لما تجرأت إسرائيل على عرض تلك الصفقة، وإذا ما كان للانقلابات فضل فى مثل تلك الصفقات فربما كان الفضل فى تلك الصفقة عائدا لانقلاب أميركم على أبيه أو انقلاب أبيه على أبيه، والحقيقة أننى لا أدرى ما هى الجرأة التى تحتاجها صفقة تعتبرها الإدارة الإميريكية فرصة العمر أمام العرب عامة، والمسلمين بصفةٍ خاصة، وأرجو الكفَّ عن ذكر الانقلاب فيما يُفيد وفيما لا يُفيد، فنحن بأميريكا تعلمنا ألا نضيع وقتنا فى حواراتٍ غير جادةٍ وغير مثمرة،

أما بعد، وأعتقد أنكم جميعا سمعتم بل نقلتم وقائع الإعلان عن الصفقة من واشنطن فى لقاء المسؤلين الأميريكى والاسرائيلى، وأعود للزِّيارة محل النِّقاش وأقول إن المراقبين اليهود والأميريكيين يتطلعون إلى نتائج مُبشِّرة ستسفر عن لقاء أكبر زعيمين بمنطقتكم العربية، ويعوِّلون الكثير على هذا اللقاء فلتعلموا أن الأوساط السياسية هنا مهتمة للغاية بمتابعة ما ستسفر عنه تلك الزيارة.

هنا ظهرت علامات الاضطراب على وجه الثَّعلب العجوز مُقدم البرنامج فقد بدا له أن الضيف الأميريكى قد خذله إذ لم يلتزم بما اتفق عليه مع المُعد للبرنامج، بخصوص ما سيتحدثون عنه فعاد ليسأل الضيف من أميريكا مُستدركًا للأمر:

- كنا لا نعلم عن صفقة القرن الأولى غير عنوانها، ألا تفضلت بإطلاعنا على تفاصيل هذه الصفقة ؟.
- يبدو سيِّدى أنَّك لم تكن مُنتبها لإجابة السَّيِّد رئيس الوزراء الإسرائيلى على نفس السؤال بالمؤتمر الصحفى الذى عقد بواشنطن.
- إذاً فلتذكرنى بها، ولكم الأجر والثَّواب عند الله.
- كانت الإجابة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ).
- إذاً وعلى أى أساس ترى أن على العرب اتخاذ قرارهم بخصوص الرفض أو القبول لتلك الصَّفقة ما داموا يجهلون تفاصيلها؟
- أىُّ تفاصيل تلك الَّتى تتحدث عنها سيِّدى؟ أعتقد أنك ومذ ولدت تسمع العرب يقولون، ويكتبون أن أميريكا وأوروبا مكَّنوا اليهود من اغتصاب فلسطين لتكون شوكة فى ظهر العرب، والآن أرادت أميريكا نزع هذه الشَّوكة بالانسحاب من فلسطين، ومن ظهوركم، ولا يتصور أحد على وجه كوكبنا الأرضى أن يرفض العرب مجرد عنوان الصفقة دون النَّظر إلى تفاصيلها، إلا إن كانوا يُفضلون بقاء الأمر على ما هو عليه.

شعر مقدم البرنامج أن زمام الأمور قد أفلت من يده تماما، فسعل، وتنحنح، ثُمَّ قدَّم الشُّكر لضيوفه معلنا نهاية اللقاء والحوار ليتيح الفرصة لمخرج البرنامج لعرض فيلما وثائقيا عن تاريخ القضية الفلسطينية منذ اغتصاب اليهود لها مُتمنِّيا مُتابعةً مُمتعةً للسَّادة والسَّيِّدات، والآنسات المشاهِدين والمشاهِدات، الأحياء منهم والأموات.

عبر سموِّ الأمير عن عدم ارتياحه بما سمع ورأى من عداوة كانت محشوة عن عمدٍ بين كلمات ضيفى البرنامج من أنقرة وغزَّة، حيث نددا بالثَّورة الَّتى شبَّت بمصر على حكم الإخوان معتبرينها انقلابا، وبأن العسكر هم من أتاحوا لإسرائيل التَّلاعب بمقدرات أمتنا بانقلابهم على حكم الإخوان، وقد لاحظت دائما استعمال تلك القناة لمصطلحات ثابتة ومتكررة دائما بمناسبة وبدون مناسبة ألا وهى العسكر، والسيسى، والإنقلابيين، وكأنهم لم يروا جموع الشعب المصرى التى قدرت أعدادها بما يفوق الثلاثين مليونا يُطالبون جيشهم بالتَّدخل لإنقاذ البلاد، بيد أنَّه عبر عن إعجابه بما سمع من الضيف الأميريكى، وقد أيده فى ذلك المهندس الذى أضاف لتأييده أن تلك البرامج قد أُنشأت لتنفيذ أجندات خاصة بسياسات بعض الحكومات الَّتى لها أطماع ببلادنا دون أن تدرى بأنَّها تُنغِّص على الإنسان العربى والمسلم حياته، بل وتشعره بالخوفٍ دائمًا، وهنا قال أحد الجالسين بالديوانية:

- والله صدقت يا مهندس، فإنَّ نشرات الأخبار، والبرامج الحواريَّة العربيَّة حين نسمعها ونراها، نشعر أنَّ الحرب العالميَّة الثَّالثة قد نشبت بالفعل على أراضينا، حتَّى إنَّنى أذكر الآن حين أذاع التِّلفاز خبر احتلال العراق للكويت، وأن القوات العراقية تتجه نحو الجنوب

قاصدةً السَّعودية، قلت بصوت خفيض: حاسس بمصيبة جايالى يا لطيف يا لطيف، وإذا بى أسمع زوجتى من خلفى تقول:

- خير حبيبى عسى ما شر؟ ولم أجب، فسألتنى: متى سأفى بوعدى باصطحابها لباريس للتَّنزه وشراء بعض الأزياء ثُمَّ العودة عبر البحرين لشراء هديتها الماسيَّة وبعض الذَّهب التى كانت طلبته منذ أسبوع بمناسبة عيد ميلادها وأنا لا أُحرك ساكنًا، بل أبدو كلوح الثلج لا أعطى سوى بعض قطرات المياة، ثُمَّ عادت لتقول وكأنها تسدى إلى معروفا: واهو كمان عشان المصيبة لا تجيلك، فقلت لها أبشرى فقد جاءت المصيبة بحديثك الآن، ثُمَّ غمغم قائلا اللى يشوف بلاوى نشرات الأخبار تهون عليه بلوته. فأجابه أحد الجالسين متندرا:
- وحياتك ما دمت رايح باريس لا تنس أن تحضر لامِّ العيال عندى فستانا أحمرًا وآخر أبيضا. لأنها تعشق هاذين اللونين بجنون.
- ولماذا تحبهما؟ هنا تدخل ثالث ليقول:
- بالتأكيد هى تحب الأحمر لعشقها لمصارعة الثيران، هنا تدخل ثالثا لينهى الحوار قائلا:
- أخرص يا تور انت وهوا، دعنا نستمع لما يقوله مهندسنا فيما سمعه معنا من تلك القناة المُحيَّرة والتى لا نفهم حرصها ودأبها على نشر الأكاذيب للتفريق بين الأشقاء .

هنا اقترح المهندس على سموِّ الأمير تحويل التِّلفاز على قناة تربل إن أى"إن إن إن، وبالإنجليزية " NNN "، حيث يرى بها بعض الحياديَّة والأمانة، أو على الأقل أكثر إفادة من تلك القناة الَّتى يكرهها العرب عامة والمصريون خاصة، حتَّى إن الكثيرين يتهمونها بالعمالة، أو إنَّ الكبار يستغلون ثروات تلك الدَّولة لتنفيذ أغراضهم، وبالتَّأكيد أغروه بتعينه نائبًا لخليفة المسلمين، أو وليا للعهد فى بلاطه السلطانى، فهى القناة التى أهوى متابعتها لاهتمامها فى عرض القضايا الجارية والهامة عربيَّاً ودوليَّاً، باستضافة أصحاب التوجهات

المعاكسة فتعرض الرأى والرأى الآخر باحترامٍ ونزاهةٍ، بل وتفتح خطوط الاتصالات الهاتفية مجانا للجمهور، مُتيحة بذلك الفرصة لكل من أراد أن يعبر عن رأيه سواء بالقضية المطروحة للنِّقاش، أو لمناقشة الضِّيوف فى آرائهم، وبالفعل قام المسئول عن إدارة تلفاز الدِّيوانية بالبحث عن القناة حتَّى توصَّل إليها فى الوقت الَّذى كانت تعرض فيه بعض الأعلانات التى تسبق برنامجها الشَّهير "النوافذ الخلفية".

ظهر مقدم البرنامج الأربعينى عارضًا ثلاث صور متجاورةٍ لفلسطين، الصُّورة الأولى على اليمين كُتب عليها فلسطًين، وعلى الصورة الوسطى كُتب إسرائيل وإلى اليسار وعلى الصُّورة الثالثة كُتب فلسطين مرة أخرى، وقد أشار إلى الصُّور قائلا:
كانت تُسمى فلسطين وسكَّانها من العرب، ثَّم اغتصبتها إسرائيل وكتبت عليها إسرائيل فى الوثائق اليهودية واحتفظ العرب باسمها الأصلى فلسطين فى وثائقهم وخُطبهم، والآن تعرض إسرائيل الانسحاب الكامل من فلسطين دون قيدٍ أو شرط، وذلك طبقا لاتفاق واشنطن منذ أيام فيما سُمَّى بصفقة القرن الثَّانية والأخيرة، كما أعلن أنَّ إسرائيل وبالتَّعاون مع حليفتها الدائمة أميريكا قد قررتا ذلك، كخطوة هامة فى طريق تحقيق الحلم اليهودى وكذلك لتحقيق الحلم الفلسطينى بعودة الفلسطينيين إلى وطنهم وأرضهم وديارهم، وكان طبيعيَّاً أن تُسارع إسرائيل على لسان رئيسٍ وزرائها بالموافقة على الصفقة، وهذا يبدو لنا بديهيَّاً إذ إن الطَّبخة قد طُبخت بالمطبخ اليهودى الأميريكى، ثُمَّ دعوا العرب للموافقة عليها بدورهم.

اختفت صورة السَّيِّد مُقدم البرنامج، وكذلك أختفى صوته، وعُرض فيلمًا تسجيليا يُصور لحظة الإعلان عن الصفقة ومن ثُمَّ ابتهاج جميع المُتواجدين بصالة المؤتمرات فى حينه، ثُمَّ انتقلت

الصُّورة لتعرض مظاهر الاحتفالات الَّتى اشتعلت بعد المؤتمر مباشرة بواشنطن، ثم امتدت لمعظم الولايات الأميريكية، وبعضٍ من دول العالم ومنها القدس، وما أن انتهى الفيلم حتَّى عاد السَّيِّد مُقدم البرنامج مُرحَّبًا بضيوفه عبر سكايب بادئا بالسَّيِّد جورج المحلل الاستراتيجى الأميريكى من واشنطن، والسَّيِّد زياد الفلسطينى الحاصل على الجنسية الأميريكية والمقيم بولاية كاليفورنيا، ومن القدس السَّيِّد أبو إياد المُنتمى لحركة حماس، والسَّيِّد أبو ملحم من تل أبيب وهم ممَّن ينتمون إلى عرب 48، والسَّيِّد منير مدير مركز ابن زيدون، وبعد أن ذكَّر السَّادة المشاهدين بالاتصال على الرقم المكتوب أسفل الشاشة لمن أراد المشاركة، ولم ينسَ أن يُذكِّرهم أيضا بأن الاتصالات ستكون مجانية، ثُمَّ توجه بسؤاله للسَّيِّد جورج من واشنطن:

- هل لديكَم المزيد من التَّفاصيل سيد جورج حول تلك الصفقة يمكنك من خلالها معاونة القادة العرب وشعوبهم على اتخاذ قرارهم؟
- بعد التَّرحيب بك وبضيوفك الأعزاء، وبالسَّيِّدات والسَّادة المشاهدين، دعنى أسألك أنا: ما هى التفاصيل الَّتى تظنُّ أن العرب قد يحتاجونها ليتمكنوا من تحديد موقفهم من صفقة تُعلن فيها إسرائيل وبوضوح لا يدع مجالا للشك وعلى مرأىً ومسمعٍ من شعوب الأرض قاطبة عن انسحابها الغير مشروط من كافة الأراضى الفلسطينيَّة والعربيَّة المُحتلة؟ الموضوع ببساطة سيِّدى أنَّ لصًا ذهب لاقتحام دار أحدكم ليقيم فيه بعد أن طرد الرجل وزوجته وأبناءه إلى الشارع، فانهمك أهل الدار بعد طردهم فى تجميع حجارة لتلقيها عليه، وتكيل له السِّباب أحيانًا، ويستصرخون بعض الأخوة الضعفاء والفقراء من جيرانهم لمساعدتهم أحيانا أخرى، وأحيانا يستنجدون ببعض النَّاس الأقوياء للضَّغط عليه حتَّى يترك لهم دارهم ويرحل، فما كان من جيرانك الضعفاء الأغبياء، عفوا أقصد الأغنياء سوى إمدادك بالطعام

وبعض النقود، واستمر الأمر كذلك لفترةٍ طويلةٍ من الزَّمن تخللها بعض التَّحرُّشات على استحياء بين اللصِّ وأصحاب الدار من جهة، وبين أهل الدار وبعضهم من جهة أخرى، ثمَّ بين أهل الدَّار والجيران فى النِّهاية، وذات يوم صحى ضمير الرَّجل فتاب وندم على إيذاء وقتل آلاف الأبرياء، فتسبب بذلك فى ازدياد أعداد النِّساء الأرامل والأطفال اليتامى وضحايا المتعاركين من المسجونين، وعشراتٍ ممَّن فقدوا أعينهم وأرجلهم وأذرعتهم، ولأن جرائمه كانت لا تُعد ولا تُحصى شعر أن توبته غير كافية للتَّكفير عن ذنبه، فاستعان بوسطاء لعقد صفقات صلح بينه وبين بعض جيرانه وكان سعيدا للغاية بهذا، ويكفيه فى عقد الصفقات أن جيران الدار الَّذى احتله وما يزال، قد اعترفوا بشرعيَّة وجوده، والحقيقة أنَّ عُذرهم كان فى ضعفهم وقوته، وفى غبائهم ودهائه حين أفلح فى الوقيعة بينهم حتَّى تقاتلوا، ولما كانت نتائج قتالهم مبهرة، ومبهجة له فقد طوَّر الأمر بمكره وصنع منهم جماعات مسلحة قام برعايتها وتدريبها على القنص والقتال وحرب العصابات، واستجاب له بعضهم تحت إغراء المال والسُّلطة حتَّى أصبحت نتائج قتالهم فادحة فى البشر، والحجر، والشجر، فى الوقت الَّذى جلس هو مستأنسا مُرتاحًا آمنًا يحتضن جميع أبنائه وبناته ينعمون بحياتهم بعد أن ترك مسألة قتال جيرانه إلى إخوانهم، الذين كانوا رحماءً على الأعداء أشداءً بينهم، ولهذا فقد قاتلوا بإخلاص باغين مرضاة الله آملين بالفوز بحور العين عند استشهادهم، حتَّى أن اللصَّ كان يداعب زوجته ذات مساءٍ فقال لها: إنهم يعملون لوجهنا أكثر مما يعملون لوجه الله، وعندما كان يُقابل قياداتهم ليدفع لهم أثمان قتلهم لإخوانهم، كان كلما وضع المال فى يد أحدهم قال: جزاكم الله عنَّا خير الجزاء، فالنَّاس سيِّدى فى أوطانكم لم يدركوا بعد معنى القوة ولم يعوا أهمية القاعدة القائلة "البقاء للأقوى"، ولما كنتم قد عشقتم جهلكم واستسلمتم لضعفكم، ولأنكم لا

تملكون ما تواجهون به الأقوياء استقويتم على بعضكم البعض لتنالوا إحساسًا وشعورًا بالقوة زورا وبهتانا، وما دمتم ترون ما يفعله الأقوياء من حولكم فلتؤمنوا بأنه لم يتبق قويا فى كوكبنا سوى أميريكا، وهى ليس لديها وقت للتَّفكير فى الضغط على أحد من أجل أحدٍ عشق ضعفه ومذلَّته، فهى مشغولة ومنهمكة الآن فى إعداد وإرساء قواعد النِّظام العالمى الجديد، وهو النِّظام الَّذى سيُمكِّنها من إخضاع كل دول العالم صغيرها وكبيرها لهيمنتها وسطوتها، ألا ترون أيها العرب بقرارات الحظر الأقتصادى الذى فرض على روسيا فانهارت عملتها؟، وعلى أيران فانهار اقتصادها وبدأ الشعب الإيرانى بإشعال الثورات ضد حكامه وحكومته؟، ألم تروا تأثير مجرد تغريدة للرَّئيس الأميركى على تويتر على الليرة التُّركيَّة؟ فمتى تعلمون أيها العرب أن ما حدث بتلك الدول ما كان إلا لإخضاعها للهيمنة الأميريكية؟ فلتسجدوا لله شكرا أيها العرب على تلك الصفقة الَّتى أتمنى أن يكون من أعلنها كان فى حالة وعيٍ كاملٍ حين أعدها وأعلنها، بل وأعلن الموافقة عليها، أما الآن فليس أمامكم سوى المطالبة بإجراء اختبارات السُّكر وتحديد نسب الكحل فى جسد كل من أعدَّها، ومن أعلنها، ومن وافق عليها، وإذا ثبت أنهم أبرياء ولم يكن أى منهم فى حالة سُكرٍ، وأن دماءهم جميعا خالية من أى نسبة للكحول فما عليكم إلا الموافقة السريعة عليها قبل أن يتنكروا لكلامهم ويتراجعوا عن مبادرتهم وصفقتهم .

قدم السَّيِّد مقدم البرنامج الشُّكر للسَّيِّد جورج، ثُمَّ انتقل بحديثه سائلا السَّيِّد أبو أياد المنتمى لحركة حماس رأيه فيما سمع فأجاب قائلا:

- **لا أدرى فى الحقيقة متى ستفيق أميركا، ومتى تعود إلى وعيها وصوابها، فقديما هزمت أميريكا فى فيتنام وهزمت فى أفغانستان،**

وهزمت وانسحبت من العراق بعد السيطرة الإيرانية على مجريات الأمور هناك ولم يتبق لأميريكا سوى بعد الجنود القلائل هناك، كما وأيضا هزمت فى سوريا وانتصر عليها الأتراك والروس وإيران، بل والأنكى من ذلك أنها هزمت فى الصومال من قبل، ألم يسمع ضيفكم فى واشنطن خطاب الرئيس الأميريكى السابق بإحدى دورات الأمم المتحدة واعترافه فيه أن أميريكا أخطات بالحرب فى أفغانستان، وكذلك أخطأت بغزو العراق، وهو نفس الرئيس الذى قام بتكوين وتدريب وتسليح وتمويل داعش وتسهيل مرورهم عبر الأراضى التركية لاحتلال كلٍّ من سوريا والعراق، وقد أدانه على ذلك بل اتهمه الرئيس الذى تلاه فى اعتلاء عرش أميريكا بالحماقة؟ فعلى ضيفكم أن يتخلى عن نعرة الغرور والصفاقة التى يحدثنا بها وأن يتحلى بآداب الحوار... هنا قاطعة السيد جورج طالبا منه أن يتحلى هو بالأدب أوَّلا قبل أن ينصح بذلك الآخرين، وألَّا يكون إرهابيَّاً حتَّى فى حواراته، فتدخل السَّيِّد مقدم البرنامج لفضِّ الاشتباك بينهما مُنبِّهًا لهما بعدم المقاطعة، وتحاشى استعمال الألفاظ العنيفة حيث أن الجميع هنا ليستطلع الأراء الَّتى تعين النَّاس على تقييم الأمور وليس لمتابعة السِّباب من هنا وهناك، ثم طالب السَّيِّد ابو إياد باستكمال حديثة بعد تنبيهه بعدم إثارة الأخرين بألفاظ نابية، فاستأنف أبو إياد حديثه قائلا:

- أعود لأقول باختصار: أن قضيتنا عادلة ولهذا فقد اخترنا الجهاد المسلح وسيظل كفاحنًا مستمرًّا حتى تعود فلسطين إلى أبنائها.. وهنا ومرة أخرى يقاطعه جورج وهو يضحك بسخرية قائلا:
- هذا ما كنت أقوله يا سيِّدى، ما الداعى للكفاح المسلح، والقتال، والقتل للأبرياء بينما إسرائيل ستعيد إليكم وطنكم الَّذى تقولون أنكم تكافحون من أجل إعادته.

ومرة أخرى تدخل السَّيِّد مقدم البرنامج بالتنبيه مرة أخرى بعدم المقاطعة، وانتقل بالحوار للسيد / منير مدير مركز ابن زيدون سأئلا عن رأيه بصفقة القرن فقال:

- العرب سيدى، أناس بسطاء يعيشون على الفطرة، تلقائيون، عاطفيون، ومثلما يشعرون بآلام غيرهم يتوقعون أن يشعر غيرهم بآلامهم، وهذا بالطبع غير موجود بعصرنا الحالى الذى سيطرت فيه ماديته، وحروبه، بل وحضارته، ومعاناة الإنسان فى حصوله على رزقه، وكفاحه فى سبيل البقاء حيًّا، حيث طغت المعاناة على الأحاسيس والقيم والمشاعر التى فطر عليها الإنسان بطبيعته، وما زال العرب مرتبطين متمسكين بداخلهم بأزمانهم القديمة عاشقين للعودة لأخلاقيات الماضى وطباعه، وبالرَّغم من أنهم يعلمون ويدركون بالتَّغيرات الهائلة والعظيمة الَّتى طرأت على الإنسان وطباعه وحياته وصفاته، إلَّا أنَّهم ما زالوا يعملون بما يعتقدون فيه بشأن التَّعامل مع الآخرين فى الوقت الَّذى أصبح فيه العالم مادِّيًّاً بصورة مُفزعة يسعى وراء مصالحة ومنافعه فقط، وما زال العرب يعيشون فى عوالمهم العاطفية والإنسانية، وقيس وليلى، وعنترة ابن شداد وعبلة، وآخرين أمثالهم، ولهذا فأنه من الصعوبة بمكان إجراء حوار بين الماديَّة والرُّومانسيَّة، وهذا ما لمسناه بالتَّشابك الَّذى حدث بين الضيفين الذين سبقانى بالحديث، لذا فأرجو أن أنبه العرب بالإضافة إلى ما قاله صديقى الأميريكى إلى أنَّهم لن يجدوا من يؤدون لهم ما يجب عليهم القيام به بأنفسهم لأنفسهم، وبالرغم من انتشار جمعيات حقوق الإنسان فى كل مكان فإننا يجب أن نعلم وندرك أنَّ لها مهام محددة ولها أهداف معينة أيضًا، ربَّما لا يعلمها الكثيرون من اعضائها، فعلى الفلسطينيين إدارك أنَّهم لا يجب أن يطمعوا بأكثر من عبارات الشَّجب والتَّنديد ممَّن حولهم، بل ومن إخوانهم الَّذين لم يكن بمقدورهم على مدى العقود السَّابقة سوى أن يعلنوا عن تعاطفهم

وأسفهم لما يجرى لإخوانهم بالأراضى المحتلة، وهذا ما أردت التَّذكير به أولا، أما بخصوص صفقة القرن، والَّتى هى موضوع حوارنا فأنا أتفق تمام الاتفاق مع ما قاله صديقى الأميريكى، بل وأنبِّه العرب على عدم إضاعة الفرصة، مثلما أضاعوا العديد من الفرص فيما سبق، وأراهم اليوم يتندَّمون على ذلك ويتمنَّون لو كانوا قد قبلوها فى حينها وكانت هذه الفرص تحظى بموافقة العديد من الدول الأعضاء بالأمم المتحدة.

هنا يعود مقدم البرنامج ليقدم الشكر للسَّيِّد مدير مركز ابن زيدون قائلا:

- حسنا، إذاً فهناك تأييد مطلق للصَّفقة من كلا محدثينا السيد منير والسيد جورج، وقبل أن أعود لضيفنا أبو إياد من غزة، أود أولا استطلاع رأى ضيفنا من تل أبيب / السَّيِّد أبو ملحم، الَّذى هو من عرب 48 كما يُطلق عليهم وأسأله عن انطباعه، ورأيه عن الصفقة باعتباره ممثلا ومندوبًا عن تلك الطائفة من الفلسطينيين.
- بعد الشكر والتحية لك ولضيوفك الكرام، أعتقد سيَّدى أنَّه من الواجب علىَّ أولا أن أطلع السَّيِّدات والسَّادة المشاهدين عمَّن هم عرب 48 كما يُطلقون علينا أحيانا، واحيانا أخرى يسمونا عرب الداخل، أما فى وسائل الإعلام الإسرائيلية فيشار إلينا بمصطلح عرب إسرائيل أو بالوسط العربى، ونحن من الفلسطينين الَّذين رفضوا الهجرة تاركين بلادنا وأرضنا، فقد تمسكنا بوجودنا وبوطننا بعد أن طُردنا من بيوتنا وقرانا، وظللنا داخل حدود 48 والَّتى يُطلق عليها الآن الكيان الصهيونى، ولهذا فنحن بالتبعية حاملون لجواز سفر إسرائيلي، ولذلك نعلم أن هناك من الأخوة العرب من يتهموننا بالخيانة أحيانا، وبالعمالة أحيانا أخرى وبأن منا أعضاء بالكنيست الصهيونى وبعضنا ينتمى لأحزاب صهيونية أيضا، وهذه اتهامات باطلة وأنتهز الفرصة بوجودى معكم لأؤكد على أننا قد تمسكنا بالبقاء بوطننا، وبرغم أيضا

ما نلاقيه من عُنصرية واستهانة من قبل اليهود باعتبارنا أقلية نعانى كما تعانى كافة أقليات العالم فى كل مكانٍ وزمان، وحتَّى بأميريكا الَّتى يُطلقون عليها قلعة الحُرَّيَّة لمجرد أن أقاموا على أرضها تمثالا للحرية بارتفاع ستة وأربعين مترا بخلاف ارتفاع قاعدته المستقرة على أرض جزيرة الحرية الواقعة بخليج نيويورك، وكانت فرنسا قد أهدته لأميريكا فى القرن التاسع عشر كهدية تذكارية منها.

- **حسنا عزيزى، هذا جميل، وقد أحسنت بتوضيح الأمر حيث أنه بالفعل هناك الكثيرون من العرب من لا يعرفون عنكم سوى أنكم حاملون لوثيقة السفر الإسرائيلية، وبهذه المناسبة فقد وصلنى للتَّوِّ على صفحة برنامجنا على الفيس بوك عدة تعليقات من دول عربية تقومون بزيارتها بغرض السِّياحة، وتقول التعليقات بأنكم تتعاملون مع النَّاس فيها بغرورٍ وصلفٍ وتعالٍ باعتباركم حاملون لجواز السفر الإسرائيلى، وتتجاوزون ببعض الأمور محتمين بذلك، بيد أن هناك منكم القليلون ممن يتحلون بحسن الخلق وطيب التَّعامل والتَّخاطب مع إخوانكم مواطنى هذه الدول، فما رأيكم؟**
- **أقول لهم ما داموا قد شعروا بذلك إذاً فهم صادقون ومُحقُّون فيما قالوا، وإذكِّرهم وأذكَّرك سَيِّدى بأنَّ بكلِّ أُمَّة تجد الصالح والطالح، وأنتهز هذه الفرصة لأطالب هؤلاء باعتبار ما قيل بحقهم إذ لا يجدر بنا أن نفعل ما نتهم به الإسرائيليين من صلف فى التَّعامل معنا وهم مُحتلون لوطننا، بينما نسمح لأنفسنا بنفس العمل مع إخواننا ونحن فى ضيافتهم، بل وعلينا أن نعترف بتضحياتهم من أجل قضيتنا العادلة ونعترف أيضا باستضافتهم للعديدين من لاجئينا وإكرامهم بينهم.**
- **أحسنت سيدى وسوف أعود إليك مرة أخرى بعد مناقشتى للسيد زياد الفلسطينى الحاصل على الجنسية الأميريكية والمقيم بولاية كاليفورنيا منذ زمن بعيد، وأتوجه بسؤالى لسيادته عن مدى استعداده للعودة إلى**

أرض الوطن والتَّخلى عن جنسيته الأميريكية فى حال صدقت إسرائيل بصفقتها فقال:

- لك الشُّكر أولا سيِّدى باستضافتى حيث إننى أحمل بين جنباتى هموما منذ عقودٍ من الزمان وأغتنم هذه الفرصة لأتوجه بالشُّكر لأميريكا وإسرائيل حيث منحانى الفرصة لأن أكون محل اهتمام وعناية وسائل الإعلام التى تجاهلتنا لعشرات السنين عانينا فيها كمهاجرين أو كمُهجَّرين، بيد أننى ومن الأمانة أن أشهد بأن معاناتنا كانت أقل وطأة من معاناة أهالينا بالأراضى المحتلة والتى كان لهم شرف التمسك بوطنهم مضحِّين بأرواحهم وأنفسهم، وعلى أيَّة حال فيبدو أننا أمة كُتب عليها الشقاء والمعاناة.

- إذًا وما دمت توجه الشكر لأميريكا وإسرائيل، أيعنى هذا أنك ستتخلى عن جنسيتك الأميريكية وستعود إلى حضن الوطن بعد تحرره من الاحتلال بانسحاب إسرائيل طواعية؟

- ليس هناك فلسطيني واحدٌ سيدى يعيش على ظهر هذا الكوكب لا يتمنى أن تصنع شركات العطور العالمية عطرا لنا من تراب فلسطين الذى امتزج بأريج دماء الشهيدات والشهداء الإبرار والذين ضحوا بحياتهم فى مواجهة الظلم والجبروت الإسرائيلى، واسمحلى سيدى قبل أن أجيبك أن أطالبنا جميعا أن نكون صرحاء نتحلى بالصدق والأمانة والرغبة الصادقة فى الوصول إلى إجابات طبيعية ومنطقية تتلائم مع الأوضاع التى تمر بها أوطاننا والعالم بأسره من حولنا، فنحن العرب قد اعتدنا أن نحمل بحوزتنا عدة أقنعة نرتديها حسبما يتطلب الموضع الذى نحن فيه، فالعديدون منَّا يرتدون قناع الإيمان وهم ذاهبون للصلاة أو لأداء مناسك العمرة والحج، وإذا غادرنا المسجد خلعنا قناع الإيمان وارتدينا قناعا يصلح إلى حيث نحن متجهين بعد الصلاة، وإذا تكلمنا فى الدين ترانا مؤمنين أتقياء، وإذا تكلمنا فى البغاء فكلنا فاسقون منحرفون، وإذا تكلمنا عن القضية

الفلسطينية نلبس الغطرة الفلسطينية ونحمل معنا دفتر الشعارات التى نقولها منذ عشرات السنين ولا نسعى إليها أو على الأقل الالتزام بالقرارات التى اتخذت لتطبيقها، أما وإن كنا ذاهبين إلى أوروبا وأميريكا ففى الطائرة نخلع ثيابنا العربية الأصيلة لنرتدى مع ما يتلائم مع الأسباب التى نحن ذاهبون إلى تلك البلاد من أجلها.

- إذاً فقد فهمت من حديثك أنك ستكون أول المسارعين للعودة إلى فلسطين بمجرد انسحاب إسرائيل منها لتشارك أخوانك وأخواتك فرحتهم بتلك المعجزة؟

- سؤالك سيدى بالصورة التى سألته بها تبدو لى سطحية للغاية ولتقبل اعتذارى لصفاقتى معكم، فمنذ الإعلان عن الصفقة ونحن نلمس التحرشات والمعارك الكلامية الخطابية بين الطرفين المتخاصمين بغزة والقطاع، فهل تقصد بعودتنا سيدى هى انضمامنا إلى إحداهما لنقاتل الأخرى؟ أم تطالبنا بأن نترك حياة آمنه مستقرة ونعود لنعانى فى بذل جهودٍ للمصالحة بينهما، ولحين تنجح وساطتنا نجلس إلى جوار من يسقط من هذا الجانب ومن ذاك لكى نبكى ونترحم على شهداء الجانبين المتصارعين على السلطة؟.

- إذاً فأنت ترى أنه لمن الصواب الانتظار حتى تهدأ الأمور وتستتب ثم تترك جنسيتك الأميريكية وتعود إلى حضن الوطن الأم، أليس كذلك؟

- هذه ليست القضية المطروحة الآن سيدى، فقد تجاوزت السبعين من عمرى ولن أفيد وطنى بعودتى سوى بإضافة رفاتى إلى رفات العديدين ممن ماتوا أو استشهدوا ظلما وعدوانا، واسمحلى مرة أخرى أن أطلب مسامحتك عن تجاوزى لحدود الأدب بخصوص سطحية سؤالكم، وما قصدت إلا أن ألفت انتباهكم حين تتحدثون عن القضية الفلسطينية أنكم لا تضعون فى الحسبان ما واجهه الإنسان الفلسطينى من غبن وألم وضياع ويأس على مدى عشرات السنين

التى تغيرت فيها الأمور والأوراق كثيرا ونحن ما زلنا نستخدم نفس الشعارات ونفس اللغة.

- **حديثك سيدى مثيرٌ للتأمل والدراسة فهل فصلت لى ما أردت قوله؟**
- **نحن سيدى ما زلنا متمسكين بثقافتنا العربية، ولا زلنا نتابع القنوات الفضائية العربية مهتمين بما يجرى بها من أحداث وما يحزننا أنها مؤسفة فى غالبيتها، كما أننا نتابع ما يُبث من فيديوهات على اليوتيوب مما يضم أراء غير مسموح أو لعلك تقول أنه ليس من الحكمة إذاعتها عبر الفضائيات التلفزيونية، ومنذ عدة أسابيع كنت أشاهد ندوة لرجلٍ من التنويرين المصريين الذى يحمل شهادة دكتوراة وكم أحب متابعةً ندوات ذلك الرجل الذى يتحدث فى كل أفرع العلوم الإنسانية التى تهتم بالإنسان وثقافته المتعلقة بكيفية تعامل الناس، وتوثيقه لتجاربهم الإنسانية، إذ إن الإنسان قد استخدم أساليبا مختلفة لفهم نفسه وكذلك فهم العالم من حوله كالأدب والفلسفة والدين والفن والموسيقى والتاريخ واللغة ولهذا فأنا أحب وأقدر ما يقوم به هذا الرجل فى هذا الخصوص حيث إننا كعرب فى أمس الحاجة إلى إعادة دراسة تاريخنا ومفاهيمنا وأساليبنا وأن نتدارس ما يقوله ذلك الرجل الذى أكاد أن أصفه بالموسوعة، والذى كان فى تلك الندوة يتحدث عن الشاعر الفلسطينى الوطنى والذى يُعد من أكثر من كتب عن قضيتنا ومشاعرنا بقصائده ويقول السيد الدكتور أنه سأل ذلك الشاعر الوطنى فى إحدى لقاءاتهم قائلا:**
- **كيف ترى اليهود والإسرائيلين الآن فأجاب:**
- **ماذا تقصد؟**
- **أقصد ما هو إحساسك بهم؟**
- **هو شعور، ملتبس لا أدرى، فهؤلاء أناس استولوا على أرضى، لكنهم علَّمونى، قتلوا أهلى، وأول فتاة أحببتها كانت منهم، وأنا لا أدرى. وقد**

كان ذلك الشاعر ممن يطلق عليهم عرب 48 ويحمل جواز سفرٍ إسرائيلى وكان عضوا فى حزب اليسارى الماركسى الأسرائيلى.
وإن كانت هذه مشاعر شاعر الثورة الفلسطينية الذى كان يعيش بوطنه فكيف يكون شعور من عاش بأميريكا التى لم تحتل وطنه بصورة مباشرة لكنها علمته ووفرت له سبل الحياة ومنحته جنسيتها ووفرت له مقومات وسبل الحياة؟
- أعتقد سيد زياد من كاليفورنيا أن الأمر أصبح واضحا الآن.
- أبدا بنى الأمر أصبح أكثر تعقيدا وتشابكا والتباسا بعد اشتعال نيران ما أسميتموه بالربيع العربى دون أن تعلموا أنكم كنتم تردَّدون مُسمىً كانت أميريكا هى من صنعته وأطلقته، لتسقط بلاد وتنهار أو تنهك جيوش حتى صار الوضع مأساويا وانعكس بصورة سيئة للغاية على القضية الفلسطينية، فقد كنا قديما حين تعتدى إسرائيل على غزة كنا نهتف أين أنتم يا عرب؟، أما الآن حينما نهتف بذلك يأتينا هتافٌ مضاد من بعض البلاد التى شاركت حماس فى ربيعها وهاجمت منشآتها وقتلت وجرحت الأبرياء بزعم أنها فصيل يدعم التيارات الدينية باعتبارها جزءٍ منه، ولذا فمن حق مواطنى تلك البلدان وكذلك البلدان التى وقفت ضد ما جرى بثورات الربيع أن يردوا على هتافنا قائلين وأين أنتم يا فلسطينيون، ولتسمعوا ما يقال على صفحات التواصل الاجتماعى واليوتيوب لتعلموا مدى الانقسام والمعادة البشعة بين الأخوة العرب جراء انقسام العرب بين مؤيدٍ للتيارات الدينية ومعارضٍ لها، فلم تعد عودتى لفلسطين بعد انسحاب إسرائيل منها هى القضية الآن، بل القضية سيدى أضحت أضخم من ذلك ومما نتصور بكثير وأكثر مما تتخيلون أنتم كإعلاميين. ثم ومن قال لك أن إسرائيل ستنسحب من فلسطين يا رجل؟.
- يا إلهى! ماذا تقصد يا رجل؟ أتظن أن المبادرة الأميريكيه الإسرائيلية أو ما يطلق عليها بصفقة القرن الثانية والأخيرة مسرحية هزلية؟.

- هى ليست مسرحية فقط سيدى بل هى خطة جديدة حيكت بعناية بالغة وقد أطلقوها حتى تنطلق رصاصة الفلسطينى لتستقر فى قلب أخيه فتُميته وتُميت معه قضيته الأم، ألا تستطيع أن تتبين ما ستؤدى إليه التحرشات الكلامية بين غزة والضفة والتى تتصاعد حدتها ساعة بساعة؟، إن قصة انسحاب إسرائيل سيدى تذكرنى بقصة أبى العلاء المعرى التى دعى فيها ربه أن يعيد إليه بصره، وعندما استجاب الله له ورد إليه بصره رأى المعرى فى اليوم الذى أبصر فيه ما انفطر له قلبه من مصائبٍ وأهوالٍ فى تقاتل الناس وظلم الإنسان للإنسانِ فبكى كثيرا وعاد يدعو الله أن يعيده سيرته الأولى ليكمل حياته كفيفًا مرة أخرى حتى لا يرى مآسى البشر والبشرية.

- قتلتنى يا رجل، ونعم صدقت لقد كان سؤالى سطحيا وغبياً ولكن هل لك أن تسمحلى بسؤالك عما إذا ما كان علينا قبول الأمر الواقع وأن يبقى الوضع على ما هو عليه.

- وكأنك سيدى تطالبنى أن أجد لك حلُا لقضية فشلت فيها لقاءات ومؤتمرات وتحالفات، بل وفشلت فى حلها منظمة الأمم المتحدة بما لها من سطوة وسلطان، تطالبنى بحل قضية عكفنا على حلها بعواطفنا وأغانينا وأشعارنا لمدة تزيد على السبعين سنة فيها كان سياسيونا يدورون حول الحلول لكن ليس منهم من استطاع مسها فى الصميم، ولتقبل اعتذارى للمرة الثانية أن أخبرك أن برامج التوك شو والفضائيات لن تحلها إنما هى وسيلة نقضى ونقتل بها أعمارنا انتظارا للموت، كما أن العواطف سيدى لن تحرر وطن بل تحرره العقول والعضلات معا، فقد كان عبد الناصر من أعظم وأخلص القادة بل والزعماء فى العالم فى حينه، كما كان أكثرهم وطنية وقومية إذ جعل جل همه تحرير فلسطين من براثن اليهود وتسابق فى حربها منقادا خلف عواطفه ومشاعره وأمانيه، وتحقيق الانتصارات سيدى تكون دائما حينما تندفع خلف صواريخك وطائراتك ومدافعك ودباباتك

وقواتك، إذ أن الحب وحده فى مثل هذه الأمور لا يكفى، وقد صدق الخبير السياسى الدولى الذى قال عند موت الزعيم عبد الناصر رحمه الله: أنه كان رجلا عظيما لكن أخطاءه كانت فادحة، وقد رأينا النتيجة التى ما زلنا نعانى تبعاتها حتى الآن وأتمنى ألا نظل نعانيها لعشرات السنين المقبلة نتيجة اندفاعاتنا وتسرعنا، ونتيجة أخطائنا فى حسابات القوى وفاعليتها، فقد أراد الرجل أن يربح نصرا سياسيا كالذى ربحه فى العدوان الثلاثى الشهير غير أن الرياح تأتى بما لا تشتهى السفن، فعوضا عن تحرير فلسطين انشغلنا فى تحرير أراضٍ احتلتها إسرائيل فى كلٍّ من مصر وسوريا والاردن وبمساحات تقدر بأضعاف كثيرة عما اغتصبته إسرائيل من فلسطين، وهنا أعنى أن للكفاح المسلح عناصر رئيسة فى غاية الأهمية، وأمتنا الآن تفتقد هذه العناصر ولا تملك سوى الأحاديث والنقاشات عبر الفضائيات استثمارا أو لعلك تقل مضيعة للوقت فقط.

ـ كيف سيدى؟ ماذا تعنى بقولك هذا؟

ـ أنظر حولك بنى لترى النزاعات والمكائد بين الدول العربية وبعضها من جهة، وبينها وبين الدول الإسلامية من جهة أخرى، فإيران ممثلة بالشيعة وكوريثة للأمبراطورية الفارسية تحاصر الدول الإسلامية السنية من كل حدبٍ وصوب، حتى أعلن أحد مسئوليها مؤخرا أن إيران تسيطر على أربع عواصم عربية، وأرى أن الحرب بين الشيعة والسنة وشيكة الحدوث ومتوقعة فى اللحظة التى تريدها أميريكا وتحددها إسرائيل، ومن جهة أخرى نرى ونسمع أن تركيا وريثة الخلافة الإسلامية تسعى جاهدة لإعادة الخلافة إليها فنرى ونسمع عن تحرشاتها المستمرة بمصر دعما للشرعية كما يعلنون ودعما أيضا للإخوان المسلمين كتنظيم تقف تركيا على قمته، ثم نسمع كثيرا عن اعتداءات تركية على الأراضى السورية والعراقية بحجة حماية أمنها القومى والحقيقة أنها ما هى إلا خطوة فى سبيل الهيمنة والسيطرة على الدول

العربية الإسلامية تمهيدا لتحقيق أحلامهم بإقامة دولة الخلافة الإسلامية وهناك من يدعمها فى ذلك من المنتمين لتنظيمهم فى كل البلدان العربية أملا فى أن تقوم دولة الخلافة بتطبيق الشريعة، وعلى الجانب الآخر ترى من يهاجمون تركيا بضراوة قائلين أن تركيا دولة علمانية وعلى الرغم من سيطرة الحزب الإخوانى على مقاليد السلطة بالبلاد فإننا لا نرى تطبيقا للشريعة ببلدهم بل نرى الخمَّارات والنساء الكاسيات العاريات فى كل حدب وفى كل صوب، وهناك من يدَّعى أن الرَّئيس التركى نفسه قد أباح ظاهرة الشذوذ الجنسى والمثلية، فكيف يصدق المسلمون أن خليفة كهذا سيطبق الشريعة الإسلامية ويقيم الحدود، حتى ضرب أحدهم له مثلا ببيت أحمد شوقى رحمه الله الذى قال فيه: برز الثعلب يوما فى ثياب الواعظين ** فمشى فى الأرض يهدى ويسب الماكرين. المشهد العام سيدى الآن بأمتنا لا يبشر بخير، ودعنى أقول آسفا أن ما حدث بأمتنا فى السنوات العشر الأخيرة من تدمير للأوطان وكسر أو إضعاف لجيوشها، يجعلنى أتقدم إليكم بنصيحتى بتأجيل الحوار حول القضية الفلسطينية وحول تحرير فلسطين لنتحاور فيها بعد عشرات السنين، ربما تسنى للعرب والمسلمين أن ينتبهوا ويتفهموا الأمور بصورة صحيحة فيتحدوا ويعودا أقوياء يحسب لهم حساب كأسلافنا المؤمنين، وأسمحلى سيدى أن أضيف توضيحا هاما فى هذا السياق حتى لا تصدر قرارات اتهامى بالخيانة والعمالة، واسمحلى أيضا أن أجيبكم بعد الاعتذار مسبقا على سؤالكم الذى نعته بالسطحى والذى كان عن عودتى لوطنى بعد الانسحاب الأسرائيلى لأقول: إن موقفى وموقف أمثالى من فلسطينى المهجر هو نفسه موقف مواطنى الدول العربية اللذين يعملون بدول الخليج سعيا لتحسين أوضاعهم المالية والمعيشية والتَّمتع بمظاهر الرَّفاهية بتلك الدول زادهم الله ثروة وعزا، وما أردت قوله هنا هو أنك لو سألت أياً منهم نفس السؤال لعودته لوطنه الذى هو ليس مُحتلا كحالتى، ربما أجابك أن طموحاته وأحلامه

وأحواله المستقرة بغربته تمنعه من العودة لوطنه الآن، وأرجو أن أكون قد أوضحت ما عنيته بأقوالى السابقة عسى أن يكون هناك من يتفهمون حديثى بصورة عقلانية ومنطقية وواقعية، والكف عن إطلاق الاتهامات عن باطل وعن جهل بالحقائق، أو التغاضى عنها كما اعتدنا دائما، ولسيادتكم كل الشكر والتحية.

-ونحن أيضا والدى نتوجه إليك بخالص الشكر والتحية، وقد تفهمنا مقصدكم ووصلتنا رسالتكم ونشكركم على حسن تعاونكم.

ومباشرة نظر مقدم البرنامج للسيد منير متعجبا لما سمع من ضيفه من كاليفورنيا وسأله مباشرة:

- كيف ترى القضية بعد ما سمعت من ضيفنا سيد منير؟.

- أرى أن الرجل كان صريحًا صادقًا وأدعوا لأن نسير على نهجه فى مناقشاتنا لقضايانا سيدى، واسمحلى أن أتقدم إليه بجزيل شكرى على ما أفادنا به وهو يمثل شريحة غير قليلة من شعوب بلادنا ممن اضطروا للهجرة منذ زمن ثم ازدادت منذ سنوات بأعدادٍ تدفعنا دفعا لدراسة الأمر بعد ما سمعناه من ضيفك العزيز من كاليفورنيا، ولذا فإن علينا هنا أن نكون على قدر المسئولية بعدما اتضحت الأمور أمام اعيننا وبصورة جلية، إذ إننى وحسب اعتقادى أننا هنا الآن لمحاولة تنبيه الأمة بكافة مستوياتها كحكام ومؤسساتٍ وجمعياتٍ بل وجماعاتٍ وشعوب، ونحن نعلم أن هناك العديد من المُنبِّهات المُختلفة الَّتى نستعملها لجذب انتباه مَنْ حولنا من البشر، فحين يطلق أحدنا عيارًا ناريًا فى الحىِّ، أو القرية الَّتى نقطنها، نرى النَّاس تهرع على الفور صوب نوافذها بُغية استطلاع الأمر ورغبة فى إشباع فضولها، وحين ينظرون لمصدر إطلاق النَّار يعلمون إن كان السَّبب حميدًا إذ إنه قد أطلقه رجلٌ احتفالًا واحتفاءً بخطبة ابنته، أو لعلَّ سبب إطلاق النَّار بغيضًا كأن يُعبِّر ذلك عن إعلان فتوة المنطقة لبأسه وقوة بطشه إن

كان هناك من ينازعه لقب الفتونة، وهناك أيضًا مُنبِّه آخر، كأن يصرخ أحد الرِّجال مُنبِّهًا للنَّاس عن أزمةٍ أو مشكلةٍ وقع فيها، ويدعو النَّاس لمدِّ أيادى العون والمُساعدة له على بلواه، وأحيانا كثيرة ما تستعمل النِّساء هذه الوسيلة بأوطاننا، إذ كثيرا ما نسمع عن زوجة تستصرخ النَّاس ليُكوِّنوا قواتٍ أمميَّةٍ فاصلة بينها وبين زوجها الَّذى يعتدى عليها ضربًا، وكى يُذكِّرونه بقول رسولنا الكريم رفقًا بالقوارير. أما المُنبِّه الأكثر أهمية بحياتنا، فهو الَّذى قررت استعماله أنا الآن، فهو الَّذى نضبطه على السَّاعة الَّتى نود الاستيقاظ بها لقضاء حوائجنا ومصالحنا، وما أن تأتِ الدقيقة الَّتى ضبطناه عليها إذ هو يصرخ إما بصوت جرسٍ مُزعجٍ يُفزعنا حين ينطلق، أو بنغمةٍ مُوسيقيةٍ ناعمةٍ، رومانسيةٍ جميلة، والحقيقة أنَّ الكثيرين منَّا حين يُنبههم ذلك المُنبِّه بصوته المُزعج المُفزع يجعلهم يفزعون ويهرعون لإسكاته وإخراصه، ثُمَّ يعودون لنومهم فى هدوء، ومنَّا أيضا من إن سمع منبهه يشدو بلحنٍ موسيقىٍّ جميلٍ يغُطُّ فى نوم أعمق على أنغام وألحان مُنبِّهه، غير أن بيننا طائفة تصحو وتفيق قبل أن يُعلن لها منبهها أنَّه حان وقت الاستيقاظ لبدء أنشطتهم والسَّعى فى الأرض بما ينفعهم وينفع النَّاس، كما أمرنا الله ورسوله بذلك. ومِن هنا جاءتنى فكرة استعمال كلِّ هذه المُنبِّهات، المزعجة منها، والرُّومانسية، علَّنا نصحو من سُباتنا العميق الَّذى طال بنا حتَّى ظننا أنَّنا أمواتٌ.

فى الآونة الأخيرة لاحظنا حروبًا فكرية حامية الوطيس مستعرة بين الناس عبر وسائل الاتصالات المختلفة من الإعلام المرئى والمسموع بما لديهما من أعدادٍ هائلة ومتنوعة من القنوات الأرضيَّة منها والفضائيِّة، والَّتى يكون على رأس اهتماماتها مهمة تحقيق رغبات النَّاس جميعا على اختلاف أجناسهم، وأعمارهم ومستوياتهم، وكذلك توفَّرت وسائل أخرى هى فى الحقيقة أكثر إمتاعا وخطورة عبر مواقع الأنترنت الَّتى صارت تتمتع بشهرةٍ واسعةٍ بين النَّاس فى كلِّ مكانٍ

ومتوفرة فى كل زمان، حتَّى إن بعض رؤساء الدول وخاصة الكبرى منها أصبحوا يستعملونها كوسيلة من وسائل تأدية مهام مناصبهم، بل إن منهم من يستعملها لأرسال رسائله التَّهديدية لرؤساء دولٍ أخرى، ولم تكن خطورة وصعوبة الأمر أمام بعض الجهات والمؤسسات فى نشرِ ما يُنشر من الحقائق والدِّراسات التَّرفيهية والعلميَّة، والدِّينيَّة والثِّقافيَّة والسياسيَّة، والتَّاريخيَّة والحربية بكافة مستوياتها للنَّاس، إنما أصبحت الصعوبة فى كيفية السَّيطرة على تلك المواقع الَّتى يُرى فيها خطورة على المشاهد والمستمع بل وعلى الدولة ومؤسساتها وثقافتها وسياستها لما تبثه من حقائق أو من أكاذيب على السواء، إذ أن تلك الوسائل تُوجَّه بمهنيِّةٍ وتقنيَّةٍ وحرفيَّة عالية، باستعمالها لأدوات المنتجة والمكسجة بل وتزييف الفيديوهات باستعمال كل وسائل التَّضليل، إذ إن العمل من أجل تزييف حقيقة واضحة أضحى سهلًا وميسرًا تكنولوجيًّاً، ومما زاد الأمر عُسرًا هو عجز المعتدى عليه عن السَّيطرة على تلك القوى المعادية بإسكاتها، أو إخراصها، أو التشويش عليها، بيد أنه ربما تمكن من التوصل لمعلوماتٍ عن بعض تلك الأماكن وتتبُّعها ومن ثُمَّ القبض على مرتكبى تلك الجرائم من المعادين والمخرِّبين، غير أن هذا يتطلب جهدا ووقتا تكون البلاد فى غنىً عن ضياعه، إذ إن الأمر قد وصل لإنشاء مواقع وصفحات تقوم بتعليم من نطلق عليهم إرهابيين كيفية تصنيع المتفجرات علنًا، ومنها من يدير معارك هؤلاء الإرهابيين تحت بصر وسمع الجميع، وعلانية أيضا، إذاً فقد أصبحت وسائل الاتصالات مُتعدَّدة ومُتاحة للجميع مجانًا ويمكن الوصول إليها بل والمشاركة فيها بوسائل أيسر بكثيرٍ من الوصول إلى الوسائل المعتادة من مسموعة ومرئية ومقرَوءة حيث إنَّها أكثر حُريَّة وديمقراطيَّة منها، وأقل كلفةٍ أيضًا فأنت تستطيع إرسال مقالٍ أو رأىٍ لجريدةٍ فيتم منع نشره وانتهى الأمر، كما تستطيع الاتصال بإحدى الفضائيَّات وتجد من يستطيع إنهاء

اتصالك بكبسة بطرف أصبعه على ذر إنهاء الاتصال بالهاتف حين يتضح له أن رؤيتك تختلف عن رؤية تلك القناة، أو أجندتها وأهدافها الَّتى أنشئت من أجلها، كما أنك تستطيع طبع ونشر كتاب بأرائِكَ، فيُصادر فورا إن كان مُتعارضًا مع سياسة النُّخبة الحاكمة، أما وسائل الاتصالات الحديثة، فمن الصعوبة بمكان، وأكاد أجزم باستحالة إسكاتها، أو إخراصها، أو إخفائها، بل وإن استطعت فسيجدون وسائلًا أخرى للظُّهور على النَّاس، وعليكَ، من حيث لا تحتسب، فتبدو وكأنَّكَ تُطارد فأرًا ظهر لك تحت كرسى، وحين تتحرش به يختفى مسرعا ليفاجئك بالظُّهور تحت الكنبة الَّتى هى من خلفك. وفى السَّنوات الأخيرة الَّتى صاحبت اشتعال نيران ما يُطلقون عليه الربيع العربى، والَّذى هو وحتَّى الأن لا يدرى أحدٌ بما فيهم من قاموا به وشاركوا فيه، ومن دعموه، هل كان ربيعًا عربيَّاً، أم أميريكيَّاً، أم إسرائيليَّاً، ولا زال البحث عن زارع زهوره مستمرًا.

ونتيجة لما يحدث بأوطاننا فى السنوات الأخيرة فقد زادت حركات الهجرة بكافة أشكالها من بلد لأخر، ومن أُمَّة لأُمَّة، والأسبابٍ والمبرراتٍ عديدة، وما أكثر المهاجرين فى بلادنا التَّعسة الَّتى هجرها الملايين من أبنائها، منهم من هجرها سعيَّاً للعلم كى يعود بعد حين بما تعلمه إلى أحضانها ليطورها ويخدمها بما تعلمه، وبما اطَّلع عليه من ثقافات أخرى، وعندما عاد إليها عيَّنوه مدرسا بإحدى المدارس الحكومية الصغيرة كى يُعلم التَّلاميذ بها علمًا غير الَّذى تعلَّمه، فأصابه الاكتئاب والنَّدم على وطنيته وحبه لبلاده، بل وبات يحسد ويغبط هؤلاء الَّذين كانوا أكثر منه ذكاءً واستقروا بالأوطان الَّتى نالوا فيها علومهم، فازدادوا علمًا، ورُقيًا، فمنهم من نال جوائزًا عالميَّةً، ومنهم من نال الأوسمة والنَّياشين، ومنهم من نال لقبا لا يمنح إلا للعظماء من مواطنى البلدان المقيم فيها .

ومن أبناء أمتنا أيضًا من هجرها سعياً وطلبًا للرزق هربًا من الفقر والعوز، ومنهم من هجرها بل هرب منها هربًا من القتل طالبًا لمأوىً، وهذا ما ينطبق على المواطنين الفلسطينيين الَّذين طُردوا وشُرِّدوا، فنزحوا من وطنهم طلبًا لمأوىً أخر بعد أن اغتصب اليهود وطنهم وشرَّدوهم فى كلِّ مكان، كما كان هناك ملايين من المهاجرين العراقيين الذين دمرت أميريكا بلادهم بحجة واهية اعترفت وأقرت أميريكا بنفسها وصراحة وعلانيَّة بكذب تلك الحجة، ولا أدرى ما جدوى ا لاعتراف بالخطأ لأناس قد دُمِّرت بلادهم وانتشرت بها نيران الفتنة الطائفيَّة، والحروب الأهليَّة كانتشار النَّار فى الهشيم، والَّتى بات الأمل فى إخمادها فى وقت قريب درب من دروب الخيال، بل أكاد أقول من المستحيل، كما كان أيضا من المهاجرين ملايين تركوا بلادهم هربا من جحيم ما أسمته أميريكا بالربيع العربى، فكان ربيعا أبكى الزُّهور بدلًا من أن يفتَّحها، وحرق الأشجار والثمار، وأحال المبانى إلى احجار حتى غدت أعيننا لا ترى ببلادنا غير الدَّمار، والاقتتال والقتل بين الأخوة حتَّى جرت دماء الشهداء الأبرياء مختلطة بمياه الأنهار، فبعد أن شبَّت نيران الرَّبيع بالعديد من بلدان أُمَّتنا، هاجر الملايين من ليبيا و سوريا، والعراق واليمن، ومن كل وطن اكتوى بنيران ذلك الرَّبيع الَّذى لوث السماء بدخان نيرانه فهاجر الناس فارين من لهيبه، باكين على أوطانهم، وعلى شهدائهم، ناجين بأنفسهم، باحثين عن أمنٍ وأمانٍ حتَّى وإن توفَّر هذا الأمان بخيام أعدت لهم وسط الصحراء القاسيةً القاحلة يعانون فيها شيوخًا وأطفالاً ونساءً من ألام الجوع والبرد والمرض.

- ألا تشعر بالقلق الآن مما سمعناه ويعنى أنه ربما لا تعود طيورنا المهاجرة لأوطانها حتى وبعد استقرار أحوالها.
- لا أظن أن استعمالك كلمة رُبَّما هنا تحمل احتمالين، أى ربما عاد بعضهم ولا يعود بعضهم الآخر وهنا يجدر بى أن أذكرك بأنه وتقريبا

جميع المهاجرين الجدد إلى أوروبا فى السنوات الأخيرة هربا من أعمال القتل البشعة التى تتعرض لها بلادهم قد رفضوا العودة بالفعل حينما أعلنت حكومات بلادهم بتحسن الأحوال وتوفر الأمن بها، فمن ذا الذى سيعود من بلادٍ تحترم الحيوان إلى بلدان لا تحترم الأنسان؟، فى وقت أصبحت لا تستطيع فيه مخاطبة وإقناع الفقراء بمطلحات الوطنية والقومية بل والتضحية بروحك فى سبيل الله ثم يرونك بعد حديثك تقفز داخل سيارتك الفارهة الفخمة مشيرا لسائقك بالانصراف مسرعا، الناس سيدى أصبحت كافرة بتلك الشعارات.

بعد فاصل قصير عاد السيد مقدِّم البرنامج قائلا كعادة مقدمى البرامج:

نعود إليكم مرة أخرى سيِّداتى آنساتى سادتى مرحبا بالسَّادة الضيوف وكذلك بمتابعى برنامجنا فى كل مكان، واسمحوا لى أن أترك أدارة الحوار للسَّيِّد / منير مدير مركز ابن زيدون الَّذى طلب محاورة السَّيِّد / أبو إياد المنتمى لحركة حماس والَّذى هو ضيفنا فى غزَّة حيث أن الأوَّل معنىٌّ بنشر السَّلام العالمى والثَّانى معنىٌّ بالكفاح المُسلَّح لتحرير وطنه، وكلاهما لديه هدف نبيل، فتفضل سيِّد منير.

- وأنا بدورى أتقدم لك بالشكر لمنحى هذه الفرصة وبعد ترحيبى بصديقى الجهادى الفدائى من غزَّة، فليسمحلى بسؤاله إن كان ليس لديه ما يمنعه عن محاورتى:
- أبدا أخى ليس لدى أى مانع مادام ذلك سيصب فى صالح قضيتنا العادلة فتفضَّل.
- إذا وبعد الشُّكر والتَّحية لاتساع صدركم، دعنى أسألك ما هو داعى رفضك أو على الأقل تحفظاتك على صفقة القرن الَّتى أُعلن عنها لحل ما تسمونه قضيتكم بل وقضية العرب أجمع حلّاً جذريَّاً؟

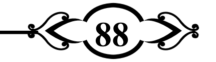
- أولا صديقى العزيز، نحن لم يصلنا أىُّ تفاصيل عن تلك الصَّفقة المزعومة، ثانيا: دعنى أسألك لماذا قرر اليهود الآن؟، والآن فقط الانسحاب من فلسطين؟، ومن جميع الأراضى العربية المحتلة دون قيد أو شرط؟، فى حين أنَّه ومنذ أربعة أعوامٍ كاملةٍ ساد الهدوء بيننا وبينهم بعد إعلان الهدنة الَّتى تقدَّمت بها مصرُ لإنهاء أخر حرب بيننا وبينهم، وها نحن قد وقَّعنا هُدنة أخرى بمساعٍ مصرية حميدةٍ ومحمودة أيضا، والأمور مستقرة تماما بيننا وبينهم، ألا يُشعرنا هذا بالقلق وأن نتوجس خيفةً فيما يتعلق بصفقة القرن مجهولة الهوية والتفاصيل تلك؟
- وهل أفهم من كلامك أن يظلَّ الوضع على ما هو عليه؟
- ولِمَ لا؟
- إذًا فهل تخليتم عمَّا أنشأتم حركتكم من أجله بمقاومة الاحتلال والجهاد حتَّى النَّصر؟، وحتَّى طرد أخر جندى يهودى من بلادكم؟.
- نحن أخى لم ولن نتخلى عن المقاومة والجهاد، مهما كلَّفنا هذا من تضحيات.

هنا قطع الحديث مقدم البرنامج، معلنا ورود مكالمة من غزة فقال:
- تفضَّلى سيِّدتى فنحن مُنصتون لك تمامًا وبكلِّ الاحترام.
- أولًا أستاذ، أشكرك جزيل الشُّكر لإتاحة الفرصة لى كى أعبر عن سعادتى بإعلان إسرائيل انسحابها من وطننا، وأرضنا بعد أن خضبتها وروتها بدماء شهدائنا وجرحانا، وقد تابعت حواركم من بدايته مُندهشة ممن يرفضون تلك الصَّفقة، وممن يستصعبون التَّخلى عن جنسياتهم الأميريكية والعودة لوطنهم، نحن سيِّدى من عانى، ومن كابد ومن بكى ويلات الاحتلال، ويجب أن يكون القرار هو قرار فقراء الشعب الفلسطينى وأنا منهم، بل إنَّ زوجى وابنى وابنة أخى وشقيقى فى سجون الاحتلال منذ سنين، كما أن هناك بنات وسيدات سجينات أنتهكت أنوثتهن ونلن أشد صنوف التَّعذيب والقهر، ولا أدرى ما هو

الجُرم الَّذى ارتكبنه، نحن سيِّدى فقراء الشعب الفلسطينى، والفقراء هم دائما من يدفعون الثَّمن، وهم من يعانون، وهم من هُدِّمت ديارهم، ومن فقدوا الأبناء، والأباء، والأزواج، فدعونا نتخذ القرار نظير ما تكبدنا من ظلم وقهر، وأدعو الله أن يُلهم أهل السلطة الرشاد، وأن ينزع الخصام والعناد من قلوبهم، فنحن أيضا نثمِّن لهم كفاحهم ونترحم على شهدائهم، ونثمن لهم وطنيتهم وجهادهم .

عاد مقدم البرنامج بعد أن أمَّن على دعواتها بقوله آمين، ثم أشار للسيد مدير مركز ابن زيدون باستئناف حواره مع السَّيِّد أبو إياد من غزَّة، والَّذى سأله السَّيِّد منير:

- دعنا صديقى نتدارس سويا ما قالته تلك السَّيِّدة المكلومة من غزَّة، وربما كانت جارة لك، أى تعانى بمثلما تعانيه أنت، فما قولك فيما سمعته منها:
- نحن وبكل تأكيد نحترم مشاعرها ورأيها، وما دمت قلت أنت إنَّها ربَّما كانت جارتى إذاً فأنا أعانى ما تعانيه بل ربَّما وأكثر، لكنَّنى أكثر منها اطِّلاعا على الموقف وعلى طباع عدونا ومكائده، وعليه فأنا أسألها الاستعانة بالصبر والصلاة لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ.
- ألا توافقنى وبرغم ما لمست خلال حواركم من رفضكم المبدأى للصفقة أنَّ هذا ليس قرارا نهائيا؟ ونحن نعلم أن حركة حماس وكجزء من جماعة الإخوان المسلمين تتميز بالبراجماتية السِّياسيَّة، وبأنكم تستطيعون التَّغيُّر فى السِّياسات والمواقف كما قمتم بتغيير ميثاق حركتكم مؤخرا بما يتناسب ما الظُّروف والمتغيِّرات السِّياسيَّة للحفاظ على تواجدكم بالمشهد السِّياسى الفعال.
- نعم أوافقك.
- إذا وسؤالى هنا من شقين، الأول هو: هل يمكننا اعتبار رأيك معبرا عن رأى حماس، ورأى متخذى القرار بها، أم إنه رأيا شخصياً؟



والسؤال الثانى هو: ألا تتوقع تغييرًا فى موقفك مع الوقت بعد اتضاح وتبين الأمور لكم بصورة جليه؟

- نعم أنا أتحدث كمواطن فلسطينى أولا، وكعضو فاعل فى حماس ثانيا، وما قلته يكاد يكون تعبيرًا عن رأى قادتنا بالخارج، والتغيير الَّذى عبرت عنه أنت واردٌ جدًّا.
- سؤال أخير سيدى: هل ستضعون شروطا تحقق لكم مكاسبًا أكثر نظير موافقتكم على الصفقة؟ أم ... هنا قاطع المتحدث من غزة لسائله وقال مُنفعلا:
- أنت من يسعى لتحقيق المكاسب أيها العميل الصهيونى، فكلنا يعلم أن مركزكم ماسونيا ويعمل لصالح الصِّهيونيَّة، ولصالح الإمبرياليَّة العالميَّة، فلتكن مهذَّبًا ومُحترمًا فى حوارِكِ الَّذى لطالما استفذنى، ولتعلم أنَّنا نعلم جيِّدًا أنَّك مُجردُ تاجرٌ جعل من السِّياسة بضاعته لتحقيق مكاسب طائلة، ولهذا فقد أتيت لتتاجر بقضيَّتنا العادلة، وإن لم تتوقف عن تلك الأسئلة السَّخيفة، والمُستفزَّة، فسأنسحب فورا من هذا اللقاء.
- نعم سيِّدى أتفق معك تماما، ففى بلادنا الآن من يتاجر بالسِّياسة، وهناك من يُتاجر بالدِّين، وهناك من يتاجر بالجهاد المسلَّح، وهناك من يتاجر بالوطن، وجميعنا تجارٌ يا سيِّدى وزبائننا هم الفقراء البسطاء ومنهم تلك السَّيِّدة التى تحدثت إلينا من غزَّة منذ دقائق.

وهنا توجه السَّيِّد مقدم البرنامج بالشُّكر للسَّادة الضيوف وللسَّيِّدات والسَّادة المشاهدين، متمنِّيا لهم نومًا هانئًا وأحلامًا سعيدة، على أمل اللقاء بالحلقة المقبلة بمشيئة الله.

الربيع العربى

كان سموِّ الأمير قد شعر بالارتياح بعد أن أرشده المهندس على قناة اعتبرها أفضل كثيرا من تلك القناة الَّتى انتشرت على نطاقٍ واسع بالمنطقة العربية، والَّتى يعتقد بأنَّها كان لها تأثيرٌ بالغٌ فى إشعال وإزكاء نيران التَّمرد والثَّورات فى أمتنا العربيَّة الإسلاميَّة، مُستعمِلة كافة الوسائل المُباحة منها والمُحرَّمة، الاخلاقية واللا أخلاقية، وكذلك الوسائل المشروعة والغير مشروعة، كما استعملت التِّقنية الفنيَّة المُضلَّلة فى خلق مشاهد تحتوى على خدع سينمائية، صُورت خصيصًا لبثِّها وعرضها فى مصر، عند قيام الثَّورة فى مصر، ونفس المشاهد شوهدت فى سوريا عند نشوب الثورة السورية على أنها حدثت بسوريا، والعكس، ولأن المجرم يترك دائما أثرا لجريمته فقد لاحظ الكثيرون من المتابعين لها أن مشاهد فيديوهاتهم المصورة كانت تتضمن مظاهر تُخالف وقت وشكل الحدث الَّذى يتحدَّثون عنه، ففى أحد أفلامهم كانوا يعرضون لأطفالٍ يرتدون ملابس ثقيلة لتقيهم برد الشتاء، وكذلك كان يرتدى الكبار، بينما الذى يصف الحدث يقول أنه حدث اليوم بمصر وكان ذلك بالعشرة الأواخر من أيام يونيو، وهذه الأيام هى أشد الأيام حرارةً على مدار العام بمصر، وتدخَّلت بعض وسائل الإعلام لكشف ذلك، حيث كان هذا هو النهج الَّذى تعتمد عليه تلك القناة فى تضليلها للنَّاس، لاعتقادها أن الغالبية العظمى من الشُّعوب أثناء الثورات يشعرون وكأنهم فى دوامة أو غيبوبة، وبالتأكيد فإن أحدًا سوف لا يلحظ ما لاحظته تلك الجهات، وهناك أمثلة عديدة أوضحتها الجهات الأمنية ببلدان الربيع العربي لتبصير النَّاس بكذب وسوء نوايا تلك القناة الشيطانية والعجيب أنها كانت

تفعل ذلك دعما للجماعات الإسلامية كما يطلقون على أنفسهم متناسين قول رسول الله عليه الصلاة والسلام: من غشنا فليس منا.

هزَّ سمو الأمير رأسه متعجبا ومتأسفا على ما يجرى فى أوطاننا من فتنٍ وفرقة وخراب ودمار على يد أبنائها فقال موجها كلامه لمهندسه:

- حدثنى مهندسنا عمَّا حدث ببلدكم عند قيام الرَّبيع وكيف سارت الأمور وكيف أصبحت؟

- الحقيقة صاحب السمو أن بلدنا كالعديد من البلدان العربية كانت قد وصلت إلى حالة مزرية نتيجة لحكم الفرد وسوء الإدارة وتقسيم الثروات على فئة قليلة من أبناء الشعب مع بقاء من على عرش البلاد لعشرات السنين ولا تبدو لديه النية لترك عرشه لمن يخلفه، بل أصبح الحاكم يطمع فى تسليم العرش لابنه من بعده حتى ذاع مصطلح التوريث بين الناس فى الوقت الذى تعانى فيه الغالبية العظمى وبنفس النسبة التى يحصل عليها حكامنا عند الإقتراع على تمديد بقائهم فى الحكم لولاية أخرى أى بنسبة تتراوح بين الثمانية والتسعين والتسعة وتسعين فاصل تسعة وتسعين بالمائة فى المائة وتكاد تكون هى نسبة الفقراء إلى مجموع الشعب، وكأن الفقراء فقط هم من يصوتون على بقاء مُفقرهم فى السلطة. بات الأمل مفقودًا تمامًا فى تحسن الأوضاع المعيشية وفى الوقت الذى يزداد فيه فقدان الناس للأمل تزداد دهشتهم حين يسمعون بصفة يومية عن اكتشافاتٍ بترولية وآبار غازٍ مُبشرةٍ هنا وهناك، ثم ازدادت الدهشة عندما أعلنت الصحف علىً لسان مسؤول رفيع المستوى عن اكتشاف منجمٍ للذهب يُبشِّر بإنتاج وفير، ومع هذا فالفقر ما زال قابعًا على صدورٍ الناس وقلوبهم فلا الهواء يصل إلى رئتهم ولا الدَّم يجرى فى شراينهم، ولا المسؤولون يكفون عن تصريحاتهم،

والعجيب فى الأمر أن الحالة العامة كانت لا تخفى على أحدٍ، وقد قيل أن الجهات المعنية بمراقبة أحوال الناس فى الدولة قد نبهت وحذرت، ولم يتحرك أحدٌ من المسؤولين بل ظلوا فى سباتهم العميق، إلى أن انفجرت النفوس المملوءة والمكتومة من الشعب فانفجرت فى وجه الحاكم مطالبة أياه بعدة إجراءات، وكعادة مسئولينا ورغم التطورات المتلاحقة منذ بدء المظاهرات فى الخامس والعشرين من يناير خرج الرئيس أخيرا على الشعب بخطاب فى التاسع والعشرين أى بعد أربع أيام كان المتظاهرون فيه قد سيطروا على مقدرات الأمور فى الشارع المصرى بالكامل، وكان تفاعل السيد الرئيس متأخرا جدا فى مخاطبة شعبه، وكان اختفائه رغم تدهور وتطور الأمور سريعا أمرا مدهشا للغاية، ولا أدرى سببا لهذا التأخر غير أنه وأخيرا قد استيقظ سيادته. بدا السيد الرئيس مُحاولا إرضاء الناس مُحترما لطلباتهم التى وصفها بالعادلة، فوعد بحل المشكلات الاقتصادية، وقام بحل الحكومة واعدًا بتشكيل حكومة جديدة تكون أفضل من سابقتها، كما وعد بتوفير فرصٍ أفضل للشعب المصرى وتحقيق النمو والرخاء، غير أن الناس لم تكن واثقة فى تحقيقه لمطالبها العادلة فازدادت أعداد الناس بالميادين وبدأ سقف مطالبات المتظاهرين يرتفع ساعة بعد ساعة، إذ إنهم كانوا قد بدأوها بالمطالبة بإقالة السيد وزير الداخلية، إلى أن وصلت وبعد الخطاب الرئاسى إلى المطالبة برحيل الرئيس نفسه بل ونظامه بالكامل فى وقتٍ ووضعٍ كان فيه مُجبرا على قبوله وتنفيذه.

بدأت الثورة سلمية، وطنية، نظيفة، جميلة، بدت نموذجا رائعا انبهرت به كل زعماء العالم أجمع، فمنهم من اعتبرها نجاحا لخطة بخصوص تنفيذ رؤية بلاده للشرق الأوسط الكبير، ومنهم من اعتبرها إنذارًا بقرب الخطر منه فقام بتحسين أوضاع شعبه فزاد فى

المرتبات وأطلق بعض الحريات، وكان الشعب المصرى فخورًا بأنه أصبح نموذجا دوليا أشادت به كل الحكومات والمؤسسات سواء كانت حسنة أم سيئة النية، وهذا ما حفز العديدين من المعارضين للانضمام لصفوف المتظاهرين، وعندما بات من المؤكد نجاح الثورة أنضمت جماعة الأخوان المسلمين إلى الميدان بل انتشرت وسيطرت عليه بما لها من كوادر وأمكانات، وكذلك بما لها من أتباع وممولين وداعمين داخليا وخارجيا فبدت صورة الثورة متغيرة تماما عن صورتها فى أيامها الأولى حيث بدت الصورة مؤسفة بل ومرعبة، والحقيقة أن الإخوان المسلمون كانوا قد عارضوا المشاركة فى الثورة عند بدايتها ثم عادوا للمشاركة بكل قواهم بعد تأكدهم من نجاحها، وبعد أن تأكد للجميع سقوط الدولة إداريا اضطر الجيش المصرى للتواجد والانتشار بالميادين والشوارع لحفظ الأمن والإبقاء على ما تبقى من الدولة، وقد نشأت حالة من الوطنية الرائعة تلاحم فيها الجيش والشعب فارتفعت الحناجر هاتفة لجيشها الذى رفع جنوده العلم المصرى مع المتظاهرين فى صورة رائعة فى الوقت الذى وردت فيه أنباء عن تصاعد أعمال العنف بسيناء بتفجير مبنى مباحث أمن الدولة برفح المصرية، ثم اقتحام سجن أبو زعبل وحدوث إطلاق نارٍ مكثف ثم محاولة اقتحام مطبعة البنك المركزى المصرى والذى تصدى لها الجيش، ثم انتشار عصابات فى جميع أنحاء القاهرة قامت بأعمال سلبٍ ونهب غير مفهومة وقد زاد من انتشارها انسحاب الشرطة من المشهد، كما استمرت عمليات تدمير مقرات الحزب الوطنى وأقسام الشرطة فى جميع أنحاء البلاد ولهذا فقد كان على الجيش سرعة التحرك لسد الفراغ الأمنى، ومع توالى المشاهد المخيفة وانتشارها من مهاجمة السجون المحتجز بها أعدادا غفيرة من الإسلاميين وكذلك الجنائيين إضافة إلى المعتقلين من قيادات جماعة الإخوان المسلمين، غير أن الملفت للنظر والذى

يجب الوقوف أمامه هو وصول أحد الفارين من السجون إلى منزله بغزة والتحدث إلى الفضائيات منه، فهل يعتبر ذلك حجة للمدَّعين أن حماس كانت قد دخلت البلاد عبر الأنفاق التى حفروها بسيناء؟، وهل كانت الأمور معدة سلفا لذلك؟ أذ كان هذا قد تزامن مع توافد أفراد جماعة الإخوان المسلمين إلى الميادين، وهل هذا مدعاة للمراقبين المحايدين للادعاء بأن هناك مؤامرة كبرى كان قد خطط لها بقيام هذه الثورات؟، التى بدأت بتونس ولم يتناولها الإعلام بالصورة التى تناول بها الثورات بعد امتداد نيرانها لمصر ثم انتشارها كانتشار النار فى الهشيم إلى ليبيا بعد أقل من شهر انقلبت سريعا إلى ثورة مسلحة قتل على إثرها معمر القذافى، وبعد الثورة الليبية بأيام يعلن الرئيس اليمنى تنحيه عن السلطة استجابة لثورة قامت ضده مطالبة برحيلة، وبعد قيام الثورة بليبيا وبأقل من شهر تشب أيضا نيران الثورة فى سوريا والتى بدأت مؤيدة للنظام ثم سريعا ما انقلبت عليه، وهنا نتساءل هل انتقلت الثورات للدول العربية مصادفة وعن طريق العدوى؟، وهل استعمال جميع الشعوب لهتاف " الشعب يريد إسقاط النظام " أيضا كان بدون توجيه من قوى خارجية أوحت بهذا الهتاف كهدف لها؟ وهل نستطيع تكذيب من ادعوا أنها قد حدثت بمؤامرة كبرى قد أعد لها منذ سنوات لتدمير البلدان والجيوش والثروات العربية؟، وكما يدَّعون أيضا أن مفاد هذه المؤامرة الكبرى هى تمكين الإخوان المسلمين من اعتلاء عرش البلاد العربية بغية إقامة حكم إسلامى يهدف إلى تطبيق الشريعة كاملة؟ وهل تمكُّن الإخوان من السلطة سيُمكِّن العثمانيين من استعادة عرش الخلافة الإسلامية، وإن كان هذا صحيحا فلماذا يدَّعى القائلون بنظرية المؤامرة أنها مؤامرة صهيونية أميريكية؟ فهل حقا سيأمن اليهود بقاءهم فى قلب البلدان الإسلامية، أم أنهم قد خططوا لذلك حرصًا منهم ورغبة على استمرار الحالات القتالية فى

تلك البلدان بين الإخوان والمناهضين لهم حيث تستمر مثل تلك الحروب طويلا دون الوصول إلى نصر ساحق أو هزيمة قاطعة، وبالتالى تعيش إسرائيل آمنة لعشرات السنين بين بلدان كسرت جيوشها واستنزفت ثرواتها وانقسم أهلها إلى ما شاء الله مثلما نرى الآن بأعيننا ونسمع بآذاننا ما يحدث وما يقال بين الشيعة والسنة وما بينهما من عداءات لا تتوقف ولا تنتهى. والحقيقة سمو الأمير كان الأمر وما يزال خطيرًا للغاية وأضحى الوصول إلى تفاهمات بين الأطراف المتصارعة دربًا من دروب المستحيل وخاصة بتحلينا بصفة العناد والمكابرة وقول ما لا نعمل به وعمل ما يتنافى مع الدين الذى نسعى لتطبيقه وبأساليبٍ نهى عنها الله ورسوله وكما قالوا لنا بديننا الحنيف.

- وكيف ترى الحل مهندسنا
- إذا استطعت وتمكنت سمو الأمير من إيجاد حلٍ لما يجرى الآن فى سوريا يكون مُرضيًّاً لجميع الأطراف الموجودة على أراضيها فسوف يكون هناك حلٌّ للأمة جميعها، فكما ترى سموك فى سوريا توجد قوى روسية، وإيرانية، ولبنانية ممثلة بحزب الله اللبنانى والذى ينتمى لإيران ولا أدرى كيف تكون مواطنا بدولة وتنتمى أو تتبع دولة أخرى، بالإضافة إلى قواتٍ تركيةٍ، وأخرى أميريكية وأوروبية، هذا بخلاف العديد من الجماعات الدينية والتى تتربع داعش على رأسها ولقد سمعنا اعتراف الرئيس الأميريكى الحالى أن الرئيس السابق هو من قام بإنشائها وتدريبها وتسليحها وتمويلها ودعمها عسكريا، ثم خرج علينا ليقول أن أميريكا تحارب الإرهاب وكذلك تعلن تركيا التى وصلت داعش إلى سوريا والعراق عبر أراضيها ثم وفى كل يومٍ تعلن أنها تحارب الإرهاب، ومن هنا سمو الأمير وأنا كرجل ليسٍ لى علاقة لا بالسياسة ولا بالسياسيين ومن قراءتى للمشهد أكاد أجزم أن الأمر السورى فى وضعه الراهن لو عرضته

للحل على ملكٍ طاهرٍ من السماء كى يرى له حلا بين دولٍ وقوى أنشأت الجماعات الإرهابية وتدعى أنها تحارب الإرهاب بالإضافة إلى العديد من الجماعات الإرهابية المتعددة كما يطلقون عليها، فسأعتقد أن ذلك الملك سيقترح عليك الذهاب إلى الشيطان فربما وجدت لديه حلًا يرضى أبناءه الشياطين.

- حقيقة يبدو الأمر مأساويا مهندسنا، وأرى أننا وما دمنا كذلك فمن حق إسرائيل ان تتلاعب بل وتتسلى بنا كيفما شاءت.
- صدقت سمو الأمير، بل إننى أخشى قريبا أن نسارع إلى أبواب إسرائيل طالبين منها ومستنجدين بها لإنقاذنا من إخواننا المسلمين المقيمين على الضفة الأخرى من بلادنا وأظننا قد بدأنا ذلك بالفعل.
- أكاد أظنك مهندسنا تُحمِّل المسئولية فى ذلك للجماعات الدينية والجهادية واستغلالهم لثورات الربيع العربى التى تقاعسوا عن المشاركة فيها فى بدايتها وعندما أيقنوا من نجاحها هرعوا ليحتلوا الصفوف الأولى للثوار حتى قيل أنهم قد سرقوا الثورة من أصحابها فهل فعلا هم مسئولون عما لحق بنا وسنظل نعانى منه ومن توابعه لعشرات السنوات كما تقول؟.
- ليس من العدل سمو الأمير أن نحملهم وحدهم كل المسئولية فهم كمثل كلِّ المنظمات والمجتمعات، والتجمعات والجماعات منهم الطيب ومنهم من اقتنع أن كفاحه فى سبيل إعلاء كلمة الله، ومنهم أيضا ما دون ذلك، كما أن منهم الأنتهازيون ومنهم من ينضم للفئة الفائزة دائما وهم كثيرون فى أوطاننا، غير أنى قد لاحظت دائما أنهم يدعون ويحركون للثورات لكنهم غير ثوريين ولا أدرى إن كان هذا جبنا أم حرصا أم تكتيكا، فهم قادرون على اقتناص الفرص وهم أيضا منظمون تنظيما دقيقا وأكاد أظن أنهم لا يقلون تنظيما عن الماسونية بيد أنهم يختلفون عنها فى أنهم يجيدون الصراخ والعويل والتهويل والماسونية تعمل فى صمت، ودعنا سمو الأمير نراجع الأحداث

وشخصياتها البارزة و باختصارٍ شديد علَّنا نتبين الصواب والخطأ فيما جرى.

منذ زمنٍ بعيدٍ انهمك الغرب فى دراساته عن العالم الإسلامى وخاصة للجانًب العربى منه نظرا لحبِّه الشديد لدينه وتمسكه به حتى الموت وقد توصل الدارسون الغربيون إلى أنه لا سبيل إلى السيطرة على المسلمين العرب إلا بالسيطرة على قلوبهم وعقولهم لخلق معتقدٍ يكون فى مظهره إسلاميا لكنه بصورة تتماشى مع الرؤية الغربية، واستمرت الدراسات سنينا طويلة أنشئت خلالها مؤسسات لنشر الديمقراطية الأميريكية، كما أنشئت أكاديميات للتغير فى لندن وقطر وبعض البلدان الأخرى، وفى نفس السياق ولنفس الهدف أنشئت العديد من الجمعيات التى تحمل عناوين براقة كأنها خيرية أو شرعية أو مهتمة بحقوق الإنسان عامة والمرأة على وجه الخصوص، وهنا يجب أن نستشهد بإعلان رئيس المخابرات الأميريكية عام الفين وستة عندما قال: إننا سوف نصنع إسلاما مناسبا لنا، وكانت السيدة كونداليزا رايس قد أعلنت قبلة بعامٍ تقريبا أى فى عام ألفين وخمسة عن نية الولايات المتحدة نشر الديمًقراطية بالعالم العربى وكذلك تشكيل ما أسمته فى حينه بالشرق الأوسط الكبير عبر نشر " الفوضى الخلاقة " وهو نفس العام الذى توسط فيه أحد مراكز البحوث الذى يرأسه باحث مصرى لخلق قنوات حوارية بين تنظيم الإخوان المسلمين فى مصر وبين الإدارة الأميريكية باعتبار تنظيم الإخوان هو أكثر التنظيمات هيكلة وتنظيما وقوة، ولديه الرغبة بل الحلم فى قيادة الأمة الإسلامية، وفى نفس الأثناء كان نجم أردوغان قد بزغ فى سماء الأمة الإسلامية فولى وجهه مسرعًا صوب الغرب ليعلن أنه خير من يقود تنفيذ عملية الشرق الأوسط الكبير وكثف جولاته ولقاءاته مع الساسة والقادة

الغرب كما وطد علاقاته مع الكيان الصهيونى لنفس الغرض ساعيا وراء تحقيق حلمه أن يكون سلطانا عثمانيا يعيد الخلافة إلى أنقرة، ومن هنا توافقت الرؤى والمصالح والأحلام بين الأميريكان من جهة، والإخوان وأردوغان من جهة أخرى، وكان إشعال النيران بالبلدان العربية والتى كانت الأوضاع بها متردية للغاية، فرصة لكافة الأطراف لتحقيق أحلامها وآمالها ومشاريعها فسار التعاون بينهم على قدم وساق مخلصين النية فى ذلك ومتفقين على أن تكون أعمالهم فى تقسيم البلدان الإسلامية العربية خالصة لوجه الله تعالى، وفى اعتقادى أن الأمور قد سارت بأروع مما تمنوا جميعا حيث اشتعلت النيران وتطايرت لتحرق خمس دولٍ عربية خلال أسابيع لتطيح بأنظمة تلك الدول وتزعزع عروش دولٍ عربية أخرى فكانت النتائج أروع مما تتوقع الشياطين من إفسادٍ فى البر والبحر إذ انتشر دخان الحرائق لينشر الفساد فى الجو أيضا، وهنا أتى دور تنظيم الدولة الإسلامية المسمى بداعش والذى كنا لا ندرى عنه شيئا إلا حين أعلن عن احتلاله لمساحات شاسعة فى سوريا والعراق وإعلانه إقامة الدولة الإسلامية ولم يكن هناك أى مجالٍ للشك فى أن أميريكا هى من أسسته وأن دولا عربية قد مولته وأن تركيا قد سمحت له بالمرور عبر أراضيها لاحتلال سوريا والعراق كما عملوا جميعا على انتشار أعضاء التنظيم فى كلٍّ من مصر وليبيا وبلدان عربية أخرى، أما الأمر الذى يدعونا للدهشة أن الدول التى أنشأته ودربته وأمدته بالمال والسلاح هى نفس الدول التى تعلن دائما وتدعى أنها تحارب الإرهاب، فنحن سيدى الأمير أمام لعبة كبرى أو أمام مسرح تعرض فيه مسرحية للكوميديا السوداء حتى أصبح كلُّ شيءٍ واضحا جليا لمن كان له عقل أو من كان فعلا يسعى لوجه الله.

- وكيف ترى مهندسنا لنتائج الربيع العربى بعد مرور هذه السنوات؟.

- أرى أنه سمو الأمير قد جعل الأمر فى غاية الصعوبة على أى رئيس عربى يجلس على كرسى السلطة فى بلدان الربيع العربى أن يحقق نجاحًا وسط مجتمع منقسم على نفسه ملئ بالجماعات المعارضة التى تستبيح استخدام كل الوسائل المشروعة والغير مشروعة فى سبيل إسقاطه حتى تتمكن من استعادة العرش، وبالتالى سيستمر الصراع بين الهدم والبناء لسنواتٍ لا يعلم عددها إلا الله، وهذا كان على ما أعتقد أكثر بكثير مما أراده أعداء الأمة بالتأكيد حتى إنهم أصبحوا وكما نقول فى مصر: يلعبون على المكشوف، واثقون أن أحدًا ما عاد يعى ما يُدار لنا وننفذه لهم بأيدينا بينما هم ساهرون يقرعون ويشربون كئوس الخمر على نخبنا ونخب انهيار أوطاننا.
- أراك حزينا ومهمومًا مهندسنا مما رأيته وتتابعه حول ما جرى بالربيع العربى فجعلتنى أكثر منك اهتمامًا لرؤيته بأعينكَ وفهمه من خلال أحكامك عليه وعلى المتسببين فى ما لحق بالبلاد والعباد والدين من ضرر بالصورة التى جرى عليها فهل حدثتنا عنه كما رأيته وتابعته؟.
- من الصعب علينا سمو الأمير أن نحكم على حدثٍ جلل كهذا من خلال ما نسمعه ونشاهده عبر وسائل الإعلام التى أضحت من أهم الوسائل تأثيرًا فى عقول وقلوب الناس، أذ وخلال السنوات الأخيرة قد تم إنشاء العديد من القنوات الفضائية منها من يمولها رجال أعمال أثرياء، ومنها من يمولها ويوجهها مؤسسات لا نعرفها ولا نعرف أهدافها ومصداقيتها، ومنها من تمولها حكومات، وهذه القنوات حسبما تابعت ورأيت يكون لها أهدافٌ ترنو إليها دون اعتبار للمعايير الأخلاقية، وحتى أكون واضحا ومحددا دعنا سموك نحصر تحليلنا فى الزعماء والدول التى صنعت ومولت ودعمت تلك الثورات، ثمَّ ننظر على أهداف ومبررات تلك الدِّول وهؤلاء الزُّعماء لدعم الثورات ونرى إن كانت نياتهم حسنة أم غير ذلك، وأيضا ننظر

فى أعمالهم لنفحصها أن كانت تطويرية أم تدميرية، وهل كانت أعمالهم حقا لوجه الله ولنصرة دينه ولرخاء المسلمبن كما يدَّعون دائما، أم كانت لوجه أميريكا وإسرائيل تنفيذا لطموحاتهم الدنيوية جميعا، بينما كان استعمالهم لمصطلح الإسلام فقط لثقتهم وليقينهم بحب المسلمين لدينهم واستعدادهم للتضحية بأرواحهم فى سبيل الله حُبًّا وإيمانا به، ومن أجل دينهم ورسوله صلى الله عليه وسلم، كما أنك بالنداء باسم الإسلام يُمكِّنك من حشد آلاف المؤمنين خلال ثوانٍ معدودة، والقصة سمو الأمير بدأت برغبة أميريكا بإيجاد إسلام يراه المسلمون بعيونٍ أميريكية من جهة، ومن جهة أخرى رغبة أميريكا فى تفتيت العالمٍ الإسلامى وتقسيمة إلى دويلات صغيرة على خلفية دينية ومذهبية وقبلية مما سيريح أميريكا وربيبتها إسرائيل كثيرا، ولن يكلفهم الأمر سوى الإيقاع بين العرب ليتقاتلوا ويتناحروا دائمًا وإلى أجلٍ لا يعلم مداه إلا الله، ثم وبعد كل هذه النقاط سمو الأمير دعنا نرى كيف أصبحت الأمور بين الحلفاء أبان ثورات الربيع العربى وأعنى بالحلفاء هنا، أميركا وبذيلها الاتحاد الأوروبى وإسرائيل ثم دعنا أيضا نراجع ما نلاحظة ونسمعه عبر القنوات الفضائية فى كل من تركيا وقطر والتساؤل عن أسباب لجوء كل الهاربين من المنتمين للجماعات الدينية لتلك الدولتين وفقط.

- نعم مهندسنا، هذه رؤوس مواضيع أرى أن على كل عربى ومسلم دراستها معنا فإن دراستنا للتاريخ واستيعابه بصورة أمينة وحيادية ستعيننا على صنع المستقبل خاصة وأننا نتحدث عن تاريخ حديث جدا رأيناه بأعيننا، وأدعوا الله أن يهدينا إلى طريق الرشاد، فتفضل بالشرح والتحليل وإبداء حجتك ومراجعك فى شروحاتك.
- فى البداية سمو الأمير أذكَّركم بما قلته سابقا بخصوص تصريحات شخصيات رفيعة المستوى بالإدارة الأميريكية سواء من السيد رئيس مخابراتهم أو السيدة وزيرة خارجيتهم بخصوص المسلمين

وكذلك بخصوص مشروع الشرق الأوسط الكبير، وما قلته أيضا بخصوص تسارع السيد أردوغان نحو أميريكا والدول الغربية بأنه خير من يقوم على تنفيذ هذا المشروع، وترحيب الأميريكين بذلك، ومن البديهى أن شخصية انتهازية لا تعمل دون مقابل بل وتنتهج دائما أساليب الابتزاز، فيبدو لى أن المقابل كان تمكين أردوغان من إعادة الخلافة الأسلامية حيث بدا لهم أنه يتحدث عن الإسلام عندما يُخاطب المسلمين ويتحدث عن الليبرالية والعلمانية حين يُحدِّث الغرب.

- دعنا نتوقف هنا مهندسنا قليلا لنتحدث عمن انبرى ليكون خليفة للمسلمين فى حين نسمع دائما أحاديثه المحيرة للمسلمين عن بيوت الدعارة والمثليين وبارات الخمور حتى إننى أخال أنه حين يتحدث عنهم بتفتُّحٍ وسماحةٍ كأنه يدعو للفجور، وحين يتحدث عن بلدٍ إسلامى جارٍ لتركيا يجحظ عينيه قاذفا منها الحقد والكراهية، وحين يتحدث عن الإسلام تراه من أولياء الله الصالحين، فقل لى بالله عليك كيف تجتمع كل هذه التناقضات فى شخصية واحدة.
- هذا سؤال بالغ الأهمية سمو الأمير سيجعل الناس يتفهمون الأمر إن هم أمعنوا النظر فيه وتأملوا كل حالة من تلك الأحوال على حدة، فهو وبكل تأكيد حين هرع لمد يد العون لأميريكا لتحقيق وتنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير أقنعهم أنه علمانى منفتح على الغرب وحضارته، وتأكيدا لذلك طالب بالانضمام للاتحاد الأوروبى، ولكم لاقى من صعوبات لتحقيق مطالبهم ومنها حماية الشواذ والمثليين والالتزام بتطبيق الديموقراطية بالعمل على أرض الواقع وليس بالخطب الرنانة، ولأنه يعلم جيدا تأثير إسرائيل وسطوتها على مقدرات الأمور عالميا فقد قام بزيارتها مُبديا الودَّ والأخوَّة والاحترام عارضا التعاون فى كافة المجالات، والعسكرية منها على وجه الخصوص حتى أنه زار إسرائيل والتقطت له الصور وهو يضع

أكاليل الزهور على مقابر ضحايا المحرقة وعلى قبر مؤسس الصهيونية تيودر هرتزل، وكانت هذه الزيارة متزامنة مع عرض أميريكا لمشروع الشرق الأوسط الكبير، ثم إنه وكما أعلن متحدث باسم حركة حماس عبر قناة الجزيرة: أن أردوغان هو من أقنع قادة الحركة بوجوب وحتمية اعتراف الحركة بوجود إسرائيل، ويبدو أن العمل والتنسيق بين المتعهدين على تنفيذ مشروع الشرق الأوسط جعلهم يحددون ساعة الصفر لتنفيذ هذا المشروع لتكون بإجراء استفتاء انفصال جنوب السودان عن شماله فى يناير عام ألفين وإحدى عشر، والجدير بالذكر هنا أن نذكر أن الإخوان المسلمون كانو وما يزالون على رأس السلطة الحاكمة بالسودان، وقد أعلن أحد الجهاديين التائبين (كما يطلق على نفسه) أن أميركا كانت قد وعدت الحكومة السودانية بعشرات المليارات من الدولارات لتنفيذ الانفصال ثم ضحك مستهزءًا وأعلن أنه وبالفعل قد استلمت الحكومة السودانية جزءًا قليلا من المبلغ وانتهى الأمر، وفى نفس الشهر الذى انفصل فيه جنوب السودان عن شماله تشتعل الثورة فى تونس ليهرب على إثرها الرئيس التونسى زين العابدين بن على إلى المملكة العربية السعودية، وفى نفس الشهر أيضا تشتعل الثورة فى مصر مطالبة برحيل الرئيس مبارك، وخلال أيام تمتد نيران الثورات فى كل من اليمن وليبيا وسوريا، فهل كان كل ذلك مصادفة ودون محرك لتدبيرات تلك الثورات؟، وهل كان شعارها برحيل الأنظمة أيضا مصادفة؟، وهل تولى الأخوان للحكم فى تونس ومصر وقتالهم فى سوريا وسيطرتهم على مناطق شاسعة فى ليبيا كان أيضا مصادفة وبدون داعم، ومع إيمانى بأن من حق أى مواطن فى أى بلد الترشح لكرسى الرئاسة، لكننا الآن نتدارس هل سار الأمر كما تمنى الثائرون على الأنظمة البائدة وهل تحققت لهم هتافاتهم المطالبة بالعيش والحرية والعدالة الاجتماعية، وهنا أقول آسفا: أنه

لم يتحقق من وراء تلك الثورات إلا أهداف من أرادوها وخططوا لها من تفتيت لقوانا وضياع لثرواتنا وتقسيم لبلادنا إما إلى مقاطعات، وإما إلى جماعاتٍ أصبح العنصر المشترك بينها جميعا هو الكراهية لكل من هم سواها، وإلى هنا ينتهى الفصل الأول من مؤامرة الشرق الأوسط الكبير، ودعنا نقفز فوق كل هذا لنرى الأوضاع الحالية وبعد إزاحة الإخوان المسلمين عن الحكم بثورة الملايين عليهم ومطالبتهم بالرحيل وكان لابد من الاستعانة بالجيش لتحقيق هذا الهدف وكلنا رأينا ما حدث وليس هناك من داعٍ لنقول للناس ما شاهدوه وما يعرفونه جيدا، غير أن الصراع الآنَ أصبح محصورا بين الشرعية المخلوعة وبين من يسمونهم انقلابين، لتكثر المسميات والاتهامات ويبرز وجه الكذب والنفاق بصورة كاسحة، وللتمهيد لصراع آخر كان لابد من إيجاد قميص جديدٍ ملطخا بالدماء كقميص سيدنا عثمان رضى الله عنه وأرضاه، للتلويح به للثأر بدم الشهداء حتَّى يتمكن المخلوعون الشرعيون من العودة لحكم البلاد مرة أخرى، فقد احتلوا ميدانى رابعة العدوية والنهضة غير آبهين بحديث الرسول عليه الصلاة والسلام بإبعاد الأذى عن الطريق، ولكم سمعنا استغاثات السكان لنجدتهم من الأضرار التى تلحق بهم، وعند فض الاعتصام وكما توقع المراقبون كان هناك دماء وضحايا من الجانبين قدرت أعدادهم بواسطة جهات محلية ودولية بما بين ستمائة إلى سبعمائة شهيد كان أولهم ضابط شرطة، بينما أعلنت القنوات الفضائية التابعة للإخوان وعلى رأسهم الجزيرة أنهم تعدو السبعة آلاف أى عشرة أضعاف العدد الحقيقى، واستمرت القنوات ووسائل التواصل الاجتماعى فى التنديد بالشرطة والجيش، وأرى أن هذا لم يكن مُستغربا من أناس أمسكوا بخيوط كل شيء ثم فقدوا جميع الخيوط فجأة، فلا لوم على مثل هؤلاء من استعمال كل مُحلَّلٍ ومُحرَّمٍ فى سبيل إعادة ما سلب منهم، وهذه هى الفتن دائما، ولهذا فقد حذرنا

منها الرسول الكريم أيما تحذير، وما دام الأخوة فى تنظيم الإخوان المسلمين يزعمون أن هدفهم الرئيس من اعتلاء السلطة هو تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية فقد صدمنى يوما كباحثٍ عن الحقيقة، وكآسفٍ على ما يجرى بأوطاننا وشعوبنا أن أرى فيديو يندد فيه واحدٌ من أقطاب التيار السلفى بمصر بالرئيس الإخوانى، ويتهمه بخداعهم، فقد اتفقا على أن يدعم السلفيون الإخوان فى انتخابات الرئاسة مقابل أن يلتزم الإخوان بتطبيق الشريعة، وهذا لم يحدث وانا أرى أن هذا كان إجحافا وظلما حيث أن تطبيق الشريعة يحتاج إلى معايير وأسس لم تكن متوفرة فى حينه وكان الإخوان يدركون ذلك جيدا، ومع ذلك فقد وعدوا به لمجرد الفوز بالكرسى، كما أننى أرى أن الإخوان لم يكن ببالهم تطبيق الشريعة ودليلى فى هذا أن من اعتبروه خليفة المسلمين القادم لم يطبق الشريعة فى بلاده رغم تمكنه من السلطة سنوات ليست بالقليلة، بل وبأنه كما يقال جعل بلاده فى مقدمة الدول الغنية، وما دامت الدولة توفر لشعبها الرزق الوفير فما المانع إذاً من تطبيق الشريعة، والحقيقة أن ما يؤسفنى حقا أن ينعكس كل هذا على الإسلام وكذلك على المؤمنين به، فقد كان أمرا غريبا أن يعلن أحدهم: أنهم قد شاهدوا جبريل بمسجد رابعة يُثبت المعتصمين، وهناك من قال أنه رأى بمنامه رسولنا الكريم وبعض المعتصمين فى رابعة وعندما حان موعد الصلاة قدَّموا الرسول للصلاة بهم، غير أن الرسول صلى الله عليه وسلم قدم الرَّئيس مرسى للصلاة بهم، فهل قصد بهذا أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد ترك أمر المسلمين للإخوان المسلمين وأمر خلافتهم للسلطان التركى الذى سمعنا وشاهدنا له فيديو على اليوتيوب يقول فيه: أنه كان فى الطائرة التى فحصها المتمردون بحثا عنه وكان هو موجود بها لكن الله أخفاه عن عيونهم وحفظه كما حفظ سيدنا محمد وسيدنا أبا بكر وهما فى الغار أثناء هجرتهما

إلى المدينة المنورة فغطى الغار بخيوط العنكبوت، وهناك فيديو يقارن بين أردوغان وأتاتورك مؤسس الدولة التركية الحديثة بل بينه وبين الرسول الكريم ولن أذكر تفاصيله فربما كانت الترجمة المدونة على الفيديو غير صحيحة أو دقيقة، وهذه من أخطر الأمور التى يأخذها علينا وعلى عقولنا الكتاب والمفكرون الغربيون، ولنسمع ونشاهد على اليوتيوب وبعض الفضائيات ما يقوله الملحدون واللادينيون عن الإسلام معلقين على مثل تلك الأقاويل والقصص، وكذلك على قصص تراثية لا يمكننا تصور حدوثها، وكأنها قد وضعت ليتمكن المحاربين للعقيدة الإسلامية من استعمالها ضدنا.

- **إذا فأنت مهندسنا ترى أن الربيع العربى قد ألحق الضرر بالإسلام والمسلمين وبأوطانهم.**
- **نعم سمو الأمير بل وبثرواتهم وبكيانهم الاجتماعى وبعلاقاتهم ببعضهم البعض وأيضا بمشاعرهم، فكم من حالات طلاق قد وقعت بسبب اختلاف انتماءات الزوجين، بل وفى الأسرة الواحدة التى يخاصم الأبن أبويه لعدم انتمائهما للفصيل الذى ينتمى إليه، رغم تنبيه الله لنا بحسن صحبتهما حتى وإن جاهدانا على أن نشرك بالله وليس بفصيل دينى. الجرح عميق جدًّا سمو الأمير، ويحتاج زمنًا طويلًا لعلاجه، ولاختبار العديد من العقاقير والأدوية علنا نجد فى إحداها علاجًا، وليس هناك بديل سمو الأمير عن إعادة صياغة الإنسان العربى والمسلم، وإن لم نسرع فى هذا السبيل فسيسرع غيرنا من الإلحاديين واللادينيين بضم العديدين من أبنائنا إليهم، ونسأل الله النجاة.**
- **ترى من هو الذى أضير جراء نشوب الربيع العربى ومن هو المستفيد مهندسنا؟.**

- من البديهى أن يكون المستفيد هو من خطط لمشروع الشرق الأوسط الكبير والجديد، وكذلك قادة الجماعات التى انبرت لتنفيذ هذا المشروع نيابة عن من رسموه حيث أنفقت عليهم مليارات الدولارات من الدول التى عاونتهم ودعمتهم بالمال والسلاح وبإدارة القنوات الفضائية بالأكاذيب والتضليل لحسابهم، أما الخسارة المفجعة فقد نالت الأمة الإسلامية جمعاء بأوطانها وشعوبها.
- إذن وكيف نتأكد من أن الجماعات الإسلامية تعمل لوجه الله ولنصرة دينه؟.
- عندما تقتدى زعاماتها بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، أى يكونوا فى صفوف المجاهدين جنبا إلى جنب وألا يكتفوا بالجهاد من خلف الأبواق الإعلامية من فنادق الدوحة الفاخرة، ومن تركيا وأوروبا وأميريكا يدعون الناس للثورة والجهاد، وأيضا حين تكابد هذه القيادات ما يكابده من يدعونهم بالثورة، فليس من المنطق أن تعيش هذه القيادات فى أفخر الفلل والقصور ويأكلون الخراف المحمرة والمشمرة، ولديهم أرصدة بنكية تقدر بالملايين بل وبالمليارات، ويركبون أفخر السيارات ثم يطالبون الفقراء بالثورة على الفقر حتى يتمكنوا هم من العودة لاعتلاء كرسى الرئاسة والخلافة لتطبيق الشريعة الإسلامية، ألم نقرأ سمو الأمير عما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى معركة أُحد؟، ألم تقرأ قيادات تلك الجماعات عن اشتراك الرسول الكريم فى كل المعارك التى دارت بين المسلمين والكافرين؟، ألم يقرأ القادة بهذه الجماعات عن حياة الرسول وأنه كان لا يجد غير التَّمر لإطعام نفسه وأهل بيته، فى الوقت الذى عرض عليه الكفار أن يكون أميرهم إذا كانت دعوته من أجل منصبٍ، أو أن يمدوه بما يريده من مال شرط التخلى عن دعوته ورسالته؟، هناك العديدون من المخلصين من الوعَّاظ والدُّعاة للدين

ولا يطلبون مالًا ولا جاهًا ولا منصبًا، إنما يفعلون ذلك لوجه الله مخلصين فى دعوتهم.

- وكيف ترى الأمور سائرة بنا بعد سنوات من الثورات والتمردات؟.
- ما أراه سمو الأمير الآن وبعد تنفيذ المرحلة الأولى من مشروع الشرق الأوسط الكبير والجديد مبتدأين ببعض الدول التى نجح بها المشروع بصورة أكبر وأروع مما تمنى المخططون للمشروع، فسوف يبدأون بتنفيذ المرحلة الثانية منه فورًا.
- وما هى تلك المرحلة الثانية للمشروع كما تراها مهندسنا؟.
- المرحلة الثانية سمو الأمير هى التى ستنال فيها الدول التى دعمت ثورات الربيع العربى بدول المرحلة الأول وأقصد هنا بالتحديد تركيا وقطر وإيران وسيتحقق قول العقلاء بدول المرحلة الأولى للحمقى بدول المرحلة الثانية حينما يذكّرونهم بقول الشاعر:

فقل للشّامتين بنا أفيقوا   سيلقى الشّامتون كما لقينا

فهناك مؤشرات قوية وواضحة نراها خلال التراشقات التى تختلف فى حدتها بين أميريكا وتركيا، فيومًا نراها مغلفة بالتحدى والمكابرة وأحيانا نراها تجنح للعقلانية، ومرة نراها معاركًا حربية، ومرات أخرى نراها اقتصادية، وقد سمعنا وشاهدنا انهيارًا حادًا لحق بالليرة التركية لمجرد إرسال تغريدة لرئيس الولايات الأميريكية عبر تويتر جعلت الرئيس التركى يعرض بيع الجنسية التركية لمن أراد الشراء، وهناك إجراء أخر اتخذه بإعفاء المواطنين الأتراك من الخدمة العسكرية بالجيش التركى مقابل دفع بعض الأموال، وعلى أية حال فإنه وبعد مكابرة ومعاندة نراه فجأة يفرج عن القس الأميريكى الذى كان محتجزًا بتركيا بحجة التجسس وأصر أردوغان بعدة خطابات نارية له على عدم الإفراج عنه، وإذ بنا نرى فجأة ذلك القس جالسًا إلى جوار الرئيس الأميريكى بالبيت الأبيض حيث تبادلا الشكر والترحيب للإفراج عنه رغم أنف تركيا، ثم نرى الحرب تشتعل مرة

أخرى وبصورة جعلت الرئيس الأميريكى يتوعد تركيا بتدمير اقتصادها بعد أن تعاقدت تركيا مع روسيا لشراء أقوى الأنظمة الصاروخية، ومن هنا يكون اغتنام أميريكا للفرص لاستكمال مراحل تنفيذ مشروعها بخصوص الشرق الأوسط بادأة بتركيا وعلى ما أعتقد ومنتهية بإيران غير أن وسائل تنفيذ المشروع بإيران سيكون بصورة مختلفة بإشعال الحرب بين السنة والشيعة وهى الحرب التى لن تنتهى إلا بالإتيان على الأخضر واليابس بكافة الدول الإسلامية العربية والفارسية أى وبوضوح بين قطبى الأمة من الشِّيعة والسُنَّة.

- إذاً متى وكيف ينصلح حال بلادنا مهندسنا؟.
- البلاد سمو الأمير، تكون بمن يعيشون فيها وعلى أرضها، وكما قال القدامى: الإناء ينضح بما فيه، فإن كان فيه عسلٌ نضح عسلًا وإن مرٌ نضح مرًا، نحن المسؤلون سمو الأمير ونحن من أفسدنا بلادنا بأقوالنا وأفعالنا، ولن ينصلح حال بلدٍ قيل عنه أنه مجرد ترابٍ عفن، لكن سينصلح إن قلنا أنه عبارة عن ذهبٍ يستحق التضحية بالنفس فى سبيل رفعته وعزته، فبلادنا ستنصلح سمو الأمير إن نحن أصلحنا أنفسنا وحين تتفق أفعالنا مع أقوالنا، فأنت حين ترانا نفعل شيئا تتعجب أشد العجب كيف فعلنا عكس ونقيض ما قلنا تماما، وسأعطى سموك أمثلة على ذلك وهى مُضحكة مُبكية.
- تفضل مهندس فالحديث يبدو مخلصًا ماتعًا رغم ما يحمله من دماءٍ وآلام.
- أتذكر سمو الأمير حينما رأينا السيدة رئيس دولة كرواتيا التى ذهبت خلف فريقها لغرض تشجيعه ودعمه معنويا للفوز بمسابقة كأس العالم التى أقيمت بروسيا؟.
- نعم أذكرها جيدا وأذكر كم انبهر العرب بها بل وتمنوا أن تكون رئيس لبلادنا.
- وهنا تكمن أول بلاوينا سمو الأمير.



- كيف؟.

أنسيت أن هناك من يروى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، والذى يقول فيه: " لن يفلح قوم ولُّوا أمرهم امرأة ". ولا أنسى سمو الأمير حين شاهدت واستمعت لشيخ تقلد أرقى المناصب وأرفعها بالمؤسسات الإسلامية المحلية والدولية، والذى لقب أبان ثورات الربيع العربى بمفتى الإخوان لما له من فتاوىٍ أصدرها خلال تلك الثورات حين أفتى للجماعات المتواجدة بليبيا بقتل الزعيم الليبى معمر القذافى وقال فى ختام فتواه: اقتلوه وأنا المسئول أمام الله، وتعجبت إن كان إقراره هذا سيجيز تحمل الشيخ للمسئولية نيابة عن القتلة أمام الله يوم الحساب فيُحمِّل الله الذنب للشيخ عوضا عنهم، وربما قرأ ذلك الشيخ وتلامذته على الناس مئات المرات عبر منابرهم الدينية والإعلامية محذرا للناس من اتباع خطوات الشيطان، وتلى عليهم قول الله فى محكم آياته بالقرآن الكريم بسورة إبراهيم الآية 22 والتى نصها: " وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ".

الأمثلة سمو الأمير فى هذا المقام أكثر من أن تحصى وأن تعد، ولدىَّ اعتقاد راسخ أننا فى أمس الحاجة إلى الصلاح والإصلاح، وبإعادة صياغة وبناء الإنسان العربى بصفة عامة والمسلم بصفة خاصة إن أردنا أن نرضى الله ورسوله ونرضى أيضا أنفسنا.

الصلاح والإصلاح

في اليوم المحدد لإذاعة برنامج "النوافذ الخلفية" عبر قناة تربل إن " إن إن إن، وبالإنجليزية NNN " الفضائية كان المهندس قد تناول العشاء مع سموِّ الأمير تلبية لدعوته الكريمة، فقد جلسا على رأس الديوانية ومعهم روادها الدَّائمون من المشايخ، والجيران من أصحاب الحاجات لدى سمو الأمير، كانوا جميعا في انتظار إذاعة البرنامج الَّذى ابتدأ كعادته بعرض فيلم عن المسجد الأقصى، وما يتعرض له المصلِّين من مُضايقات من ٍقِبَلِ قوات الاحتلال، ثُمَّ ظهر السَّيِّد مُقدِّم البرنامج الَّذى حاز على حُبِّ وإعجاب المشاهدين لهدوئه ورزانته ووسامته، وكذلك لبسمته الدائمة في حالتى الاختلاف والاتِّفاق مع من يستضيفهم، وبعد أن ألقى التَّحية على السِّيدات والسَّادة المشاهدين، قام بتقديم ضيوفه عبر سكاى بى مبتدأً بالباحث الدينى السَّيد / علَّام الدميرى، والشِّيخ أسامة خالد القيادى بالجماعة السَّلفية، والمستشار أحمد السَّعيد، ومرة أخرى معربا عن سعادته باستضافة السَّيد منير مدير مركز ابن زيدون، وبعد الترحيب بالضيوف باغتهم مداعبًا لهم بأنه لمن حسن الطَّالع أن يكون جميع ضيوف حلقتنا الليلة من المنتمين لأم الدنيا مصر العزيزة على نفوسنا وقلوبنا، وقلوب كلِّ العرب بل وغير العرب لما لها من عراقة تاريخيَّة أبهرت العالم دائمًا، وبما حباها الله من جمال، وبما حبا به أهلها من خفة ظلِّ وفكاهة، رغم ما يحملونه على ظهورهم من هموم وتحدياتٍ، وأحزانٍ، وآلام، عبر العصور فالمصريون قد تميزوا دائماً بإيمانهم ووعيهم ووطنيتهم، كما اشتهروا بطيبتهم، وكرم ضيافتهم، ودعونى أغتنم الفرصة لأدعو الله لمصر: أن تتجاوز محنتها وأن تُعيد

بناء ما دمَّرته الفتنة الَّتى أحدثها فصيلٌ من أبنائها، وكأنهم تبرَّأوا منها، وأن تتعافى قريبًا لتعود مزارًا لعاشقيها ومحبيها من كل دول العالم.

أما موضوع حلقة اليوم والَّذى هو مطروحٌ للمناقشة فهو التَّباحث حول ضعف ووهن وتهاوى أمتنا العربيَّة وأسبابه، على الرَّغم مما لديها من ثروات طبيعية جعلت من بعض دولها أن تتصدر التصنيف العالمى الذى يُعد لأغنى دول العالم وأكثرها ثراءً، كما أن بها بلدان لديها قوى بشرية أغلبها من الشَّباب يمكن أن توفر لها زُرّاع وصنَّاع وبناءين وعلماء، تستطيع لو استغلت وفرة أمكاناتهم أن تكون فى مصاف الدول المتقدمة بكافة المجالات، كما أن هناك ثروات عديدة أخرى تفوق الوصف بالمقارنة ببلاد أخرى استطاعت كلٌّ منها منفردةً سبق جميع الدول العربية مُجتمعةً بمراحل متقدمة للغاية حتَّى بات من الصعوبة بمكان اللحاق بها بالرغم من أنها تفتقر للثروات التى لدينا وليس لديها غير عقولها، ومن هنا ندرك أننا فى أمسِّ الحاجة إلى الصلاح الذى لن نبلغه إلا بإصلاحٍ ما نراه ضرورياً بل وحتمياً فى مفاهيمنا وثقافاتنا بل وفى معتقداتنا ومنابعها ومراجعها

وحتَّى يغشى حوارنا البركة والتوفيق دعونا نبدأ بسؤال سيِّدنا الشَّيخ / أسامة خالد القيادى بالجماعة السَّلفية ورئيس حزب نور الإيمان عن أسباب المرض وسبل علاجه؟، مع رجاء الإيجاز والإفادة، وانتقلت الكاميرا للشَّيخ الَّذى قال بعد أن سعل وتنحنح :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، وأشهد أن لا أله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيى ويميت، وهو على كلِّ شيء قدير، أعزَّ مَن اعتز به فلا يُذلُّ ولا يُضام، وأذلَّ مَن تكبَّر وعصى أمره بارتكاب الآثام، وأشهد أنَّ سيِّدنا ورسولنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا،

عبد الله ورسوله، وصفيَّه من خلقه وحبيبه، خاتم أنبيائه، وسيِّد أصفيائه، المخصوص بالمقام المحمود، في اليوم المشهود، وبعد ... نعم أخى لقد صدقت بما تفضَّلت به ونعت به حال أمتنا الَّتى استطاعت أن تقيم امبراطورية عظمى امتدت من حدود الهند والصين، إلى شمال أسبانيا وحتى جنوب فرنسا، وكانت اعظم امبراطورية أقيمت في التَّاريخ إلى اليوم، وذلك فى أيام عزَّها عندما كانت تؤمن بالله ورسوله، وتعمل بما أنزل الله عليه وعليها، بإخلاص فى النِّيَّة والعمل، إذ كان كل من الحاكم والمحكوم يُراعون الله فى أعمالهم، جاعلين القرآن الكريم والسُّنَّة المُطهَّرة مرجعهم فى كافة أمور دنياهم، وأخراهم، وحرصوا على أن تكون كلُّ أعمالهم لوجه الله تعالى، فتقدَّموا، وتوسَّعوا، وسادوا فى الأرض حتَّى صارت كلُّ الأمم تخشى قوتهم وبأسهم، أمَّا الآن وقد ابتعدنا عن الله وقرآنه وسنَّة نبيه، فماذا كنت تتوقع أن يكون حالنا بين الأمم، وحتَّى أُوجز كلامى كما قيَّدتنى بذلك فأجيبك بأنَّ السَّبب الأوحد فى تخلفنا، وضعفنا، ووهننا، ما هو إلا بسبب بعدنا عن الله، وما دمنا قد وضعنا بأصبعنا على السَّبب الحقيقى، فإنَّه ليس أمامنا لإصلاح حالنا وأحوالنا سوى العودة إلى الله عزَّ وجل والاهتداء برسوله الكريم، وبعدها إن شاء الله نعود لنصبح أفضل الأمم وتعود باقى الأمم المشركة للخوف من قوتنا وبأسنا إن شاء الله تعالى.

قدم السَّيِّد مقدم البرنامج الشُّكر لمولانا الشِّيخ السَّلفى وبعد أن داعبه لادعائه أنَّه كان قد قيَّده بعدم الإطالة قائلا له: لقد خشيت بعد افتتاحيتك العظيمة وكأنك ستلقى خطبة الجمعة بعد مقدمتك الطويلة والجميلة وأنك كنت سوف تنهيها بالدعاء على اليهود ومن وراءهم ثُمَّ تُقيم الصلاة يا مولانا. وبعد أن ضحكوا جميعا، توجَّه بنفس السُّؤال للسَّيِّد / علام الدميرى الباحث الدينى، راجيا منه الإيجاز

والإفادة، كما ترجاه بالاكتفاء بالمقدمة الَّتى القاها على مسامعهم ومسامع المشاهدين فضيلة الشَّيخ / أسامة.

- نحن سيِّدى، ومنذ عشرات السِّنين قد اكتفينا بالكلام وكلما انتهينا مما نقوله قمنا بإعادة ترديده وبنفس الأسلوب بلا كللٍ ولا ممل ونُشخِّص المرض بسهولة بالغة، لكننا لا نتكلم عن أسرع سُبل وكيفية العلاج بالحلول النَّاجعة ، وإن اقترح أحدنا حلًّا، هبَّ الكثيرون لاتهامه بالماسونية والليبرالية مرةً، والعلمانية، والزندقة مرةً أخرى، والعجيب فى الأمر أن الغالبية العظمى من المتهمِين لا يعلمون الكثير عن الماسونية والليبرالية والعلمانية، وكأن هذه المصطلحات قد اتُّخذت كنوعٍ من السِّباب واللعان، كما يبدو أنَّنا اتفقنا جميعا على قضية تخلفنا رغم صعوبة اتفاقنا على أىِّ قضيَّة، والقضيَّة سيِّدى بجلاء أنَّنا انقسمنا إلى فرقٍ وجماعاتٍ، ولكلٍ منها أتباعها الذين هم مستعدون للتضحية بأرواحهم فداء لما يؤمنون به والعجيب أن جميعها تدَّعى أنها تعمل جاهدة لرفعة شأن الدِّين، ولوجه الله وفى سبيل العودة إلى الله فقط، ورغم أن الأُمَّة قد اعتادت على الانقسام إلى فرقٍ مُتناحرة بعد انتقال رسولنا الكريم (صلَّ الله عليه وسلم) إلى الرفيق الأعلى مباشرة وحتَّى يومنا هذا، وكلُّ فرقة تدَّعى أنَّها الفائزة، وأن مصير ما عداها الجحيم، ولأن السَّادة السِّياسيين يتحلُّون بالدَّهاء والذَّكاء، فقد سارعوا بدعم بعض هذه الجماعات ماديًّا وأمنيًّا، ولأن السِّياسيين أيضا يعملون لوجه الله دائمًا وأبدًا، فقد وظَّفوا تلك الجماعات دون أن تدرى لتحقيق مآربهم، ويبدو أنَّه ومع تطور الجماعات وازدياد نفوذها وقوتها، تطورت أيضا أحلامها وطموحاتها فأصبحوا فيما بينهم يتسائلون: لماذا لا نتصدر نحن للمشهد السِّياسى بأنفسنا لنحلَّ محلَّ من يستخدموننا سياسيا، وإلى متى سنظلُّ سياسيين من الباطن، ومن هنا تحول جهادهم، من جهادٍ فى سبيل الله، إلى جهادٍ فى سبيل الكرسى، وما حدث بأُمَّتنا من

ثوراتٍ للرَّبيع العربى - الَّذى أظُنَّه ربيعًا غربيَّاً وليس عربيَّاً على الإطلاق - شاهد على هذا، إذ نجحوا فى تحقيق أحلامهم وطموحاتهم، بدعمٍ من دولٍ أقليميَّة لديها أيضًا طموحاتها، ودول غربية أخرى يهمهًا أن تبقى الأمة العربية مُتخلِّفة، مُتناحرةً فيما بينها، حتَّى لا تقوم لها قائمة مرة أخرى، وحتى تنكسر عيناها فلا تستطيع النظر إلى ما تفعله إسرائيل بها، ولم تفطن تلك الجماعة الَّتى نجحت فى الدخول إلى القصر واعتلاء عرش الحكم، أنَّ الَّذين يدعمونهم الآن لهم نفس الدوافع الَّتى كانت لدى من يدعمونهم من السَّياسيين فى أوطانهم، والَّذين وصلوا للحكم بعد الإطاحة بهم، ومن هنا سيَّدى تأتى الإجابة على سؤالكم عن ضعف أمتنا بصورة جعلت أعداءها يتلاعبون بها وبمصيرها ومُقدَّراتها والسَّبب سيِّدى هو أن الدولة الإسلامية قد توسعت حين كان الفقهاء والعلماء يضعون كل همَّهم وهمَّتهم بالدِّين والعلم لإفادة المسلمين وإعانتهم فى تسيير أمور حياتهم، ولم يكن فى طموح أى منهم السَّعى لحكم البلاد والعباد، فى حين أنَّهم الآن يدَّعون العلم، وهم ليسوا بعلماء، بل ويتجرأون على الفتوى، ويتكلمون فى الفقه وهم ليسوا بفقهاء، وحين تناقش أحدهم يقول قال شيخ الإسلام ابن تيمية، أو قال الإمام فلان، وكل ما يستطيع الأفادة به هو أن يقول: وأنا أميل إلى رأى فلان، وأقول حتَّى لا أُطيل بأنَّنا سوف نكون بحالة أفضل بين الأمَّم حين تتخلى تلك العشرات من الجماعات عن صراعاتها الحربيَّة والتكفيريَّة، والتَّعاون مع بعضها البعض فى تنقيح ما أدخل على ديننا وقد تم إعداده لأسبابٍ كانت سياسية أيضا، وأن يكون فى عصرنا علماء حقيقين، وأئمة يجتمعون معا ليخرجوا علينا بكتابٍ كاملٍ شاملٍ لكل القضايا الَّتى تهم المسلم فى دينه ودنياه، على أن يكونوا جميعاً أو غالبيتهم على الأقل متفقين عليه، ولدى الكثير مما أقوله فى ذلك ربما بالمداخلات التالية.

وكالعادة تقدم مُقدِّم البرنامج بالشُّكر ووعد بأعادة الحوار له مرة أخرى لاستكمال حديثه ثُمَّ توجَّه بسؤال الحلقة للسيد / منير مدير مركز ابن زيدون فقال:

- سيِّدى الكريم، الأسباب واضحة لكلِّ من له عين ترى، وأذنٌ تسمع، وعقل يفهم، فالأمة أضحت تتكون من طائفة السياسيين الَّذين يتحدثون عن الدِّيموقراطيَّة ويحكمون شعوبهم بأبشع الأساليب الدِّيكتاتورية، وكما قال ضيفكم تتكون أيضا من جماعاتٍ دينيَّة سعت ووصلت لكرسى العرش بمعاونة دولٍ كانوا دائما وما زالوا يصفونها بالكفر والعلمانية والإلحاد، وحين أُزيحوا عن الحكم بثورة عارمة بعد توليهم الحكم بفترة وجيزة للغاية، قالوا: إنهم جاءوا للحكم بوسائل ديمقراطية، فى حين أنَّهم كانوا وما زالوا يكفرون بالدِّيمقراطية بحجة أنَّ الإسلام لا يقرها، والأدهى من هذا كلِّه، أنَّهم حينما سقطوا سارعت جماعة أخرى مثلهم لتُولِّى وجهها شطر أميريكا مُثبتةً لمسئوليها أنَّهم الأولى، والأجدر باعتلاء عرش البلاد، والعجيب أن من هرعوا لأميريكا هم من يقضون جل أوقاتهم فى سب ولعن رأس الكفر ويقصدون بذلك أميريكا، بل وبالدُّعاء عليها، السَّبب يا سيِّدى أنَّنا أصبحنا أناسًا بلا هدف، وبلا مبادئ، نقول إنَّنا مُسلمون ونعمل تماما كلَّ ما يُخالف دين الإسلام بمنهاجه، ومبادئه، وأحكامه، وكل ما نفعله هو محاولة تصيُّد الفرص واقتناصها كأفراد لنرتقى بأنفسنا وبمراكزنا مجتمعيا وليس دينيا، وأنا هنا أؤكِّد أن ليس للدِّين دخلٌ فى هذا، بل من يدَّعون أنَّهم رجاله هم السَّبب الأوَّل فيما لحق بأمتنا وبديننا من تخلُّفٍ، فهم يعملون لدنياهم أكثر بكثير جدًّا مما يعملونه لأخراهم، هم يفهمون أنَّ الدِّين جاء لقطع يد السَّارق، ورجم الزَّانى فقط، وكأنهم لا يعلموا أنَّ الدَّين قد جاء ليسموا بالإنسان عن طريق بناء أخلاقياته وسلوكياته، متناسين قول رسولنا العظيم: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "، هم يتحدثون عن الجحيم أضعاف أضعاف ما

يتحدثون عن الفردوس، بل إنهم لا يذكرون الفردوس إلا حين يخبرون من سيذهب ليفجر نفسه لقتل الأبرياء بأنَّ الله سيدخله الجنَّة وهناك سيتزوج من بنات الحور، علَّموا النَّاس أنَّهم إما أن يعبدوا الله خاضعين، أو سيُلقون فى نار جهنم للأبد، بينما أرى أنه من الأرقى أن يعلِّموا الناس أن يعبدوا الله حُبًّا فى الله لما منحه لنا من نعم وأفضال، ولأن هذا سيِّدى هو منهجهم الدِّينى، إضافة لأنهم يُحرِّمونَ كل ما يُدخل السرور على نفوس البشر تحريما مطلقا، ولهذا ضجَّ النَّاس منهم وبدأوا يبحثون عن متنفَّسات لهم متأكدين أنَّ الدين لا يسمح بها، وقبل أن أختم أقول لصديقى: إن إسرائيل لم تنتصر علينا بالحرب المسماة بحرب يونيو لأنهم أكثر منَّا إيمانا، واليابان لم تكن من أكثر الأمم تقدما لأنهم أكثر الأمم إيمانا، وكذلك الصين، وروسيا وكوريا، وحتى تكون المقارنة عادلة أذكِّر فضيلته بأن معظم الدول الَّتى سبقتنا وأصبح من المستحيل علينا اللحاق بها حضاريا و علميا وأخلاقيًّا بل وفى كافة المجالات، نالت استقلالها معنا، بل ومنهم من خرج من الحرب العالميَّة الثَّانية مُدمَّرًا تماما فى حين أنه لم يلحقنا منها أذىً يُذكر، فدعونا نتحدث صراحة إخوانى الكرام فقد أصبحنا فى وضع مخزىٍ للغاية، دعونا نتحدث لوجه الله، وليس لمصالح شخصيَّة أو قبليَّة، أو عشائرية، دعونا نخرج رؤوسنا من الرمال التى دفنَّاها بها، فهذه دعوةٌ منَّا للتَّصارح حتَّى وإن أدى هذا إلى كشف عوراتنا.

- أحسنت سيدى فيما قلت وأفدت وهنا نتساءل معا من أين تبدأ عملية الإصلاح؟
- فى البداية سيدى وحتى نصل إلى الطريق الإصلاحى القويم علينا أن نتفق أولا على أن كافة الجماعات المسماة بالدينية وفى كل الأديان وليست فى الإسلام فقط وعلى وجه الخصوص، وأعود لأكرر كل هذه الجماعات البارزة على الساحة الإسلامية الآن سواء الأخوان

المسلمين أو السلفيين وأخص منهم الجهاديين وفقهائهم ومن يتصدون للفتوى منهم وعلى اختلاف تفاسيرهم ومناهجهم وعلى اختلافهم فيما بينهم، وقد رأينا من من الإخوان من يختلف مع بعض رؤاهم ومبادئهم وقد وصل الخلاف والاختلاف بينهم إلى الدرجة التى انسحب من الجماعة بعض من أعضائها القياديين البارزين، وكذلك الأمر أحدث انشقاقات فى الجماعة السلفية حتى أصبحوا جماعات، وكل من هؤلاء يظن أن رؤيته للدين هى الصحيحة عما عداها من باقى الرؤى التى تنتهجها باقى الجماعات، ومن الناس من لا يرى بأسا فى ذلك عملا بالمقولة الشائعة (إن الاختلاف لا يفسد للود قضية) أو المقولة القائلة : (اختلافهم رحمة)، غير أننا لا يمكن أن نطبق هاتين المقولتين فى حالتنا الآن حيث أن اختلافنا لم يفسد للود قضية فقط بل إنه أفسد أوطاننا وكياناتنا بل وأفسد مفاهيمنا عن ديننا، وهنا أتسائل كيف يكون اختلافهم رحمة وقد أصبح المختلفون يقتل كل منهم الآخر دون شفقة أو رحمة، بل إننا نرى أن خلافاتنا تمتد لعشرات القرون ولدينا فى الخلاف الأزلى بين الشيعة والسَّنة خير مثالٍ على ذلك ولا نرى مسعىً جاداً للتقريب بين وجهتيهما وإن كانت هناك بعض الجهود الحثيثة غير أنها تفشل قبل أن تبدأ حيث إن كلا الطرفين غير مستعدٍ للاستماع والاقتناع برؤية الآخر حتى وإن كانت صحيحة، ثم تختفى محاولات التفاهم والتقريب بينهما لتتحول إلى هجماتٍ وحروبٍ بين أئمة ومشايخ الطرفين، ولكم شاهدنا بعض هذه الحروب العقائدية عبر القنوات الفضائية وقنوات اليوتيوب ووسائل التواصل الاجتماعى المتعددة والتى أضحت تستعمل لإشعال نيران الفتن وآوارها المستعرة، وكل من المتحاربين يستبسل فى الدفاع عن رؤيته معتمدا على المقولة القائلة إنما الأعمال بالنيات، وكذلك المقولة القائلة: (من اجتهد وأصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر) وأنا لا أراها هنا موضعا للتطبيق ما دامت تلك النيَّات تهدم أوطانا وشعوبا،

بل وربما تهدم عقيدة أيضا، ومن البديهى ألا نعتبر حسن النية ـ فى قتل برئ أو فى هدم وطنٍ أو فى اهتزاز عقيدة وجعلها هدفا لإطلاق النيران الهجومية عليها من كل صوبٍ وحدب ـ مُنجِّية من العقاب.

- هذا أساس أراه جيدا سيدى لنبدأ حوارا جادا وهادفا للوصول إلى قواعد ثابتة وراسية لعملية الإصلاح والتصليح، ومن هنا أسأل عن المعوقات الصعبة والشاقة التى تعيق العمليات الإصلاحية التى بدأ بعضها فى النصف الأول من القرن الماضى والتى قادها من ذهب إلى أوروبا إما لاستكمال دراسته أو لنيل درجة علمية رفيعة فى علم ما، ولقد باءت كل تلك المحاولات بالفشل ولم يكتب لأى منها النجاح؟.
- بل هى قد بدأت من قرون سيدى وكانت تلقى هجوما شرسا من الأصوليين الذين اعتادوا على إطلاق مصطلحات قاسية على كل مصلح أو إصلاحى كأن يقال عليه زنديق أو ملحد أو كافر إلى آخر هذه المسميات التى أضيف إليها فى عصرنا مصطلحات الليبرالى والشيوعى والعلمانى والعميل وهى مسميات تُشعرنا بالتقزز والكراهية والاحتقار لكل من ينتمى إليها أو من تطلق عليه حتى وإن كان بريئا منها، أو كان لا يدرى عنها شيئًا.
- إذًا سيدى من أين نبدأ؟.
- سأروى لك قصة صغيرة ربما تُعيننى على إيجاد بداية للطريق الذى نسلكه فى عمليتنا الإصلاحية الجادة والمثمرة.
- تفضل سيدى فجميعنا منصتون لك.
- كان هناك رجلٌ مُسنٌ يسكن جارنا وكان صديقا لأبى ـ رحمهما الله ـ وكان ذلك الرجل يبدو جميلا بشوشا ضاحكا، وكان مداومًا على زيارتنا، ومع تقدمه فى العمر بدأ يواجه بعض المتاعب الصحية التى بدت لى واضحة حيث لاحظته دائما مُترنِّحا فاقدا لتوازنه أثناء سيره فقد رأيته كثيرا من المرات يكاد ينكفأ على وجهه، وأحيانا أراه يسير

يمينا أو يسارا عندما يريد أن يسير فى خطوات مستقيمة، والحقيقة أننى كنت دائما أقترح عليه أن يتوقف عن العمل فقد أتم واجبه نحو أبنائه على الوجه الأكمل، ومن ثُمَّ فعليهم الآن أن يردوا له الجميل وأن يتكفلوا باستضافته ورعايته والقيام على خدمته، وفى أحدى المرات التى قلت له ذلك ابتسم فى مرارةٍ وسخريةٍ مجيبا لى بأننى لا أعلم عنهم شيء ثم روى لى قصته حيث كان يعمل لدى إحدى المؤسسات ويبدو أنَّه كان مُهيمنًا على الأعمال المالية والإدارية بتلك المؤسسة، ويبدو أنه كان حائزا على رضاء صاحب المؤسسة حتى إنه عندما بلغ سن التقاعد والإحالة للمعاش عرض عليه صاحب المؤسسة الاستمرار بالعمل وبنفس راتبه المتواضع فاستمر فى عمله سعيدا بذلك، وذات يوم جاءه أحد رجال الأعمال الخليجيين ـ الذى كان يتعامل مع تلك المؤسسة ـ بعرضٍ رائعٍ للغاية وبراتب لا يقاوم نظير سفره معه لإدارة أعماله بدولته الخليجية، فقام الرجل بعرض الأمر على صاحب مؤسسته الذى فاجأه بالاستمرار فى عمله لديه وبأنه سوف يعطيه نفس الراتب الذى سيُعطى له بتلك الدولة الخليجية، ولم يكن هناك أمامه أى مبرر للتردُّد فى قبول عرض سيُزيد راتبه أربعين ضعفا مرة واحدة، واستمر فى العمل سعيدا براتبه المُذهل الجديد، ومرت سنوات قليلة تدهورت فيها أحواله الصحية فوفر له صاحب المؤسسة سيارة بسائق تعاونه فى التنقل بين محل إقامته ومحل عمله، غير أنه وبعد استعمال الكمبيوتر لإدارة حسابات وأعمال المؤسسات لاحظ الرجل أن صاحب المؤسسة قد استعان بمحاسب ومشغل كمبيوتر استطاع أن يقوم بجميع ما كان يقوم به ذلك الرجل الطاعن فى السنِّ بصورة أكثر يسرًا وسرعة بل ودقةً، وهنا شعر الرجل بانتهاء مهمته فجاءنى ليشكو إلى همِّه مُقسِمًا بالله لى أنه أكثر دقة وسرعة من ذلك الاختراع اللعين المسمى بالكمبيوتر والذى سيكون سببا فى الاستغناء عن خدماته

بعمله الذى كان متمسكا به بل وكان يتمنى أن يموت فيه، وفشلت محاولات صاحب المؤسسة فى إقناع شيخنا بالراحة فى منزله عدة مرات، ولم تنجح محاولاته فى إقناع شيخنا الطيب بالجلوس فى بيته إلا بعد أن وعده بأرسال راتبه له بمحل سكنه فى أول كل شهر.

- وهل تقصد سيدى من وراء هذه القصة أن تقول إن فشل كافة العمليات الإصلاحية على مدى تاريخنا تعود إلى صعوبة تحرر المتمسكين بالوسائل والمراجع والمناهج القديمة فى قبول العملية التطويرية أو الإصلاحية حيث أن هذا يستطلب منهم وقتا وجهدا أطول وأكثر لتجديد وتنقية وتنقيح علومهم وثقافاتهم ومناهجهم الدينية بل ومواعظهم، بالإضافة لاحتياجهم للاطلاع على القدر القليل من باقى العلوم.
- نعم سيدى هذا بالظبط ما قصدته برواية قصة شيخنا السابق رحمه الله.

عاد السَّيِّد مُقدِّم البرنامج ليقدم الشُّكر للسَّيِّد / منير مؤيدا دعوته للمصارحة والمواجهة ثم توجه بسؤاله للسيد المستشار أحمد السَّعيد عن رؤيته لما يجرى على ساحتنا العربية فأجاب قائلا:

- بعد الشُّكر سيَّدى لاستضافتى ببرنامجكم الهادف، ولتسمح لى فى دقيقتين أضيف إلى ما قاله السَّيِّد منير أن هناك الكثيرين بأمتنا ممن ينادون بمصطلحات ويعملون بغيرها، فهناك بأمتنا من يحاربون العلمانية بضراوة وبكافة الوسائل، وهم بالتأكيد من الوعَّاظ الذين ينتمون للجماعات الدِّينيَّة، وهم أيضا يروجون سرًّا لأستعادة الخلافة العثمانية مكانتها فى حين أنهم قد سمعوا بلا أدنى شكٍ ما قاله الرئيس العثمانى عندما أتى مصر مهنئا بنجاحهم فى اعتلاء العرش: أن تركيا دولة تدين بالإسلام لكنها دولة علمانية، وقد سمعت أحد المحللين الأتراك فى أحد البرامج يقول: إن تركيا دولةٌ مسلمةٌ وليست

إسلاميَّة، ويبدو أننى وأحد ممَّن عانوا من مثل تلك المُسمَّيات الَّتى تخالف واقعها ، فقد اختار أبى أن يُسمِّينى أحمد السعيد ولم أكن أبدا سعيدا بما يجرى بأمتنا إذ صار كل ما يجرى بها مبنيا على مبدأ التخويف والترهيب، فنحن نُضرب حتى نتعلم، ونهدد بالقتل حتى نعاون من يحلمون بحكم البلاد والعباد، بل ونخير بين القتل أو الإيمان بما يؤمنون به، وللأسف أن من يهددنا هو من يقول لنا عندما يعتلى المنبر: لا أكراه فى الدين، ويروى لنا أحاديثًا عن رسولنا الذى قال الله عز وجل فيه: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين، ولذا فأنا غير سعيد لما يستعملونه من وسائل ـ للوصول إلى سدة الحكم ـ تعطى الفرصة لأعداء الدين للتشهير به وبمن أُرسل به سيدنا محمد صلَّى الله عليه وسلم.

هنا يتقدم مُقدِّم البرنامج بالشُّكر للسَّيِّد المستشار الغير سعيد لإضافته سببًا له أهمية قصوى بتربيتنا ونشأتنا، ألا وهو استعمال أساتذتنا للعنف والتخويف كأنجع الوسائل التَّربوية، وأشار إلى مناقشة ذلك مع السَّادة الضيوف بعد الفاصل إن شاء الله.

يعود السَّيِّد مُقدِّم البرنامج مُرحِّبًا بمشاهدي البرنامج وبضيوفه أيضا، ثُّم توجَّه بحديثة مباشرة للسَّيِّد / علَّام الدِّميرى الباحث الدِّينى، مشيرا إلى ما استمعوا إليه بحديث المستشار الغير سعيد والَّتى ألقت الضوء على أساليب التَّربية التى نشأنا وتربينا عليه علميا ودينيا وسياسيا بل وثقافيا فقال:

ـ ألا تعتقد سيِّد علَّام وأنت مُهتمٌ بالشَّأن الدِّينى من خلال برامجك التِّلفزيونيَّة، وحلقاتك عبر اليو تيوب، ومواقع الإنترنت المُتعدِّدة، والَّتى دائما ما تثار حولها المعارك بينك وبين معارضيك، وغالبيَّتهم من علماء الدِّين والجماعات السَّلفية، ألا ترى بالفعل أنَّنا بحاجة لتطوير مناهجنا وأساليبنا العلمية؟ وكذلك لوسائلنا التعليمية؟

والتربوية؟ فى عصر تغيرت فيه الأمور تغيرًا جذريًّاً عن العصور التى نشط بها علماء الفقه والعلوم الدينية الأوائل، والَّتى لا زال شيوخ السَّلفية يرتكزون عليها فى علمهم وفتاويهم، وربَّما كان هؤلاء الشّيوخ أكثر منك نشاطا وهمة فى ذلك، كما أن تابعيهم يزيدون أضعافًا مضاعفةً عمَّن يتابعون حلقاتك رغم ملاحظة تزايد أعدادهم.

- نعم سيِّدى، أتفق مع سيادة المستشار ومعك فى كلِّ ما قيل، فنحن فعلا فى أمس الحاجة لإعادة النَّظر بكلِّ أمور علمنا، وديننا، وحياتنا، والموضوع ذو شجونٍ ويحتاج منَّا جميعا أن نسعى بجهود مُضنيَّة فى كافة الاتجاهات، على أن نُراعى أن تكون تلك الجهود خالصةً لوجه الله وليست لغرض شهرةٍ، أو منصبٍ، أو دنيا نُصيبها، فهناك بتاريخنا الإسلامى العديد من الأئمَّة والفقهاء الَّذين اجتهدوا قدر طاقاتهم، وأخرجوا لنا علومًا طيبةً ومنهم من أخرج لنا مذهبًا سجل فيه رؤيته لجُلِّ القضايا الإسلامية، وهؤلاء الأئمة قد أحسنوا وأجادوا حين قدَّموا لنا مراجعًا لها قيمتها ولا يُمكن الاستغناء عنها، كما كان منهم أيضا من اشتغل بالفتوى وأصدر العديد من الفتاوى المفصلية بقضايا هامة للغاية فى حينه تخص ديننا، وحياتنا، وعلى سبيل المثال قضايا الحدود، وقضايا الجهاد، والنِّكاح، والرَّبا، وخلافه، وهنا يجب أن نتوقف قليلا لنتأمل بعد أن لوحظ تباينا ببعض الأمور الَّتى تناولها الأئمة الأربعة الَّذين نتَّبعهم بأوطاننا، فكلٌّ منا يتبع أحدهم، بل أن لكل وطنٍ من أوطاننا إمامه المحدد، ولا أدرى هنا من هو الَّذى عليه مسؤليةً تقرير الإمام الذى تتبعه الشعوب؟، وهنا ودون الدُّخول فى تفاصيل قد وضحتها بأمثلة عديدة بصورةٍ أكثر تفصيلًا فى برامجى، فإننى أغتنم هذه الفرصة لأناشد علماءنا الأجلَّاء بدراسة اقتراحى المبنى على القاعدة الَّتى أرستها لنا السَّيِّدة أم المؤمنين عائشة (رضى الله عنها) حين قالت: "ما خُير رسول الله صلَّى الله

عليه وسلم بين أمرين إلَّا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد النَّاس منه"، واقتراحى هو حيث أن أئمَّتنا الأفاضل كانوا قد سبقونا بعلمهم منذ مئات السنين، ونظرا لأختلاف العصور بظروفها وتطوُّراتها فإنَّنى أهيب بالأزهر الشريف وبعلمائه الأجلاء العمل على إعادة دراسة كلِّ تلك المراجع والفتاوى، وكل ما يتعلَّق بصالح المُسلم فى دنياه وآخراه، ثُمَّ إخراج مرجعٍ واحدٍ شاملٍ لأيسر ما جاء بكافة المذاهب يكون أساسة ما جاء بحديث السَّيِّدة عائشة المذكور آنفا ولسوف يحسب هذا للأزهر الشَّريف كعمل رائدٍ عظيمٍ يخدم الإسلام والمسلمين كافة، وسوف أكون أول الشَّاكرين لهم علىً ذلك إذ إن هذا العمل سيضاف للعديد من عظائم الأعمال التى قام بها الأزهر الشريف منذ إنشائه.

بعد توجيه مُقدم البرنام الشُّكر للسَّيِّد علَّام على مبادرته اتَّجه بالسُّؤال للشِّيخ أسامة القيادى السَّلفى مُستطلعًا رأيه عن أطروحة السَّيد علَّام فقال:

- أنا لا أدرى سببًا لدعوة هذا الرَّجل الدائمة والدَّؤبة للتَّخلى عن سلفنا الصَّالح الَّذى كرَّس كلَّ حياته وعلمه لخدمة الإسلام والمسلمين، فلكم هاجم الإمام البخارى، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وغيرهم من علماء الإسلام الأجلَّاء، وما أراه إلَّا زنديقا، علمانيَّاً، يعمل للإضرار بثوابت الدِّين ومراجعة، وهو وكما يعلن دائمًا إن كان حريصا على الإسلام والمسلمين، فليتوقف عن هذا الهُراء، وعما يقوم به من تشويه وتجديف بحقِ الدِّين ... هنا تدخل مقدم البرنامج ليذكِّر الجميع بأنه لن يسمح بالتَّجاوزات، أو بشخصنة الأمور فإنَّنا نتحدث عما يمكنا عمله لعلاج حالة الضعف الَّتى انتابت أُمَّتنا، بل وغرقت فيها فأوصلتنا لحالٍ لا يسُرُّ عدو ولا حبيب كما يقول المصريون. وأعاد

الحوار للسَّيِّد أسامة لاستكمال حديثه راجيا التَّعليق على الأطروحة وليس على طارحها فقال:

- ليس لدى ما أقوله أكثر مما قلت فسوف نحيا و نموت على ما قاله وعمل به سلفنا الصَّالح رضوان الله عليهم أجمعين، أما اتهاماته المتكررة لنا بأننا غير معتبرين للتغيرات والتطورات التى طرأت على عصرنا وعالمنا، فأنا هنا أذكره بأن ديننا الحنيف هو آخر الرسالات وأنه صالح لكل زمانٍ ومكان.

هنا لم يكن أمام مُقدِّم البرنامج سوى تقديم الشُّكر للشِّيخ ثُمَّ انتقل بالسُّؤال للسيد المستشار قائلا:

- إذاً سيادة المستشار وأنت تبدو مُهتما ومهموما بأحوال أُمَّتنا، كيف ترى المشهد أمامك؟، وما الَّذى ترانا نفعله حتَّى نخرج من هذه الكبوة والمعضلة الَّتى وضعنا فيها أنفسنا؟.
- إن لدىَّ الكثير مما يمكننى قوله بهذا الخصوص، إلَّا أنَّنى أعد باختصار الأمور قد الإمكان، فنحن دائما ما نسمع الكثير من الشكاوى من حضرات الوعَّاظ أنَّ أخلاق النَّاس أصبحت تتدهور وبصورة مخيفة نتيجة لابتعادهم عن الدِّين، وأيضا نسمع المهتمين باللغة العربية من علمائها واساتذتها يشتكون مُرَّ الشَّكوى من هجران العرب للغتهم الفصحى الَّتى هى لغة العرب الأوائل والَّتى شرَّفها الله بأن تكون لغة القرآن الكريم، وأنا هنا أتفق معهم تماما فى شكاويهم جميعا، بيد أنَّنى كنت أتوقع منهم البحث عن الأسباب الَّتى دعت النَّاس لذلك، لكننا وكعادتنا نجيد تشخيص المرض والإعلان عنه فقط ، ولا نبحث بجدِّية عن أسبابها الَّتى أراها واضحة جلية، كما أننا وإن توصَّلنا للأسباب لا نسعى بجدية لعلاجها وتلافى تكرارها، ولهذا فأنا أغتنم هذه الفرصة لأناشد السادة الأفاضل الوعاظ، والسَّادة أساتذة اللغة وعلماءها، أن يضعوا فى اعتباراتهم بالإضافة للأسباب العديدة

التى أدت لتدهور الأخلاقيات ولعزوف الناس عن لغتهم الأُمِّ، أنَّه ربَّما كان لأساليب الوعظ والإرشاد وأساليب التَّدريس سببا رئيسًا فى هذا، وربَّما كان علينا البحث عن مناهج ووسائل أخرى للوعظ والتعليم، حيث إن النَّاس وصلت لمرحلة فى حاجة لتدخل جذرى جراحى لاستئصال المفاهيم الخاطئة الَّتى نمت على مدار عشرات بل ومئات السِّنين، والَّتى يُروِج لها غالبية الوعَّاظ إلا من رحم ربِّى، كما وأتفق مع الأستاذ علَّام فى ضرورة تجميع الأيسر من المذاهب والفتاوى ودمجهم بمرجعٍ واحدٍ يشتمل على ما سوف يتفق عليه علماؤنا الأجلاء الذين أرجوهم وفى نفس السِّياق باستبعاد ما لا يتفق مع ما نراه بعيوننا، وما أثبت العلم خطأه كذلك، فقد خجلت عندما أخبرنى أحد الأصدقاء الأجانب عن فتوى أصدرها مفتىٍ عظيم بإحدى الدِّول الإسلامية الرائدة، له مكانةٌ مرموقةٌ بيننا بتكفيرٍ من يقول أن الأرض كروية، وسألنى متعجبا إن كان تسطيح الأرض أو كرويتها مبدأ من مبادئ إسلامنا وإيماننا؟ للدرجة الَّتى تقضى بتكفير من يقول بكروية الأرض، والحقيقة أننى لم أجد ما يمكننى قوله فلذت بالصمت، وإذا به يُهوِّن الأمر علىَّ إذ اقترب منى وربت على كتفى مُعتذرًا وقال: لا تحزن صديقى العزيز فكلنا فى الدِّين شرقٌ، فإنَّ الكنيسة من عدة قرون قد أصدرت حكمًا بإعدام جاليليو لتأييده وإثباته لصحة نظرية نيكولاس كوبرنيكوس والتى كانت تفيد بمركزية الشمس بدلا عن مركزية الأرض، إذ كان السائد أن الأرض هىٍ مركز الكون، فى حين أعتبرت الكنيسة أن ما ورد بتلك النظرية مُخالفًا لتعاليمها الدينية وما ورد بالكتب السماوية، ولم ينقذ جاليليو من الموت سوى توبته وإنابته، فخفف الحكم عليه إلى الإقامة الجبرية حيث أقام بمنزلة فمرض وأصيب بالعمى حتَّى تُوفى عام **1642**.

ولذا فأنا لعلى يقين بأنَّ هذا العمل المُقترح مُحتاجٌ لجهدٍ عظيم من قِبَلِ السَّادة العلماء الإجلاء، وأنا هنا أرى أن من سيعارض هذاَ

العمل بحجة التمسك بأراء السَّلف الصَّالح هم من سيتكاسلون عن البحث والقراءة والعمل، مكتفين بما تعلَّموه، وبما يعلموه، سواء أكان مؤكدا أم ضعيفا، وفى هذا السِّياق، أنبِّه الجميع للحملة الشعواء الَّتى يتعرض لها الِّدين الإسلامى بثوابته التى نقدِّسها، حيث أرى فى كل يوم العديد من الفضائيات وقنوات اليوتيوب وبرامج التواصل الاجتماعي، قد انتقلوا من التَّشكيك بأحاديث البُخارى إلى التشكيك بالقرآن، ويؤسفنى استعمالهم أناس حُسبوا على الإسلام بأنَّهم مُسلمين بالهوية والوراثة، وأرجو أن يكون لدى السَّادة مشايخ السَّلفية، والجماعات الدينيَّة الوقت لمتابعة هذه الحملات، ومن ثَمَّ تجهيز الردود الباتة والقاطعة على المشككين، وألا يكتفوا فقط بوصمهم واتِّهامهم بالكفر، والإلحاد، والزَّندقة، وخلاف ذلك من المسميات الَّتى لن تشفى صدور المؤمنين، فقد تعود الوعاظ على وعظ ومخاطبة المسلمين المؤمنين، وهذا أمر يسير للغاية، أما الآن فعليهم إعداد أنفسهم للرَّد على المشكِّكين والمضلِّلين، ولا أعتقد أنَّهم سيتمكنون من ذلك إلا بتوقفهم عن الصراعات فيما بينهم من ناحية، وبينهم وبين المجتمعات الإسلامية الَّتى كفَّروها وقرروا قتالها من ناحيةٍ أخرى، فانا أرى أن الجهاد الأكبر الآن هو فى التَّصدى لتلك الحملات الَّتى تنال من القرآن، ومن السنة المطهَّرة باستنادهم على أحاديث ضعيفة أو موضوعة وهذا ما يدفعنى للتأكيد على وجوب المراجعة والتنقيح، واستصدار أيسر الفتاوى الصادرة بكتب الأئمَّة عملًا بمنهاج النبى (ص) والذى جاء بحديث السيدة عائشة رضى الله عنها بالأخذ بالأيسر.

إن الفكر الدِّينى لم يكن أبدا إقصائياً بطبيعته، بل إن من وسمه بهذه الصفة هم من أسسوا بعض الجماعات الدينية، وقد رأينا منهم من ذاع صيته، وعلت بيننا مكانته، فازدادت أعداد مُريدية حتَّى

أصبحوا قوة مؤثرة بالمجتمعات، فقفزت لنفسه فكرة إنشاء ملةٍ أو نحلةٍ أو فرقةٍ أو جماعة، ومن هنا بدأت الدُّنيا تتسرَّب إلى نفوسهم، وقلوبهم حتَّى أصبحت اهدافهم الدُّنيوية والسُّلطويَّة تُشاطر أهدافهم السَّماويَّة فتولدت لديهم فكرة استعمال الشِّطر السَّماوى لتنمية وتنامى الشِّطر الدُّنيوى السُّلطوى، وهكذا تعدَّدت الملل، والنَّحل، والجماعات بكل الأديان، بل إن كلًّاً من تلك الطوائف ادَّعت أنها الطائفة الوحيدة الَّتى تُمثِّل الله فى أرضه، وبأنَّها الطَّائفة الوحيدة الَّتى ستفوز برضوان الله وجنته، أما الباقون فمصيرهم إلى الجحيم وبئس المصير، كما حرصت كلٌّ ملةٍ على تكذيب باقى الملل الأخرى إن بدت تُنافسهم على مكانتهم وسلطانهم، ثُمَّ تطوَّر التَّكذيب على المنابر إلى تناحرٍ ثُمَّ تكفيرٍ ثُمَّ قتالٍ فيما بينهم، حتَّى إن الفرقة منهم استعانت بحكوماتٍ ومنظَّماتٍ ودولٍ أخرى لتقضى على طائفة فى دينها وفى وطنها، فارتفعت أعداد الضحايا بصورةٍ مخيفةٍ ومرعبة، وليكن لنا عبرةً فيما حدث بأوروبا حيث أدت صراعات الملل والنِّحل هناك إلى بزوغ فكرة إجراء إصلاحاتٍ دينية غير أن عملية الإصلاح هناك كان لها ضحايا بأعدادٍ ضخمةً للغاية، بيد أنَّ تجربة الإصلاح الدينى الأوروبية وبعد نجاحها، ولَّدت أجيالًا أكثر عزوفا عن الدِّين، حتَّى أن العديدين منهم قد تركوا دينهم، ليتحولوا إلى ملحدين، أو لادينيين، ومنهم من اعتنق أديانًا أخرى غير الَّتى ولدوا عليها وتوارثوها، فقد غدا النَّاس هناك أكثر ميلًا إلى الحرِّيَّة والتَّحرُّرية من كل قيدٍ أو تكليفٍ أتى به الدِّين، غير أن هذا لا يعنى أن هناك منهم الكثيرين ممن يتحلى بالأخلاق الَّتى نشأت بالميل ألى السِّلوكيات الفطريَّة الإنسانيَّة السَّليمة، لذا أرجو اعتبار ذلك ومراعاته عند بدء عمليات الإصلاح والتَّجديد ببلادنا إن حدثت، حتَّى نتحاشى ونتفادى ما حدث بأوروبا بعد نجاح تجاربهم الإصلاحية عل المستوى الدُّنيوى.

هنا تقدم السَّيِّد مُقدِّم البرنامج بالشُّكر للسَّيِّد المستشار ومُعاتبا لتعديه الوقت المسموح للمداخلة، إلَّا أنَّ اهمية ما قاله يشفع له بقبول اعتذاره ثُمَّ انتقل للسَّيِّد منير مدير مكتب ابن زيدون سائلا له:

- كيف ترى الأمر سيِّدى وأنت أكثرنا دراية بما يُقال عالميًا عن الإسلام وجماعاته ؟
- حسنًا سيِّدى، أمَّا بخصوص وهن أمتنا وضعفها للحدِّ الَّذى جعل الأعداء يتلاعبون بها وبمقدَّراتها سواء بصفقة القرن الأولى أو الثَّانية والأخيرة كما يطلقون عليها، فإن ما قيل فى هذا الشَّآن لا يسمح لى بإضافة جديد، لكنَّنى ومرة أخرى أنبِّه حضراتكم وحضرات أولياء الأمور بأُمَّتنا بالنظام العالمى الجديد المذمع إقامته بواسطة أميريكا باعتبارها الذِّراع الباطش أو من يُسمى بالفتوة، ليس فى منطقتنا وحسب، بل فى كافة المناطق على ظهر كرتنا الأرضية، والنِّظام العالمى الجديد هو كما أعلنت عدة مرات ومن وجهة نظرى وشواهدى للأحداث المتلاحقة أن أميريكا تتصرف مع من حولها بأسلوب الفتونة ونهج البلطجة، وقد كنا من أكثر البلدان التى أنجبت فتوات حتى أصبح كل حىٍّ وشارع به فتوة وكم من معارك دارت بين فتوات الأحياء وجيرانهم من الفتوات الأُ خر، فالفتوَّة بالطبع لن يسمح ببزوغ نجم فتوة آخر بمنطقة أخرى، ولن يسمح أبدا بنزع لقب الفتونة منه بسهولة، وهذا ما يحدث الآن بعالمنا عند بزوغ نجم آخر بالعالم نجد أن أميركا تسرع بما لديها من قوى البطش بالأجهاض عليه، بل وجعله عبرة لمن اعتبر، ولتسمح لى بالرِّجوع بكم عدة سنوات للخلف لنذهب إلى قصَّة غزو العراق للكويت، والَّذى أُشيع فى ذلك الوقت أن صدام فعل ذلك رغبةً منه بتوزيع الثَّروات العربيَّة بين الدِّول، إذ ليس من العدل أن يركب مواطن بدولة صغيرة المساحة قليلة العدد أحدث السيارات العالمية وأكثرها رفاهية، فى حين يركب مواطنو أكبر البلدان مساحة وأكثرهم عددًا لعربات الكارو والحنطور،

وفى السِّياسة سيِّدى دائمًا ما يعلن السِّياسيون عكس ما يبطنون وما يفعلون، كما أن تدخل أميركا بالأزمة بمعاونة بلدان أخرى، ومنها دولٌ عربيه، لم يكن لتحرير الكويت كما أعلن بوش ذلك فى حينه، بل إنِّ السَّبب الرَّئيس كان كما أرى، هو أنَّ إسرائيل أشارت إلى فتوتها إلى تدمير هذا الصَّدَّام حُسين ومحوه من على وجه الأرض بل ومحو العراق بكامله إن استطاع إلى ذلك سبيلا وهذا ما حدث ورأيناه وما زلنا نراه بأعيننا.

- **ولماذا كان هذا سيِّدى من وجهة نظركم؟.**
- **الرَّدُّ ببساطة سيِّدى هو إعلان صدَّام أنَّ لديه أسلحةً كيماوية تحرق نصف إسرائيل إن هى اعتدت عليه.**
- **لكن تهديد صدَّام كان مشروطًا باعتداء إسرائيل على العراق.**
- **نعم سيِّدى، وهذا ما نفهمه نحن، لكنَّ القضيَّة لم تكن فى احتلاله للكويت كما ادَّعت أميريكا فى حينه، حيث أن أميريكا هى من أوحت له أن الأمر لا يعنيها وأنها لا تدس بمنخارها بين الأشقاء، فالمشكلة التى أعلنت لنا هى احتلال الكويت فى حين كانت المشكلة الرئيسة سيِّدى تكمن فى إعلانه لمقدرته على حرق إسرائيل حتَّى وإن كانت هى التى بدأته بالعدوان، وحتَّى إن كان قد استعمل أسلحته بغرض الدِّفاع عن النَّفس، وحق الدفاع عن النفس مشروعٌ وبكافة الوسائل فى كلِّ الشَّرائع والقوانين، لكن القضية كانت وجود مشروع فتوَّةٍ بجوار إسرائيل، وذلك يهددها، وأميريكا الَّتى هى الفتوَّة العظمى بعالمنا لم ولن تسمح بذلك.**
- **وهل لدى سيادتكم أدلة على طرحكم هذا؟.**
- **الدليل سيِّدى الذى أكد وجهة نظرى هو ما سمعته بإحدى القنوات حين كنت بزيارة لسويسرا منذ عدة سنوات حيث عرضت تلك القناة فيلما وثائقيا لاجتماع بوش مع قادته العسكريين حيث قال لهم بجدية وحزم: "صدَّام شخصٌ غير مرغوب فيه ويجب التخلص منه"،**

وسأقول لك ما ستندهش لسماعة الآن: وأكاد أعتقد أنَّ ما يجرى بالسَّاحة السُّوريَّة الأن، ووجود إيران بالقرب من الحدود الإسرائيلية، وإعلان إسرائيل عن وجود مصانع إيرانيَّة لتصنيع الصواريخ بسوريا، وكذلك بجنوب لبنان، بالإضافة للَّهجة العدوانية الَّتى لطالما استعملتها إيران عند الحديث عن أميريكا وإسرائيل، يجعل منها أيضًا هدفا جديدا للفتوَّة الأميريكى حتَّى يكون مصيرها كالمصير الَّذى وصلت إليه وبكلِّ أسفٍ شقيقتنا العراق، ولتنظر إلى انسحاب أميريكا من الإتفاقية التى أُبرمت بين إيران وست دولٍ كانت على رأسهم أميريكا، ثُمَّ انظر إلى العقوبات الاقتصاديَّة الَّتى قررتها اميريكا على إيران بعد انسحابها مباشرةً، وربما يحدث ما أراه من حرب بين أميريكا وإيران أقرب مما نتوقع.

- إذاً، فماذا تفعل أُمَّتنا حتَّى تحتفظ بكيانها وكرامتها وتحوز على رضاء الفتوة.
- ليس أمام أُمَّتنا سوى استعمال القوى الناعمة، والعقلانية، وتعلُّم وإتقان الأساليب السِّياسيَّة، وعلى السياسين أن يعرفوا ماذا يعلنون وماذا يسرُّون، وأن يضعوا مصلحة بلادهم فى مقدمة أهدافهم، كما وإن على مسئولينا البعد عن الخطابات العنترية والتَّهديدات الَّتى لا أرى لها مُبرَّرا، وكما يجب علينا الكف عن تصدير دعوات الكراهية، وعلينا إبداء المشاعر الودِّيَّة للآخر، وأن نكون على استعدادٍ دائم للحوار معه وتفهُّم وجهة نظرة بالقضايا العامة، والأهم من ذلك كلهً العمل على علاج الأسباب الَّتى تُولِّد الإرهاب والتَّطرُف، على أن يكون العلاج فكريَّاً وعلميَّاً وعقليَّاً وليس أمنيا فقط.
- وكيف ترانا نتمكن من تحقيق هذا سيِّدى؟.
- علينا أن نعود للآية الأولى التى نزلت على رسولنا الكريم، والَّتى كانت أوَّل ما قاله الوحى للنَّبى الأُمَّى، ألا وهى " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ"، فحين كان النبى أُمِّى قال له الله: أقرأ، وعندما أصبحنا

متعلِّمين توقَّفنا عن القراءة وتفرغنا لمشاهدة المسلسلات وأفلام العنف والمسلسلات التركيَّة والهندية وغيرها. أفلم يسأل أحدنا نفسه عن الأسباب التى جعلتنا أكثر الأمم مشاهدة للأفلام الإباحية؟، ولمن لا يصدِّق أقول: إن الأُمَّة الَّتى تدَّعى الإيمان لم تكن الأولى فى أى شيء بالعالم إلا فى مشاهدة الأفلام الأباحية، وهذا ما تُشير إليه علنًا الإحصاءات العالمية، وكلُّنا يعلم ذلك ولا أرى من يبحثُ عن السَّبب، فكلُّنا مشغولٌ بأمرٍ ما من أمور الحياة الَّتى أضحت قاسيةً للغاية، فمنَّا من يبحث عن عَملٍ بلا أملٍ لإطعام أطفاله، ومنَّا من شُغل برزقه وتحسين أحواله، ومنا من يحلم بكرسى المدير، ثُمَّ بكرسى الوزير، ومنَّا من تفوق أحلامه كل هؤلاء فترشح لكرسى الرِّئاسة مُدَّعيَّاً تحقيقه للدِّيمقراطية والحُرَّيَّة والعدالة الاجتماعيَّة، ومنَّا من ترشح لها مُدَّعيَّاً نشر الدين وتطبيق الشَّريعة، وكان هذا بالطَّبع أكثر المتنافسين حظا ببلادنا دائمًا وأبدًا وإذا زنا وإذا سرق، ولن نرتقى أبدًا إلَّا إذا قررنا أن نبدأ وفورا بإعادة صياغة الإنسان العربى والمسلم، وأرى أنَّ خير بداية هى العودة إلى أوَّل كلمةٍ تلقاها رسولنا من السَّماء، "أقرأ" وعلينا أن نبدأ بقراءة وفهم قرآننا فهمًا جيِّدًا يتفق مع العقل والعلم والمنطق السَّليم، ثُمَّ نقرأ التاريخ، القومى منه والعالمى قراءة متأنية، للاسِّتفادة من أخطاء من سبقونا والاقتداء بالتَّجارب النَّاجحة لمن نجحوا. وأنا هنا أرى أن هناك مفكرين حداثين لهم دراساتٍ وجيهة وجديرة بالمراجعة والدراسة بل وبالاهتمام بها حول تاريخنا وحول ديننا تخالف الكثير مما تعلمناه فى السابق كما أراها أقرب إلى العقلانية والمنطقية، أعلم أن الطريق أمامنا طويلٌ وشاقٌ للغاية بعد أن سبقتنا أممٌ كانت أقل شأنا منَّا بكثير، ولا تمتلك ما نملك من ثروات وطاقات ودين قد يجعلنا فى المقدمة حال فهمنا له بالصورة الَّتى نوَّهت عنها سابقًا.

- وهل ترى سيِّدى أن الجماعة السَّلفية سيسمحون لنا بإعادة فهم ديننا بصورة أو برؤية غير الَّتى تركها لنا أسلافنا وأئمَّتنا الأوائل؟
- سأقول لك مثالا سيجعل الأمر هينا عليهم للغاية سيدى.
- تفضَّل، فأنا ومن معى فى أشد الانتباه، وأظن أن أكثرنا انتباهًا هو شيخنا أسامة السلفى.
- كنت بمصر على ما أظنُّ بعد اشتعال نيران ثورات الرَّبيع العربى مباشرة، وذات مساءٍ كنت أتابع إحدى الفضائيَّات، فجاء أمامى برنامجًا تستضيف فيه إعلامية شابة لشيخ من شيوخ السَّلفية بدا لى من طريقة تقديمها له أنَّه قيادى بارز للغاية بجماعته، وفهمت أيضا أنَّه مؤسسها بعد انفصاله عن الجماعة الأُم وعلى ما أعتقد كان أيضا اسمه أسامة، وكان بعض المنتمين للتيارات لسلفية فى تلك الفترة قد أتيحت لهم فرصة الانتشار بفتاويهم العجيبة وتهديداتهم عبر كافة الفضائيات وفى الوقت الَّذى كنت أحسدهم بروعة حظهم وبزوغ نجمهم، اكتشفت أن الشعب المصرى المسكين كان أكثر منهم حظا.
- كيف هذا سيِّدى ؟.
- لقد كان فعلا أمرًا خطيرا حين برز منهم ومن غيرهم العديدون الذين أفتوا بتحريم السِّياحة، ومن أفتى بتجريم لباس البحر، ومن أفتى بل وقرر إنشاء جماعة الأمر بالمعروف والنَّهى عن المُنكر، وحذر النَّاس بأن تلك الجماعة قد بدأت نشاطها بالفعل، وهناك من أفتى بهدم أبى الهول باعتباره صنمًا، وعندما فشلت كلُّ مُحاولات الإعلامى إثنائه عن فتواه بحجة أن عمرو بن العاص عندما دخل مصر لم يهدمه، ثُمَّ إننا لم نرَ أحدًا من المصريين أو السُّياح الأجانب يتخذونه إلهً يتعبدون إليه، فأجابه المفتى السَّلفى الَّذى لم يكن أحد من المصريين يعرفه: ما قلته صحيح أخى ولكن رُبَّما جاء بعد ألف سنةٍ من يعبدونه. وهنا لم أستطع أن أتوقف عن هستيرية الضحك الَّتى انتابتنى فى حينها وتمنَّيت لو قال له مقدم البرنامج: إن حدث هذا

فلتترك للسَّلفيين فى ذلك العصر أمر هدمه، على الأقل سنستفيد منه سياحيًّاً خلال تلك الألف سنة، لكن يبدو وللأسف أقولها أن الغالبية العظمى من إعلامينا يفتقدون لسرعة البديهة، وفنون الحوار، واعود للإعلامية الأخرى الَّتى كان الشَّيخ أسامة السَّلفى فى ضيافتها، وما لفت نظرى فى حوارهما كله حين قال: إنَّه كان يُحرِّم التلفزيون ويعتبره من صناعة الشَّيطان وكان ذلك منذ عشر سنوات، أما الآن فهو يعتبره حلالًا طيِّبا، وهنا تهلَّل وجه مُقدِّمة البرنامج فرحًا واعتبرت ذلك تطوُّرا عقائديًّا رائعًا باعتباره متمشِّيا مع تطورات العقل، وهنا أيضا تمنَّيت لو سألته السَّيِّدة الإعلامية: أيعنى هذا أنك ربما تُحلِّل بعد عشرة سنوات ما تُحرِّمه الآن؟، أو أن تقول له ربَّما اضطررت إلى تحليله لآننا وغيرنا سوف يستضيفك في برامجه لتصبح شهيرًا خارج مجتمع السَّلفين الَّذى تقوده، أو أن تقول له مثلا: إن ذلك يُعدُّ برهانٌ على أنَّنا يجب مراجعة فتاوينا كل عشر سنوات أو كل تغير لظروف حياتنا، لكن ماذا أقول غير أن سرعة البديهة نعمةٌ جليلةً يمنحها الله لغير الإعلاميين. وأتوقف هنا حيث أخذت وقتا أطول مما هو مسموح لى وربما أكمل لاحقا.

- نعم سيِّدى أطلت وأفدت وشوَّهت الإعلاميين، ورُبَّما السلفيين أيضا.

عاد السَّيِّد مقدم البرنامج متوجها بحديثة للشِّيخ أسامة القيادى السَّلفى مستفسرًا عن انطباعه حول ما استمع إليه؟، مُذكِّرًا له أن الجميع يبحثون عن مخرج للحالة المُهينة الَّتى عليها أمتنا، وما الَّذى علينا فعله حتَّى نعود إلى عصورنا المزدهرة بالقدر الذى يحفظ لنا كرامتنا بين الأمم على الأقل، ويجعلنا آمنين بأوطاننا الَّتى انقسمت على نفسها وتفتَّتت إلى جماعات عديدة يقاتل بعضها البعض بحجة الجهاد فى سبيل الله الَّذى قال فى كتابه الحكيم : " مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا

أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا"، وفى الحديث الشريف قال صلَّى الله عليه وسلم: "المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمؤمن من آمنه الناس على دمائهم واموالهم" رواه البخاري ومسلم، وكما قال أيضا صلى الله عليه وسلم: "ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس: فأنا حجيجه يوم القيامة" رواه أبو داود، وهو صحيح وحسنه ابن حجر والألبانى رحمهما الله، ومن هنا أسأل سيادتكم متى يُدرك الجهاديون الَّذين يقتلون أخوانهم المسلمين، وأحيانا يقتلون أهل الكتاب بغرض الوقيعة بينهم وبين المسلمين، أقول متى يدرك هؤلاء القتلة أنهم بذلك يُخالفون كتاب الله وسنة نبيه المُطهَّرة؟، ونحن نعلم أنهم سلفيون جهاديون، ونعلم أيضا أن السلفيين يُنزِّهون أنفسهم عن تكفير النَّاس إلَّا للضَّرورات القصوى، كما أنهم مُعارضون لقتل المسلمين على الأقل، ألا يعنى هذا أنكم منقسمون فى أرائكم وتفاسيركم للقرآن والسنة؟ إذ كيف نرى منكم فريقا يُحرِّمون القتل؟ وفريقا لديه جماعات جهادية قتالية وللأسف لا تقتل إلا المسلمين.

- بسم الله الرحمن الحيم، والحمدلله رب العالمين، وأصلى وأسلم على أفضل الأنبياء والمرسلين .... هنا تدخَّل مُقدِّم البرنامج مقاطعًا للشيخ وضاحكا:
- كفاية المُقدمة دى ربّنا يخليك، عايزين نخلص قبل الفجر ما يدن علينا. وهنا ضحك الجميع فاستأنف الشَّيخ حديثه قائلًا:
- حسنا سأكتفى بهذا كمقدمة، وبداية، أودُّ أن أُخبركم عن أن السَّلفية بمعناها الدقيق أراها فى قول الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله إجابة على سؤال وجِّهَ له:إن السلفيَّة هي اتباع منهج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؛ لأنهم هم الَّذين سلفونا وتقدموا علينا ، فاتباعهم هو السَّلفيَّة، أما اتِّخاذ السَّلفيَّة كمنهج خاص ينفرد به الإنسان ويُضلِّل من خالفه من المسلمين ولو كانوا على حقٍّ،

واتخاذ السلفية كمنهج حزبي فلا شكَّ أن هذا خلاف السلفيَّة. السَّلف كلهم يدْعون إلى الإسلام والالتئام حول كتاب الله و سُنَّة رسوله صلى الله عليه وآله سلم، ولا يُضلِّلون مَن خالفهم عن تأويل، اللهم إلا في العقائد، فإنهم يرون أن من خالف فيها فهو ضال. أما المسائل العملية فإنهم يُخففون فيها كثيرا لكن بعض من انتهج السلفيَّة في عصرنا هذا صار يُضلِّل كل من خالفه ولو كان الحق معه، واتَّخذها بعضهم منهجاً حزبيّاً كمنهج الأحزاب الأخرى الَّتي تنتسب إلى الإسلام، وهذا هو الَّذي يُنكَر ولا يُمكن إقراره، ويقال: انظروا إلى مذهب السَّلف الصالح ماذا يفعلون في منهجهم وفي سعة صدورهم للخلاف الَّذي يسوغ فيه الاجتهاد ، حتَّى إنهم كانوا يختلفون في مسائل كبيرة، في مسائل عقديَّة، وفي مسائل عمليَّة، فتجد بعضَهم – مثلاً – يُنكر أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم رأى ربَّه، وبعضهم يُقرُّ بذلك، وبعضهم يقول: إن الذي يُوزن في يوم القيامة هي الأعمال، وبعضهم يرى أن العامل هو الذي يوزن، وبعضهم يرى أن صحائف الأعمال هي التي تُوزن، وتراهم – أيضاً – في مسائل الفقه يختلفون كثيراً، في النِّكاح، وفي الفرائض، وفي العِدَد، وفي البيوع، وفي غيرها، ومع ذلك لا يُضلِّل بعضهم بعضاً، فالسَّلفيَّة بمعنى أن تكون حزباً خاصّاً له مميزاته ويُضلِّل من سواهم: نقول هؤلاء ليسوا من السلفيَّة في شيء، السَّلفية اتباع منهج السَّلف عقيدة، وقولاً، وعملاً، وائتلافاً، واتفاقاً، وتراحمًا وتواداً، كما قال النَّبي عليه الصلاة والسَّلام: "مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد» و قال: مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسَّهر".

وهذا ما أؤمن به تمامًا، إذ إننى على علم بأن العديد ممن ينتمون إلى السَّلفية قد حرَّموا الكثير من الاختراعَات الجديدة بدءًا بالسَّيارة،

وحتَّى الموبايل الَّذى نُسميه بالمحمول، فور طرحها بالأسواق ثَّم عادوا وأباحوها، ويبدو لى الآن أن الإباحة هنا كانت كما قال محدثكم الَّذى سبقنى بالحديث فى المثل الذى أعطاه عمن كان يحرم التِّفاز ثُمَّ عاد ليحلله بعد عشر سنوات، وهنا أرى أنَّ لا التَّحريم ولا التَّحليل جاء مبنيا على حيثيات دينية بل أندهش فى تحريم بعض الأمور بحجة أنَّها لم تكن موجودة فى عصر رسولنا وبالتَّالى فإنَّه لم يستعملها أو يمتنع عنها، وإلا وبنفس المعيار سنجد فيهم من يحرم الصواريخ والطائرات الحربية والقنابل، بدعوى أنَّها لم تكن موجودة على عصر الرَّسول والرِّسالة فنعزف عن استعمالها ثُمَّ يأتى العدو ليسحقنا ويبيدنا خلال دقائق معدودة فيقتل من يقتل ويأسر ويسبى من ما زالوا يتنفسون فينا، الأمر يا سيِّدى ليس هكذا، وأغتنم هذه الفرصة لأهيب بإخوانى الَّذين ينبرون للفتوى أن يأخذوا وقتهم ويبحثوا فى أسانيدهم، فإن لم يكن هناك نصٌ فعليهم إعمال العقل والمنطق مهما احتاجوا من وقت فى سبيل هذا حتَّى تكون فتاويهم دقيقة ونهائية، لا أن تحرِّم الآن ثُمَّ تُحلِّل ما حرَّمته سابقًا حين تكون فى احتياج إليه أو إلى استعماله أو الاستفادة من ورائه، وقد أعجبنى قول أحد اللائمين على من يفتى بتحرم المخترعات الجديدة أن ومع كل اختراع نسرع بتحريمه دون أن نحث الناس عل فحصه والتعلم كيف نصنع مثله.

- **إذاً فلماذا نرى الجهاديُّون السَّلفيون فى بلادنا يقتلون الأبرياء بلا شفقة ولا رحمة؟ وهل أخبرتنى بشعورك عندما علمت بمقتل ستة عشر جنديًا مصريًّا وإصابة سبعةٍ آخرين فى نقطة حدودية برفح؟، قتلتهم يد غادرة أثناء شروعهم لتناول إفطارهم فى شهر رمضان وأثناء أذان المغرب، وما زاد الجرح عمقا وجود شكوكٍ شبه مؤكَّدة أن القتلة قد وفدوا من غزة لهذا الغرض، وما زاد الحزن حُزنًا أن يُقتل المسلمون بيد أخوة مسلمين أيضا أثناء إذان المغرب بشهر**

رمضان المعظَّم، أما الأمر المُخزى حقا، فهو ما أعلنه وزير الدِّفاع الإسرائيلى أن الجيش الإسرائيلى قد قضى على ثمانية أفراد من منفذى الهجوم، ومبعث الخزى هنا أن القتلة قتلوا من قاتلوا معهم بل ونيابةً عنهم لاسترداد أرضهم ووطنهم، ثُمَّ قتلهم الإسرائيليون الَّذين كان من الواجب عليهم قتالهم.

- كان هذا عملًا وحشيًّا، مُؤلمًا جبانًا، لا يقبله الإسلام ولا المسلمون، بل ويأباه من نسميهم كافرين، كما أننا نستنكر اعتباره عملا جهاديًّا، وأتفق معك فى كلِّ ما قلته عنه، وصحيح أنَّ هُناك جهاديين سلفيين، لكن هناك من هم غير ذلك لكنهم يستعملون الإسلام لأنَّ استعماله ببلادنا يُتيح لك اجتذاب أعداد هائلة للوقوف إلى جانبك أو بالقتال معك والإسلام منهم براء، ولهذا فأنا لا أرى عجبًا فيما وصلنا إليه من ضعفٍ ووهنٍ جعل إسرائيل وأميريكا بل وكلَّ الأمم يتلاعبون بنا وبمقدراتنا للأسف، ولهذا فأنا من أشدِّ المؤيدين لتضافر الجهود نحو التوحد فيما بيننا جميعا ونبذ الخلافات وإلا فإن أوضاعنا وأحوالنا ستزداد سوءًا.
- عبَّر السَّيِّد مُقدِّم البرنامج عن شكره وسعادته بما سمعه من ضيفه السَّلفى وانتقل بحديثه للسيِّد علَّام الدِّميرى الباحث الدِّينى سائلًا أياه عن رؤيتة فيما يتمُّ تداوله هذه الأيام ومن جهات عديدة، منها الدينيَّة، ومنها المدنيَّة، بل والإلحاديَّة بخصوص تجديد الخطاب الدِّينى، ويبدو أن الأمر أصبح مُلحًّا حتَّى نادى به السَّيِّد / رئيس الجمهورية وقد لمسنا جميعًا تأيدًا لندائه من قِبَلِ كافة طوائف المجتمع، ومن المؤيدين لدعوته بعض من أفتى بإباحة دم من نادى بذلك قبل سنوات قليلة، ومنهم من أحال المُنادين لنفس الإمر للمحاكمات، ومنهم من أفتى بارتداده وتطليقه من زوجته مُعتبرا أياه خارج عن الملَّة، ونحن هنا لسنا بصدد اللوم والمعاتبة بل نرى أنَّ اتفاق الأغلبيَّة على تجديد الخطاب الدِّينى فيه إيجابيَّة وتطورًا، أسعدنا

فيه أن تكون المؤسسة الدينيَّة المُنزَّهة عن أىِّ شكٍّ، والَّتى تحترمها كافة الاتجاهات وعلى رأسها السَّلفيون قد وقفت إلى جانب الفكرة، وبدأنا نلمس تغييرا يدل على أننا قد وقفنا على بداية الطريق، فهل لنا أن نتعرف على رؤيتك بهذا الخصوص:

- نعم سيِّدى، هى خطوة إيجابيَّةٌ محمودةٌ وبالغة الأهمية، إذ إننا جميعا نرى بأعيننا ونسمع بآذاننا بعض الوعَّاظ، وكذلك عبر برامج عديدة على شاشات التِّلفاز تعرض بعض الأحاديث الضعيفة والمدسوسة، وبتقديم ما لا يتفق مع العقل، والمنطق، بل والفطرة أحيانا، فأنا أتعجب كثيرا حين يتحدث أحدٌ الآن عن العلاج ببول البعير فى الوقت الذى تتوفر فيه الأدوية بل والأمصال واللقاحات لمقاومة الأمراض قبل تمكُّنها من إصابتنا، كما وتُجرى الجراحات بأرقى وأدقِّ الوسائل العلمية، ثُمَّ يجيء من يحدثنا عن حديث التداوى ببول البعير، فهل سمعت سيِّدى مذ وُلدت وحتَّى الآن أن هناك فى أُمَّتنا من مشرقها وإلى مغربها يستعمل هذا العلاج الآن؟ وأكتفى هنا وفى هذا الخصوص أن أشير إلى ما قاله الكاتب الفرنسى السَّيِّد / موريس بوكاى بكتابة "التوراة والإنجيل والقرآن والعلم"، والَّذى قام بترجمته إلى العربية فضيلة الشِّيخ/ حسن خالد مُفتى الجمهورية اللبنانية، فلتسمحوا لى أن أقرأ لكم فقرة مما جاء بهذا الكتاب الذى أنصح جميع النَّاس على اختلاف عقائدهم لقراءته إذ يقول موريس بوكاى: بخصوص الاحاديث الَّتى ذكرت بكتب الحديث للبخارى ومسلم: "ولا يصح أن ندهش عند الكلام عن عصر كانت الإمكانيات الطِّبيَّة والصيدليَّة فيه محدودة، إذ وجدنا هناك توصيَّات باللجوء إلى إجراءاتٍ بسيطة، أو إلى علاجات طبيعيَّة مثل الفصد والحجامة والكيِّ والحلاقة ضد القمل، واستخدام لبن الناقة، وبعض الحبوب مثل الحبة السوداء، وبعض النباتات مثل القسط الهندى، ورماد الحصير لفوائدة فى قطع النزيف، إذ إنه لا بد فى الظروف الصَّعبة من استخدام كلِّ

الوسائل المتاحة والمُمكنة والّتى قد تكون مفيدةً حقًّا. غير أنَّه لا يبدو لنا مع ذلك أن التَّوصية بشراب أبوال الأباعر هى فكرة مستطابة للعلاج فى بعض حالات".

وإلى هنا وانتهى كلام موريس بوكاى وأعود لأتساءل هنا ما هى أهمية وضرورة ذكر حديث التَّداوى ببول الأباعر فى أيامنا هذه، لنمنح الفرصة بأيادينا للحاقدين على الرَّسول عليه الصلاة والسلام للتعليق على مثل هذه الأمور فى حين أن الرسول كانت مهمَّته الأولى نشر رسالة الدِّين السَّماوية للبشرية جمعاء بصورته التامة المتكاملة، ولم يُبعث كطبيبٍ أو كمهندسٍ إلى آخر تلك المهن الدُّنيويَّة. ودعونا نناقش أمرًا آخرًا فى هذا السياقِ أيضا: هل المطلوب من أهل العلوم الدينية إصلاح أم تجديد الخطاب الدينى؟ وهل المطلوب إصلاح الخطاب؟ أم إصلاح من يُقدمون ذلك الخطاب؟، وهل نحن بالفعل جادون بعملية الإصلاح والتَّجديد؟ أم هو موضوع اخترعناه ليكون محورًا ومجالا وفكرة نتحاور حولها لنتسلى ونُضيِّع بها أوقاتنا، أو بالأحرى نستهلك بها أعمارنا وحياتنا، أم لنُشعل الحروب بين الجماعات والطوائف الدِّينيَّة والطوائف الأخرى من جهة، وبين الهيئات المدنيَّة والليبرالية والعلمانية واللادينيَّة، والدِّينيَّة من جهة أخرى، لنرى العديدين من القتلى والجرحى حيث أصبحنا نهوى بل ونعشق مشاهدة الرُّعب والأكشن، أما وقد قررنا تناول هذا الموضوع البالغ الأهمية الأن بحوارنا، فدعنا نسأل من يدعون إلى الإصلاح عما يعنونه بعملية الأصلاح؟ فقد تعددت سبلنا لهدفٍ ومشروعٍ واحدٍ، فعلى سبيل المثال لا الحصر، الإصلاح فى نظر المخلصين هو استبعاد اللهجة العدائية والتَّكفيرية والهجوميَّة تجاه الآخر، بل وتجاه من يرونه مقصرا بعبادته ممن ينتمون لنفس الدِّين، ومرجعيتهم فى ذلك بعض النصوص بالقرآن والسُّنَّة طبقا لتفسيرهم وتأويلهم، واللجوء إلى النصوص الَّتى تحضُّ على الحُبِّ والسَّلام، وهناك من يُطالب

بتنقية المرجعيات الدِّينية الأساسية، وأقصد بها السُّنَّة المُطَّهَرَة وما استنبطة الفقهاء منها باستبعاد كلِّ ما هو ضعيفٌ وموضوعٌ ومشكوكٌ فى سنده ومتنه، وما هو مُخالف للنُّصوص القرآنية، وللفطرة الإنسانية، أو مخالف لمنهج الله سبحانه وتعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم، والإصلاح فى نظر بعض الطوائف هو ترك الإنسان لممارسة حياته بلا تكليفات وبلا قيود ولا محاسبة، فهل الإصلاح هو تحجيم سلطات المؤسسات الدينية بالصورة التى تمت بأوروبا مثلا؟ أم تمكين تلك المؤسسات من تنقية الدِّين من كافة شوائبة التى التصقت بالدِّين إما لإهداف سياسية، أو تاريخية، أو أهداف تحميسية لخوض الحروب، وأنا هنا أرى، بل أثق أن بالأزهر الشريف علماء أجلاء قادرين على أداء هذه المهمة الشاقة على الوجه الأكمل، وفى هذا السِّياق أتساءل، هل السَّلفية أو جماعة الإخوان المسلمين أو داعش أو القاعدة يمكن اعتبارها جماعات إصلاحية؟ ومن الذى يقرر ذلك؟ وهل نعتبر الَّذين يدعون لإباحة الفنون كالرقص والغناء بالصورة التى نراها الآن إصلاحيون؟ ولهذا فمن هنا أُناشد السَّادة العلماء بالإسراع أولا بوضع الضَّوابط والمعايير والقواعد الَّتى تُبنى عليها عملية الإصلاح والتجديد، وهنا أذكِّر كل من يعارض فكرة الإصلاح والتجديد بالحديث الصحيح المشهور الذى رواه أبو هريرة :

"إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا"، إذاً فالتجديد قد أشار إليه رسولنا الكريم دراية منه بالتَّماشى مع تطورات الإنسان وسبل حياته وحضارته، بل وأرى فيمن يعارض عملية التجديد أنه قد خالف وصايا رسولنا الكريم، وفى ختام مُداخلتى أقترح على تلك اللجنة الموقرة الَّتى ستقوم بهذا العمل الجليل أن تستحضر وتستفيد من التجربة الأوروبية فى هذا السِّياق حيث قد فات على نجاحها عدة قرون، مما يُمكِّنهم من الأخذ بما هو مفيد فيها

وترك ما كان له أثرٌ سلبي على إيمان النَّاس، وأرجو قبولكم عذرى عن الإطالة.

مقدم البرنامج: لا بأس سيِّدى من إطالتكم ما دام فيه ما يفيد أُمَّتنا فى دينها ودنياها، ومكانتها وتقدمها، وهنا وبعد استئذان باقى الضيوف بالطبع، أسألك: هلا أطلعتنى عن رؤيتك للأسباب التى دعت الأوروبين لأجراء عملية الإصلاح التى ندعو إليها؟ وهل الوضع بأمتنا يبدو ملحًّا بالدَّرجة الَّتى كانت عليها الأوضاع بأوروبا فى حينه؟

- نعم سيِّدى وبكل سرور، وأعد بالاختصار والإيجاز حتَّى أمنح الفرصة لأساتذتى من ضيوفك الآخرين بإبداء آرائهم علَّها كانت أكثر نفعًا مما سأقول، وباختصارٍ شديدٍ سيِّدى أنصحهم بقراءة كتاب الكاتب والفيلسوف الفرنسىِّ فولتير، الَّذى عنوانه " رسالة فى التسامح " وقد ترجمه للعربية السَّيِّد / هنرييت عبودى للناشر دار بترا للنشر والتوزيع بدمشق. ونعم كانت الأوضاع مشابهةً لحدٍّ بعيد بل كانت أكثر قسوة عما نحن عليه الآن بأمتنا، ولتسمع منِّى الآن بعض ما قاله السيد / فولتير بكتابه المذكور آنفا إذ كتب يقول: إنَّ العنف المسعور الَّذى يدفع إليه العقل اللاهوتى المغلق، والغلوّ فى الدِّين المسيحى المُساء فهمه، قد تسببا فى سفك الدِّماء وفى إنزال الكوارث بألمانيا، وبانكلترا، بل وحتَّى لهولندا بقدر لا يقل عما حدث فى فرنسا، ويقول أيضا: إن ثلث الشَّعب الألمانى قُتِل بحروب الأصلاحات الدِّينية على مدى ثلاثين عامًا، حتَّى إنَّ ألمانيا ما كانت لتكون اليوم إلا صحراء بلقعًا تُغطِّيها بقايا عظام الإنجيليين، والبروتستانيين، والكاثوليكيين، وأتباع تجديد المعموديَّة الَّذين ذبحوا بعضهم بعضًا تباعًا، إلى أن أتت معاهدة وستفاليا فى أخر الأمر لتوفِّر حُرِّية المعتقد، وكانت معاهدة وستفاليا قد وضعت خاتمة لحرب الثَّلاثين عاما، ولحرب الثَّمانين عاما بين البُلدان الكاثوليكيَّة والبلدان

الأوروبية، كما يقول أيضًا بنفس الكتاب: أما فى إرلندا الَّتى اغتنت وتضاعف عدد سكانها، فما عادت ترى مواطنيها الكثالكة يذبحون باسم الله وعلى مدى شهرين مواطنيها البروتستانتيين، وما عادت تراهم يدفنونهم أحياءً، ويعلقون الأمهات على المشانق، ويوثقون البنات إلى أعناق أُمَّهاتهن ويتفرجون عليهن يلفظن أنفاسهن معا، ما عادت إرلندا ترى مواطنيها الكثالكة يبقرون بطون نساء حُبالى ويستخرجون منها الأجنة ليرموا بها إلى الخنازير والكلاب لتأكلها، أو يضعون خنجرا فى أيدى أسراهم المقيدين ثُمَّ يُوجهون أذرعهم إلى نحور نسائهم أو آبائهم أو أمهاتهم أو بناتهم، ويتهمونهم بعد ذلك بالقتل فيعدمونهم.

وهنا اسمحلى سيِّدى الكريم أن أقول: إنَّه ورغم أنَّ الكتاب قد رصد معاركًا وأعدادًا مهولة للضَّحايا والقتلى تقشعر منها الأبدان، وما يُؤلم النَّفس ويُحزنها، أنَّ هؤلاء القتلى والجرحى ضحايا طوائف مُختلفة تنتمى لنفس الدِّين، مدَّعين أنَّ كلًّ منهم تقتل وتقاتل فى سبيل الله، فى دين يقول لأتباعه لا تقتل، وهذا شبيه لحدٍ بعيد لما يحدث بأُمَّتنا، غير أننا قد قتلنا البشر، وهدمنا الحجر، وحرقنا الشجر لنُسقط جيوشنا وأوطاننا، وأيضا هم يدَّعون أنَّ هذا لنصرة الدِّين، ولإقامة شرع الله، ويقولون أنَّهم يجاهدون فى سبيل الله، وسبحان الله. ومن هنا أود أن أنبه المعنين والمهتمين بأمتنا بأننا فى أمس الحاجة للإسراع وبأقصى ما يمكننى من سرعة بإجراء عمليات التنوير والتطوير وعلى كافة الأصعدة الفكرية، على أن نراعى فيها إعمال العقل ومنحة الفرصة للتفريق بين الطالح والصالح، بعيدا عن مبدأ السمع والطاعة والخضوع للتخويف والترهيب حتى لا يصحب عملية التنوير والتطوير تقتيل وتدمير، وأكرر على عنصر السرعة هنا إذ إن تأخرنا وتقاعسنا عن ذلك لأزمنة طويلة جعل جهات أجنبية لها مآرب

أخرى فى أغلبها سياسية وسلطوية لإنشاء أكاديميات التغيير ومؤسسات نشر الديمقراطية والتى كان لها الدور الفاعل فى تدمير أوطاننا بثورات الربيع العربى، حيث بدا لنا أن مصطلحات التغيير ونشر الديمقراطية ما كانت إلّا حق أريد به باطل كما قال سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه عندما حدثت الفتنة الكبرى.

بعد الفاصل عاد السيد مقدم البرنامج معيدا لترحيبة بالسَّادة ضيوفه، وأيضا بالسَّيدات والسادة المشاهدين، ثُمَّ أعلن بأنَّه وخلال الفاصل قد أتاهم نبأٌ عاجلٌ بتوجه السَّيِّد / وزير الخارجية الأميريكى للمنطقة العربية، للقاء السَّادة وزراء خارجية كل من: المملكة العربية السعودية، والمملكة الأردنية الهاشمية، والسيد رئيس السلطة الفلسطينية بمصر، وسوف يعقد مؤتمرًا صحفيا مساء الغد لإطلاع الشعوب على نتائج اجتماعاتهم. كما أعلن أنَّه وبسبب تلاحق الأحداث وكما يقول السَّادة الحكام العرب بمؤتمراتهم السَّنويَّة بالجامعة العربية: حيث تمر أمتنا بمنعطفٍ تاريخى غير مسبوق، وما أكثر المنعطفات والمزلقانات، والمنحدرات بتاريخنا، فقد تقرر أن يكون البرنامج يوميا وبنفس التوقيت، حتَّى يتسنَّى لشعوبنا مُتابعة التَّطوُّرات، والوقوف على أخر المستجدَّات.

مؤتمر القاهرة

الليلة، بدأ البرنامج بعرض مؤتمر صحفي للسَّيِّد وزير الخارجية الأميريكى من القاهرة حيث جاء مُقتضبًا للغاية، وقد بدا السَّيِّد الوزير مُنهكًا، مُجهدًا، عابس الوجه، مُتجهِّما، ربَّما كان هذا لطول وعناء رحلة طيرانه من واشنطن لزيارة عدة دولٍ عربية دون توقف، وربَّما كان ذلك لشيء لم يكن يرضيه بعد اجتماعه مع نظرائه العرب فقال:

- كم تمنيت أن أعلن لحضراتكم من القاهرة عن موافقة العرب جميعا على الصَّفقة الَّتى طرحناها مُنذ أيام، ولا أخفى عليكم مدى شعورى بالسَّعادة حينما عبَّر نُظرائى من السَّادة الوزراء خلال اجتماعاتنا، عن موافقة بلدانهم كافة على الصَّفقة الَّتى طرحتها أميريكا، ووافقت عليها إسرائيل، ولكن لم يكن بوسعى الاحتفاظ بسعادتى حين سألونى عمن سيسمح له من الطرف الفلسطينى بالتَّوقيع على تلك الصفقة؟، ولولا تمكنى من الالتزام بأصول اللغة الدبلوماسية لفعلت ذلك الصوت وقلت تلك الكلمة التى طالما استعملها المصريون للتعبير عن استيائهم واستغرابهم واستنكارهم لمَّا سمعوه، وهنا أذكر أنَّ بعض الدِّول الَّتى اجتمعت بممثليها كانوا من الدول التى تعلم قرارنا باعتبار حركة حماس منظمة إرهابيَّة، ومن هنا أعلن أمامكم أننا لا نعترف سوى بالرئيس الفلسطينى ممثلا شرعيَّاً ووحيدًا عن الشَّعب الفلسطينى، ولهذا فإننا لن نسمح لسواه بالتوقيعٍ على هذه الصفقة، كما أُعلن كذلك أن أمام العرب والفلسطينيين مهلةً تنتهى بعد عشرة أيام تبدأ بيومنا هذا، وفى حالة عدم تمكن الكيانات والفصائل الفلسطينية بالاتفاق على تفويض الرئيس الفلسطينى للتَّعامل وحده

مع الصفقة، فسوف يكون لأميريكا وإسرائيل رأى أخر سترونه فى حينه.

وبعد انتهاء بيان السَّيِّد وزير الخارجية الأميريكى مباشرة، ظهر مُقدِّم البرنامج فجأة ليقول لضيوفه وللسَّادة المشاهدين وربَّما لنفسه أيضا:

- **وماذا بعد؟، سيداتى آنساتى سادتى، لقد أنسانى البيان الذى استمعنا إليه توَّاً للبروتوكولات الإعلامية، حتَّى إنَّنى لا أرى داعياً للتَّرحيب بالسادة الضيوف والمشاهدين بل سأتوجه مباشرة لضيفى السَّيِّد منير مدير مركز ابن زيدون بسؤالى:**
- **وماذا بعد سيِّدى؟.**
- **أمَّا إن كان سؤالك عما ستفعله أميريكا إن اختلف الفلسطينيُّون وفشلوا فى التَّوصل لاتِّفاقٍ عمَّن سيقوم بتوقيع الاتفاقية إلى جانب إسرائيل؟، فهذا ما لا أعلمهً لا أنا ولا غيرى، أما ما أعلمه جيَّدًا، فهو أن الأمر لن يكون هينًا على إخواننا الفلسطينيين.**
- **السؤال سيدى الآن هو وهل ستتفق جميع الفصائل الفلسطينية على تفويض من أرادته أميريكا بالتحديد أم أنهم سيعتبرونه استفزازا وتحكما وتعاليا عليهم وكأنه أمرٌ لهم؟.**
- **الإجابة بسيطة للغاية سيَّدى، فهل رأيتنا أبدًا متفقين ؟ وهل سنرضى بخذلان ابن خلدون الَّذى قال من قديم الزَّمان: "العرب اتفقوا على ألا يتفقوا"، وهل سنقبل بخذلان السَّيِّد جمال الدين الأفغانى الَّذى قال مقولته الشَّهيرة: " شر أدواء الشرق داء انقسام أهليه وتشتت آرائهم، واختلافهم على الاتحاد واتحادهم على الاختلاف، فقد اتفقوا على ألا يتفقوا".**
- **أراك أنت أيضا مُتهكِّما على العرب سيِّدى.**
- **بل متأسِّفا صديقى، وأنا لم أقل إلا ما قاله أسلافنا، وهل ترى فى أحوالنا غير ما قالوا؟.**
- **إذاً هلا أسمعتنى انطباعك وتحليلك للهجة الوزير الأميريكى الحادة؟.**

- ربَّما رأيناها حادةً لأننا كما قلت لك بأول حواراتنا إنَّنا أمة رومانسية، فتخيلنا أن أميريكا هى الحبيب الَّذى أتى ليقول لحبيبته لا تخافى طفلتى المُدلَّلة، فأنا معك للنِّهاية ولن أتخلى عنك أبدا، أما السَّيِّد الوزير فقد تكلم بلغة السِّياسة الَّتى دعمها بلهجة الفتونة والبلطجة.
- إذاً ماذا تتوقع من ردود الفعل العربيَّة والفلسطينيَّة تجاه ذلك البيان.
- لقد اعتدنا نحن العرب دائمًا فى كل ما يتعلق بالتَّحركات الإسرائيلية الباطشة والظالمة والغير إنسانيَّة بحق الفلسطينيين أن نطلق صيحات الشَّجب والاستنكار، أما وقد حرمتنا إميريكا بإعلانها للصَّفقة، كما حرمتنا إسرائيل من الشجب والاستنكار بموافقتها عليها، فيبدو لى أن من يُعدُّون تلك الصَّرخات لمن يصرخون بها، لم يسعفهم الوقت لابتكار مصطلحًا جديدًا يُطلقونه ليناسب هذا الحدث، ولذلك فإننا نراهم وقد لاذوا بالصَّمت المُطبق منذ إعلان الصفقة وحتى الآن، وأرى أن هذا كان أفضل ما فعلوه فالصمت أحيانا يكون أكثر تعبيرا وبلاغة للتعبير عن العجز عن حتى عن الكلام.
- وماذا تتوقع من ردة الفعل الفلسطينى فى هذا السِّياق؟
- فلتسمح لى سيدى أن أقتدى بسيِّدنا عيسى المسيح عليه السلام باتباع منهجه فى نشر مواعظه من خلال قصص كان يرويها لتلامذه وأتباعه بالطَّبع، إذ إن القصص يسهل تذكُّرها دائما، بل ويعمل ببعضها كعبرةٍ ونصيحةٍ، ثُمَّ إن الشَّخصيات بالقصص تُعتبر دائمًا رموزا للأدوار الَّتى تُؤدِّيها بالقصة فتوصم شخصية منها على مر العصور بأنها شخصيةٌ مُؤمنةٌ مُحبَّةٌ للخير، وأخرى تؤخذ رمزا للقوة الباطشة الَّتى تحمى وتدعم الضُّعفاء والمساكين بكوكبنا الَّذى تحوَّل ومذ خُلق آدم وحواء إلى غابةٍ يتصارع فيها الخير والشَّر، كما أن من الشَّخصيات من تُلصق بهم صورة الإنسان الفاسد، والشِّرير، والمُفترى على من حوله، ومنهم من خُلعت عليه صفة الذَّكاء والدَّهاء، ومنهم من خُلعت عليهم صفة التَّكبر والصَّلف والحماقة

والغباء، ولأن القصص دائما غنيَّةٌ في معانيها، فاسمحلى أن أقص عليكم قصة قرأتها منذ سنوات قليلة وقد أعجبتنى كثيرا، إذ أنها تعبر بصورة مطابقة للموضوع محل نقاشاتنا وكأن كاتبها الذى لا يهمنى كثيرا أن اذكر اسمه قد توقع وتنبأ لما ستقوم به كل من إسرائيل وأميريكا بعد عدة أعوام من كتابته لقصته، فكتبها حتَّى تكون إنذارًا وتنبيها للعرب حيث قال فى روايته:

كانت هناك قري تُقيم بها عدة قبائل تصارعوا دائمًا على زعامةِ المنطقة والسَّيطرة على مقاليد الأمور فيها، حيث كان هذا يُعدُّ شرفًا للقبيلة الَّتى تحظى بتلك المكانة، وذات يوم قدم إلى قرية منها رجلٌ تبدو عليه آثار التَّعب والإرهاق جراء سفرٍ شاقٍ وطويل، ولم يكن له طلبٌ سوى بعض الماء ليروى ظمأه، ولأن القرية كانت مشهورةً بكرمها وحسن ضيافتها، فقد تسارعوا بِقِربِ الماء والحليب حتَّى روى الرجل ظمأه واسترح قليلًا، وإذا برجلٍ يدعوه أن يتبعه حتَّى أدخله دارًا بدت رائعة البنيان، مُزرقشةً، مؤثثةً تأثيثا رائعًا بالمقارنة بما كان يُستعمل فى ذلك الزَّمان من قطع الأثاث، والثُّريات والتُّحف الفاخرة والَّتى كانت جميعها وبالطبع يدوية خالصة، ثُمَّ اصطحب الرَّجل ضيفه إلى أحدى الغرف ناصحًا له أن يغفو قليلا حتَّى يستريح من وعثاء السفر ويستحم حتى يأتيه بعد عدة ساعات لاصطحابه لتناول طعام العشاء على مأدبتهم ثُمَّ انصرف.

على مائدة العشاء بُهر الرَّجل وأُخِذَ بما كان عليها من حبوبٍ وخروفٍ محمر يبدو شهيًا للدَّرجة الَّتى أنساه جماله بها سفره وتعبه وظمأه وجوعَةً، وحينما بدأ العشاء وجد النَّاس جميعًا كرماءً يتسارعون لإطعامه بأياديهم الَّتى كانوا ينتقون له بها أطيب قطع اللحم من جسد الخروف المسكين، وبعد العشاء انتقلوا لخيمة ضخمة اعتادوا أن يجتمعوا بها كلَّ ليلةٍ لتدارُس أمورهم ومسائلهم وقضاياهم وحل المشاكل بين النَّاس إن وُجدت كما يقوموون بعقد الصلح بين

المُتخاصمين منهم، وما أن أنتهى كلُّ ذلك توجَّه شيخ القبيلة للضيف سائلا:

- هلا أخبرتنا من أين أتيت؟ وإلى أين أنت ذاهبٌ بعد أن تغادرنا؟.
- دعنى سيِّدى أوَّلًا أن أتقدم لكم بالشُّكر الجزيل على ما قدمتموه لى من كرمٍ واحتفاءٍ كما لو كنت منكم، بل إننى حظيت بحظٍ أكثر مما ناله أي منكمٍ بما قُدِّم لى من عشاء، فقد أعدتمونى بكرمكم إلى الحياة الَّتى كنت على وشك أن أغادرها قبل أن أبلغكم، حيث كاد الظمأ يقتلنى وكاد الجوع أن يفتك بى، أما أنا يا سيِّدى فقد كنت سيِّدًا فى قومى حيث كنت تاجرًا بارعًا أتنقَّل بين قريتى والبلدان المحيطة لإحضار البضائع من هنا وبيعها هناك والعكس، وبسرعة فائقة أصبحت أنافس كبار التُّجار بقبيلتنا والقبائل المجاورة، مما دعى التُّجار يقيمون حلفا ضدى ويحيكون المؤامرات لى بغية التَّخلص منِّى، وأخيرا هداهم شيطانهم الرجيم إلى التَّرويج لخيانتى للسَّيِّد الأمير ولى النعم بقريتنا مع زوجته، ومنذ عدة أسابيع استدعانى ليُخيِّرنى بين أمرين لا ثالث لهما، فإمَّا أن أتخلى له عن كامل ثروتى ومغادرة القرية قبل بزوغ شمس الغد، أو إننى سأتعرض لأطاحة السَّيف برقبتى بعد تناولهم للغداء فى الوقت الَّذى يكون فيه طول ظلِّى مماثلا لطولى.
- وبماذا أجبته؟
- قلت له بل سأرحل سيِّدى، ليس خوفا من الإطاحة برقبتى، بل خجلًا من اتهامى بتلك التهمة الشنعاء والَّتى أنا منها بُراء، وسوف يسعدنى سيِّدى أن تسمح لى بالمرور إلى داركَ لوداعك ونيل بركتك قبل مغادرتى قريتكم فاسمح لى بذلك فقط.
- وهل قمت بوداعه ومغادرة قريتك فى الوقت الَّذى حدَّده.
- نعم سيِّدى، ذهبت إليه عند الصباح الباكر كى أودعه، وقبل انصرافى ومغادرته، أقسمت له ببراءتى مما اتهمونى به، وانحنيت على يده

أقبلها، وحين بلَّلت دموعى يده جذبنى من شعرى ليرفع رأسى ويخبرنى بأنَّه على ثقة ببراءتى إلَّا أن هؤلاء التُّجار الخُبثاء لم يدعوا له سبيلا أخر غير الطَّرد، كما أعلم أنهم ما فعلوا ذلك إلا كى يخلوا لهم وجهى، وأيضا كي يُعيقوا تقدُّمك عليهم بتجارتك ومنافستك القوية لهم جميعًا بحسن بضائعك ورخص أسعارها، وادعوا الرَّب لكَ بالخير،

- حفظك الله فى حلَّك وترحالك، ويسَّر لك طريقك، وطوى لك بُعد السَّفر، وهوَّن عليك مشقته، وأوصلك لمن يعتنى بك.
- وما الإله الذى تعبده؟
- وهل هناك آلهٌ سوى إله موسى وهارون؟
- نعم ضيفنا العزيز هناك العديد من الآلة، ولقد صنعنا لكلٍّ منها تمثالًا نتعبد إليه، كما صنعتم أنتم العجل لتتعبدوا إليه، وكما طلبتم من نبيكم أن يجعل لكم آلهةً تعبدونها غير الإله الَّذى جاء برسالته إليكم حين مررتم على قومٍ يعبدون الأصنام فقلتم له: يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة.
- وأى آله تعبدون سيِّدى؟
- نحن هنا نتمتَّع بحرية العبادة فكلٌّ منَّا يتعبَّد للإله الَّذى يروق له ويرتاح إليه، ولدينا فنانون برعوا فى صنع الآله، غير أنه ومن حقك علينا أن تتمسك بعبادتك لإله موسى وهارون، أو تذهب إلى حيث نضع أصنامنا لتتخير منها ما يناسبك ما دمتم قد طالبتم موسى بآلهةٍ أخرى كالتى كان يعبدها غيركم،
- إذاً سيِّدى، ما دمت قد أنعمت علىَّ بحرية اختيار إلهىٍ، فسوف أستمر بعبادة ربِّ مُوسى وهارون، فقد وجدت فى عبادته حظًا أوفر بتجارتى وحياتى، حتَّى إننى الآن أشعر بوجودى بينكم والتمتع بكرمك دليلا على رعاية الله لى حامدا له أن أخرجنى من تلك القرية الظالم أهلها، فسأستمر بعبادة إلهى، مُقسما على الإخلاص لكم والتفانى بخدمتكم.

- هذا عظيم فثباتك على عقيدتك قد أراحنى، ولربَّما لو كنت قد تخليت عن إلهك إرضاءً لنا لكنت قد انتابنى القلق تجاهك.
- نحن اليهود سيِّدى نؤمن بالله ونعبده، كما نؤمن بأن النَّاس على دين ملوكهم، كما وأننا نعشق المال حتَّى كدنا أن نعبده، وهذا ما جعلنا تُجَّارًا، وصُنَّاعا، ومُبتكرين، ومخترعين، ومفاوضين مهرة بذكائنا ودهائنا.
- إذاً دعنى أسألك: إلى أى وجهة تنوى الاتجاه إليها بعد انقضاء مهلة الضِّيافة الَّتى نمنحها لضيوفنا من عابرى السَّبيل؟.
- الحقيقة سيِّدى الأمير ورغم أنه لم يكتمل يومى الأول بضيافتكم بعد، إلا أننى قد أُخِذتُ بحسن ضيافتكم ومعاملتكم حتَّى غدوت أتمنى لو كنت واحدًا من أبنائكم ومواطنيكم، ولهذا تمنَّيت الإقامة لديكم وتحت رعايتكم، واعدًا لكم على الإخلاص والتَّفانى بخدمتكم فى حالة موافقتكم على ذلك.
- فى أىِّ مجالٍ تُحب أن تعمل بيننا إذاً؟.
- أنا لا أجيد سوى الأعمال التجارية سيِّدى.
- حسنًا، وإنه لمن حسن الطالع، أو ربَّما لأنَّك إنسانٌ محظوظٌ فقد مات تاجر القرية المرموق منذ أيام وترك ثروته وأدوات تجارته لولديه الوحيدين، والحقيقة أننا نشعر بالقلق لحد الرعب حيث إننا كنَّا نحيا على القمح والشعير الَّذى كان يجلبه لنا من بلدان أخرى، ولدينا شكوكٌ حول أمكانية ولديه بالاستمرار بأعماله التِّجارية حيث يميلون إلى اللهو والسَّهر والشَّراب مع جواريهم ونُدمائهم، وأظنُّ أن لديك فرصة رائعة ومواتية الآن، حيث يُمكننى استدعائهم لمقابلتك حتَّى تتناقشوا وتتفاوضوا أن تستأنف ممارسة أعمال أبيهما مُستغلّا للأمكانات الَّتى تركها أبوهما بالشِّروط الَّتى تتوصَّلون إليها وترضونها جميعا.

ويُكمل السَّيِّد منير القصة ليقول: وفى أوَّل رحلةٍ تُجاريَّة للرَّجل أثبت براعته بجلب أجود البضائع والسِّلع وقام ببيعها بأسعارٍ أقل بكثير من الأسعار الَّتى كان يعرضها سلفه الَّذى مات، كما حاز على ثقة وحُبِّ السَّيِّد أمير القرية بتأمين المواد التَّموينيَّة، بل وعده بتمهيد واستصلاح الأودية المجاورة وجعلها صالحة للزِّراعة وريِّها بمياه الأبار لزراعة القمح والشعير وكل ما يحتاجونه بمعيشتهم، وأكَّد له أنَّه سوف يتفحَّص أنقى وأكثر البذور أنتاجا بالبلاد الَّتى سيقوم بزيارتها فى جولاته التِّجارية المُقبلة. وبذلك أصبح مُقرَّبًا بل مُعاونًا للسَّيِّد الأمير، مما جعله من وجهاء القوم بل وجعله بمكانة ترقى لمكانة الأمير نفسه، وذات يوم سوَّل له الشيطان أن يتخلص من الشَّابين شركاؤه بالتِّجارة إذ يستحوزون على نصف أرباحه من التِّجارة دون بذل أىِّ جُهدٍ فيها، وما لهم من فضلٍ فى ذلك سوى أنهما أبناء التاجر الَّذى مات فأخذ هو مكانه واستغل إمكاناته وأدواته ووسائله، وذات يوم دعاهم للعشاء والشَّراب ومن ثُمَّ التَّمتع برقص الجوارى، وقد أغراهم أنَّ لديه عرضًا مُغرياً لن يُفكرا فى قبوله كثيرًا، وبعد العشاء وأثناء مداعبته للجارية الجميلة الَّتى كانت تسقيهم الخمر الَّتى جلبها من أشهر البلاد صناعة للخمور وفاجأهم مباغتا لهما بسؤال لم يكن يحلمان به أو يتوقعانه فقال لهما ضاحكا:

ما رأيكما فيمن يعرض عليكما أن يمنح لكل منكما مئة ألف دينارا مقابل تخليكم عن حصصكم فى التِّجارة التى بيننا؟

فقالا فى نفس واحدٍ مُندهشين:

- نراك قد فقدت عقلق سيِّدنا ولربَّما أثقلت فى الشَّراب حتَّى أسكرك.
- أنا فى كامل وعى وأهليتى للتعاقد الآن أخوىَّ الكريمان، وليس لى سوى شرط واحد غاية فى اليُسر والبساطة.
- إذاً فلتخبرنا بشرطك حيث وافقنا على عرضك بلا قيد أو شرط.

- **هو ليس شرطًا أخواى الكرام بل هو رجاءٌ، ولدى أملٌ بموافقتكم عليه.**
- **تفضل إذاً وقل لنا عما تريد سواءً كان شرطًا أو رجاءً.**
- **إن عقيدتنا تُحرِّم علينا توقيع عقدا ثلاثيا، بمعنى أن عقودنا يجب أن تكون بين طرفين فقط.**
- **وماذا تريدنا فعله الان.**
- **أريدكم فقط أن تحترما عقيدتى وشريعتى وأن تختارا واحدًا منكما للتَّوقيع على العقد الَّذى سنبرمه لإتمام صفقتنا، وهو الَّذى سأقوم بتسليمه المبلغ المُتَّفق عليه بيننا عدًا ونقدًا لتتقاسماه مناصفةً فيما بينكما بعد انصرافكما من مجلسى، ولسوف أُمهلكم يومين لذلك وإلا اعتبرت الصَّفقة لاغية وكأنى لم أعرض عليكما ذلك العرض، على أن نستمر بما اتفقنا عليه بعهدنا الأول، والَّذى التزمت به معكما بصدقٍ وأمانة، وبما يرضى الله حتى الآن، وأُشهد ربَّ مُوسى وهارون على ما أقول.**
- **نبشركَ خيرًا سيدنا وسوف نأتيك قبل الموعد الَّذى حددته لنا لنخبرك بمن سيوقع الصَّفقة.**
- **حسنا صديقاى، وفقكما الربُّ آمين.**

لم يكمل الأخوان حفلة الرَّقص والخمر والطَّرب فرحًا بما عُرض عليهما واتجها إلى دارهما ليناما بعد أن اتفقا على النوم بعمق لينالا قسطا من الرَّاحة حتَّى يتقابلا فى الغد لمناقشة الأمر واختيار أَحدهما لتوقيع وثيقة صفقة العمر وافترقا على ذلك.

وفى اليوم التالى التقيا عصرًا بساحة الدَّار للتَّناقش حيث بدأ الأكبر مُخاطبا للأصغر قائلًا:

- **هلا أخبرتنى عن انطباعك للعرض الَّذى تلقيناه بالأمس**
- **هو عرضٌ لا يتكرر بحياة إنسان سوى مرة بالعمر وأرى أنَّه من الحماقة رفضه.**

- وأنا أوافقك الرَّأى تمامًا على هذا وسوف يُسعدنى أن تفوِّضنى بالتَّوقيع على تلك الوثيقة احترامًا لشريعة الرَّجل.
- ولماذا لا تعطينى الحق فى ذلك أخى الكريم؟.
- لأنَّنى الأكبر سنًّا أخى.
- نعم هذا صحيح، ولكنى أكثر منك صلاحًا وتقوى.
- الصَّلاح والتَّقوى ستجد جزاءهما بالأخرة، أم إنك تُريد رفعةً فى الدُّنيا ونعيمًا بالآخرة مكافأة على صلاحكَ وتقواك؟
دام النِّقاش والجدال بينهما وكل منهما مستمسكا برأيه على أنَّه الأحق بتوقيع وثيقة الصَّفقة، وبعد استلامه للثَّمن يُعطى الآخر نصفه، ولكن لم يصلا لحلٍ ولو كان وسطًا بينهما، فعلا صوتهما وعلا صراخ كلٍّ منهما بوجه الآخر حتَّى تشابكا بالأيدى، ولما اشتدَّ العراك واشتعل بينهما استلَّ كلٌّ منهما خنجره ليغرزه بقلب الآخر فى نفس اللحظة فسقطا على الأرض معًا مُضرجين بدمائهما، والعجيب أنَّ كلًا منهما كان يستصرخ أخيه لنجدته وإسعافه، وما هى إلا دقائق حتَّى نفد الدَّم من قلبيهما فأسلم كلٌّ منهما روحه لخالقه.
وفى المساء جاء وقت العشاء ولم يحضراه كما وعدا سيِّدهما اليهودى بذلك، وبعد العشاء وحين تناول الرجل كأس الشَّاى الَّذى تعود عليه، تظاهر بالقلق أمام صبيانه الَّذين كانوا يعاونونه بتجارته فأوفد أحدهم لاستطلاع الأمر وسؤالهما عن تخلفهما، وعن عدم الوفاء بوعديهما، وحين عاد إليه سأله التاجر:
- ماذا قالا لك؟، وما العذر الَّذى منعهما عن الوفاء بوعديهما؟.
- لم أجد أحياءٍ بالدَّار حتَّى أسألهم سيِّدى.
- وأين تراهما ذهبا إذاً
- هما لم يذهبا لأىِّ مكانٍ سيِّدى.
- ما هذا الهُراء الَّذى تُجيبنى به يا رجل؟ قل لى ماذا دهاك؟
- يبدو أنهما قد قتل كل منهما الآخر سيِّدى.

- وكيف يقتل القُتيل قاتله أيُّها الأبله؟
- يبدو سيِّدى أنَّ كلّا منهما طعن الآخر بقلبه بنفس اللحظة فقد وجدت خنجرا مغروزا فى قلب كلٍّ منهما والأرض أسفلهما غارقة بدمائهما.

هنا ضحك اليهودى حتَّى كاد أن يقهقه لكنه وبدهائه المشهود له، أخفى وجهه بكلتا يديه وصار يُصدر صوتًا يصعب على النَّاس تمييزه أن كان قهقهةً أم بكاءً، لكنَّهم ظنُّوه باكياً حيث أنَّ الحادث لا يستحق غير البكاء، وبعد أن أنهى اليهودى وصلة بكائه الاصتناعية أمر مساعديه بالبدء فورا بإجراءات الدَّفن، كما أمر آخرين بالطَّواف بشوارع القبيلة وحاراتها لإعلان نبأ الوفاة، وبأنَّ مراسم العزاء ستكون غدًا مساءً بداره وفاءً منه لشريكىِّ تجارته.

وكانت تلك حيلةٌ ماكرة للغاية، إذ إن هذا سيُجبر أمير القبيلة بالتَّوجُّه لدار اليهودى لأداء وتلقِّى واجب العزاء، حيث جرى العرف أن تكون مراسم العزاء دائما بدار أمير القبيلة، وكان هذا إعلانا ومؤشرًا بأنَّ اليهودى أصبح يُناطح بل ويتساوى مع الأمير فى مكانته.

فى اليوم التالى ارسل الأمير رسولًا لكلٍّ من كاهن القبيلة والتَّاجر وبعض وجهاء القبيلة لتناول طعام العشاء على مائدته، وقد حضر الجميع بالموعد الَّذى كان قد حُدِّد لهم، وبعد إتمامهم لطعامهم، إلَّا اليهودى الَّذى اعتذر مُتعلِّلا بفقدان شهيته للحادث الَّذى أفجعه حيث كان لا يعتبرهما شريكين، بل كإبنين من صُلبه ومن أسرته، وحتَّى يُعبر للأمير وضيوفه عن صدقه أقسم بربِّ موسى وهارون أنه لم يذق الطعام مذ جاءه خبر مقتلهما، هنا تظاهر الأمير بتصديقه وسأله:

- بلغنى صديقى أنهما كانا بضيافتك ليلة ما قبل الحادث، فهلا أخبرتنا بما دار بينكم ودفعهما للتَّقاتل حتَّى قتل كلٌّ منهما الآخر؟
- أجاب اليهود وقد انتابته الشُّكوك أن يكونا قد استشارا الأمير بالصَّفقة الَّتى عرضها عليهما، غير أنَّه تماسك وأجاب بأنَّهما قد أتياه

عارضين عليه التَّفاوض حول مبلغًا من المال يمنحهما إياه ومن ثمَّ تُصبح التِّجارة بكاملها خالصةً له.

- وكم كان المبلغ الَّذى عرضاه عليك أو عرضته أنت عليهما؟.
- لم نتحدث سيدى عن رقما محدَّدًا بل إننى قد أخبرتهما أن يعودا لدارهما حتَّى يراجعا نفسيهما، وإن وجدا بيقينهما أنهما قد استقرا على ما طرحاه علىِّ فليأتيَنَّنى باليوم التَّالى ليخبرانى بالصَّفقة كاملة البنود والشُّروط، وأهمها بالطَّبع المبلغ الَّذى يقترحانه، بل إننى أيضا سيدى نصحتهما بمشاورتك بالأمر إذ إنك كبيرنا، وعلينا أن نُخبرك بكل أمور حياتنا، بل وأيضا وجب علينا أن نخبرك بأحلامنا سواء كانت أحلام يقظة، أو ما نراها بمنامنا.
- حسنًا إذاً فالأمر يبدو لى أنَّهما تشاجرا وتقاتلا حتَّى قُتلا طمعًا لكلٍّ منهما بنصيب الآخر.
- يبدو هذا سيِّدى، وأشهد أنك لا تقول غير الحقيقة دائمًا لما متعك الله به من فطنةٍ وكياسةٍ ودهاء، زادك الله منها ومنحكم الصِّحة والعافية وأطال عمرك بيننا، ودعنى أستسمحك بالانصراف الآن حيث إننى لم أذق للنَّوم طعمًا منذ اليومين الماضيين.
- فلتذهب إذا لتنام وترتاح، ونتمنَّى أن نراك ثانية حين يتسنَّى لكَ ذلك.

بعد انصراف التَّاجر، أصدر الأمير أوامره بانصراف الجميع واستبقى الكاهن فقط مُخبرًا أياه أنَّه فى حاجة لمحادثته، ولمَّا خلا لبعضيهما، باغت الأمير الكاهن بسؤاله هامسًا:

- كيف ترى الأمر كاهننا المُبجَّل؟.
- لا أدرى سيِّدى الأمير، غير أنى لا أشعر بالارتياح لهذا الرَّجل، بل إننى لم أشعر بمصداقيته فيما قاله عن الحادث وما قاله عن حواره مع قتيلانا.
- وانا أيضا لدىَّ يقين بكذبه، فإنَّ لى عين بداره تقوم على خدمته، وقد أخبرتنى بالرِّواية كاملة، ولكن بصورة مختلفة تماما عما أخبرنا به.

- أحسنت سيِّدى بوضع أعين لك بدار ذلك الدَّاهية ولكن، ماذا ترانا فاعلين إزاء هذا الرَّجل الَّذى بدا خطره يُداهمنا، وربَّما استفحل يومًا بعد يوم، حتَّى كدت أخشى أن تكون سموُّك هدفًا له فى المكيدة القادمة، والَّتى أراها قادمةً إليكَ مُسرعةً؟.
- ليس لدينا ما نفعله سوى الدُّعاء لألهتنا قداسة الكاهن، فلتكثروا من الدُّعاء ولتكثروا من الصلاة عسى أن تُقينا الألهة شروره.
- من الصِّعوبة بمكان سيِّدى أن نُكثر الدُّعاء عليه وهو أكثر النَّاس مُواظبة على الصلاة بيننا بمعبدنا، بل إنَّه كريمٌ مع ألهتنا للغاية إذ يقدم لها الذَّبائح والقرابين بأكثر مما نقدمه جميعًا لها، ولهذا فقد استحوذ على قلوب النَّاس وعقولهم وأكاد أقول وعلى كروشهم أيضا.
- إذا فلتدع عليه دون ذكر اسمه كأن تقول مثلًا من يدبر لنا المكائد، أو من أراد بنا شرًّا.
- هذه فكرةٌ رائعةٌ، لكن دعنى أسألك سيِّدى لماذا ترى الدُّعاء هو السَّبيل الوحيد للقضاء عليه، ونحن نرى ألهتنا بطيئة الاستجابة لدعواتنا وابتهالتنا وأظن أنها لا تستجيب لأغلب الدعوات وأكثرها أهمية لنا؟ ألا تمتلك وسائل أخرى لمجابهته بها؟.
- وبماذا تقترح علينا؟. عسى ألهمتك الآلة حلًّا ناجعًا.
- ولِمَ لا تقتله؟، ولديك سيَّاف ماهر يستطيع الإطاحة برقبة بضربة سيفٍ واحدة،
- هذا صحيح لكنَّنى لا أستطيع ذلك، ليس من الصَّواب أن أقتله، فابحث لنا عن حلٍ آخر يكون أقل ضررًا من القتل.
- وما الضَّرر فى قتله سيِّدى؟، وقد أطحت برقاب العديد من العباد ممن عصوا أوامركَ، أو عارضوا لسياساتك الحكيمة، أو تمردوا عليك.
- هذا الرجل غير كل هؤلاء رغم أنه فعل أبشع مما فعل من قتلناهم وأطحنا برقابهم علنًا أمام النَّاس حتَّى يكونوا عبرة لمن اعتبر.
- وماذا يجعل هذا الرَّجل مُختلفًا؟.

- نحن أناسٌ طيِّبون قداسة الكاهن، وهذا الرَّجل لم يأتِ إلينا للسَّبب الَّذى رواه لنا عند مجيئه مُستجيرا بنا، بل جاء مُدَّعياً أنَّ أرضنا كانت ملكاً لأسرته من قديم الزَّمان وله حقٌّ بها، وعلى ذلك فقد جاء لاستردادها.
- وكيف علمت هذا سيِّدى، وهو ليس له صديقٌ يثق به بيننا كى يُطلعه على مكنون صدره؟.
- لقد أخبر قبائل أخرى بذلك، بل وعقد معهم تحالُفاتٍ، ومُعاهداتٍ، للدِّفاع المشترك، وهذا وببساطة يعنى أنَّه إذا حاربناه فسوف يُحاربوننا معه، أو يقفون على الحياد، وهذ أضعف الإيمان، حيث إن بيننا وبين تلك القبائل صهرٌ ونسب.
- رحماكِ أيتها الأله، إنَّها حقًّا مُصيبة ثقيلة حطَّت فوق رؤسنا وصدورنا.
- وكروشنا أيضا، فلا تنس أنَّه من يجلب لنا طعامنا من بلادٍ لم نكُن بالغيها إلا بشق الأنفس.
- ألهذا استبعدت فكرة قتله؟.
- نعم هو كذلك.
- إذا فلتدس له السمَّ بالطعام. فكم من ضحايا قُتلوا بقبيلتنا بدسِّ السُّم بطعامهم، وأخال أنَّها وسيلةٌ ناجعة استعملت من قبلنا وسوف يستعملها من سيأتون بعدنا، للتخلص من الأمراء الَّذين ينافسون الوالى على الحكم، وربما سيِّدى فى ذلك الزَّمان يكون القاتل والمقتول أخوة، أو هذا أبٌ وذاك ابنٌ،
- هذا أيضا من الصعوبة بل من الاستحالة تنفيذه، ورُبَّما أنك قد لاحظت أنَّه لم يُشاركنا الطَّعام الليلة مُتعلِّلا بفقدانه لشهيته حزنا على من تسبب بقتلهما، ثُمَّ إنَّ من يُعدُّ الطَّعام ويُقدمه له من أتباعه الَّذين اصطفاهم من بين قبيلتنا وأغدق عليه بالمال، وأرى أنَّه ضرب من الخبل محاولة تجنيده لوضع السُّمِّ بطعامه.

- ألهذا الحد هو حاذقٌ وماهرٌ؟
- بل وأيضا ماكر، ألم ترَ بعض ممن يأتون لمعبدك للصَّلاة هم من قبيلتنا ويرتدون طاقية مميزة فوق رؤوسهم؟،
- نعم لاحظت ذلك جيدا، وعندما حاولت استيضاح الأمر علمت أنهم أمنوا بربِّه وقد أفهمهم أنهم أيضا ما زالوا يستطيعون التَّمسك بإيمانهم بألهتهم.
- هو قداسة الكاهن أصبح منَّا وقد استطاع تجنيد معظم أقوياء قبيلتنا للعمل لديه كما أحضر لهم سيوفا وخناجر أقوى، وأمضى كثيرا مما نصنعه ونستعمله بقواتنا، ومن تلك الخناجر كانت من قتل الأخوان بعضهما بها. هناك أمر أخر وهو أخطر من كل شيء، فذات يوم نبَّهته أنَّنى قد علمت أنَّ البضاعة الَّتى بدأ يجلبها إلينا أضحت أقل جودةً وأغلى ثمنًا، مما يُثقل كاهل النَّاس خاصةً الفقراء منهم، فبدا غاضبا ومبررا لذلك بارتفاع الأسعار العالمية ببلاد الفرنجة الكفرة، وهذا ما اضطره لجلب جودة أقل، ثُمَّ هددنى وتوعدنى بالتوقف عن العمل بالتِّجارة وبترك القرية والهجرة لمكان آخر، وعندما علم العاملون معه ثاروا وهدَّدوا بالهجرة معه، كما أعلن مندوبوه ببلاد الفرنجة والَّذين اختارهم من قبلتنا بالعصيان ورفض العودة لقبيلتنا فى حال تنفيذ تهديدة، ويبدو أن هؤلاء الخونة قد استحلوا بنات الفرنجة عن بناتنا لما يتمتعن به من جمال ودلال ورشاقة ووجه صبوح وعيون ملونة، كما أن كروشهن وصدورهن ليست كما عند من لدينا.
- وماذا فعلت أمام تلك المصيبة سيِّدى؟.
- لم يكن أمامى سوى استرضائه ومحايلته ألا يتركنا.
- أعتقد سيِّدى الأمير أنها كانت فرصة جيِّدةٍ للتَّخلص منه.
- على العكس تماما قداسة الكاهن، فلو تركته لينفذ تهديده لنا، ورحل عن قريتنا، لأصبحنا نتقاتل ويقتل بعضنا بعضا، فإنَّ الأشدَّاء الَّذين

استقطبهم بحجَّة العمل معه وسلَّحهم تسليحًا جيِّدا كانوا سيثورون عليّ وربما نجحوا فى إزاحتى من إمارة القبيله، وكان هو بالتأكيد سيغدق عليهم بالمال والسِّلاح، وربما يفعل ذلك معنا أيضا حتَّى تطول فترة اقتتالنا، وتزيد أعداد قتلانا وضحايانا فسوف أتمسك أنا بمنصبى، فى حين سيسعى أعوانه لإزاحتى عنه.

- **ألا من حلٍّ لديك أيتها الآلة الَّتى نعبدها مُخلصين؟**
- **الآلة لا تُعين الضُّعفاء الكسالى قداسة الكاهن، فقد أصبحنا أضعف بكثير من أىِّ عصرٍ مضى، حتَّى غدا هذا الشِّرير يتسلى بالتَّلاعب بنا بل وباللهو بنا أحيانًا.**
- **لم أكن سيدى أعلم أن الأمر بهذا التَّعقيد، ولهذا فقد آمنت بأنه ليس أمامنا إلا الدعاء.**

إلى هنا أعلن السَّيِّد مُنير مُدير مركز ابن زيدون انتهاء القصَّة الَّتى رآها مطابقة لما يحدث لنا هذه الأيام، ولم ينس السَّيِّد منير تقديم اعتذاره للسيد مقدم البرنامج عن إطالته بحديثه.

- **أىَّ اعتذارٍ سيِّدى ؟، وقد رويت لنا ما قرأته قبل أن يحدث ونراه الآن بأعيننا ونسمعه بآذاننا، وقد أتانا منذ قليل خبر لقاء قد أتمته الإعلاميَّة الأميريكيَّة الأشهر عالميا، والَّتى تعمل بأكثر القنوات الأميريكيَّة شهرةً مع السَّيِّد وزير الخارجية المصرى، والذى انتهى قبل قليل وسوف نعرضه على حضراتكم لمناقشته بعد الفاصل الإعلانى فهيا بنا.**

بعد انتهاء الفاصل مباشرة وبدون مقدماتٍ ولا ترحيباتٍ بالسَّادة الضِّيوف أو السَّادة المشاهدين عرضت الشاشة اللقاء بين السَّيِّدة الأعلامية الشهيرة والسَّيِّد وزير الخارجية من القاهرة والتى بدأ

بتقديم الإعلامية شكرها للسِّيِّد الوزير على إتاحة الفرصة لمحاورته ثُمَّ واجهته بوجهها الباسم الجميل وخاطبته قائلة:

- **لا أدرى سيدى الوزير من أين أبدأ الحوار معكم؟ وعما إن كان من الواجب اعتباره لقاءً احتفاليَّاً؟، أم لقاءً نسترجع فيه الماضى بآلامه وآحزانه منذ احتلال إسرائيل لأراضيكم وحتَّى اليوم، أم نعتبر موافقة اليهود على الانسحاب من فلسطين، بل ومن كافة الأراضى العربية المحتلة فرصة للانطلاق نحو مستقبلٍ عربىٍّ مشرق؟،**
- **لكِ ما تشاءين سيِّدتى فتفضلى على الرَّحب والسَّعة.**
- **شكرا جزيلا سيِّدى، ودعنا نبدأ بالحديث عن انطباعك، وانطباع المصريين أيضا عن الصَّفقة أوَّلًا، وعلى موافقة إسرائيل الغير مشروطة عليها ثانيًا.**
- **دعينى أولًا أُخبرك أنَّ مصر بشعبها كانت دائمًا وأبدًا دولةً مُحبةً للسَّلام، ولا تدخل حربًا إلَّا إذا كانت مُضطرَّة لذلك وفى حالات الدِّفاع عن الأرض، والعرض، والنفس، ورغم أنَّ أهلها مُسالمون إلَّا أنَّهم فى القتال وفى الدِّفاع عن وطنهم مُخلصون، ومصر كانت دائما تضع أمر حلَّ القضيَّة الفلسطينيَّة من أهم أولوياتها، بل إنَّ مصر قد ضحَّت بالكثير من المال والأنفس في سبيل استرداد الحقِّ الفلسطينى، بيد أن الأمور لم تكن فى الاتجاه الَّتى أرادته دائما، ولهذا عوامل وأسباب عديدة.**
- **نعم، نعم، أتفق مع سيادتكم فى هذا، وربَّما كان لطبيعة الشَّعب المصرى الجميلة الأثر الَّذى جعل كلَّ الشُّعوب مُحبَّةً لمصر وأهلها، وأعود لأسألكم عن انطباعاتكم كرجلٍ تحمل أهم الحقائب الوزاريَّة عن الصفقة وعن موافقة إسرائيل عليها.**
- **نحن أعلنَّا من حيث المبدأ فى اجتماعنا بالسَّيِّد وزير خارجيتكم عن موافقة بلادنا جميعها على الصَّفقة، غير أنَّه يجب أن نعترف بأنَّ الطرف الوحيد الَّذى يهم الجميع موافقته هو الطرف الفلسطينى.**



- هل نما إلى علمكم؟ أنَّه وبمجرد إعلان الوزير الأميريكى ببيانه بأنَّه لن يُسمح لحماس بالتَّوقيع على وثيقة الانسحاب، وأنَّ الشَّخص المُخوَّل بذلك هو السَّيِّد رئيس السُّلطة الفلسطينيَّة قد جعل النَّاس تخرج من كلٍّ حدب وصوب للتَّظاهر رافضة للشروط الأميريكيَّة.
- الحقيقة أنَّنى ومنذ قليل قد انتهيت من مؤتمر وزراء الخارجية، ثُمَّ حضور البيان الَّذى تتحدثين عنه، والَّذى لاحظت فيه عنف اللهجة الخطابيَّة، والتى ربَّما كانت على ما أعتقد بعيدة عن اللهجة الدِّبلوماسية، غير أنَّنى أيضًا أعلم أن وزيركم يعلن وجهة نظر حكومته وبالصورة الَّتى نصحته بها، أما عن المظاهرات والاحتجاجات بالأراضى الفلسطينية، فإنَّ هذا أمرٌ نتوقعه حتَّى وإن لم أسمع عنه بعد.
- أترى سيادة الوزير أن الأمور ربَّما تطورت إلى مواجهات قتاليَّة بين الكيانات الفلسطينية وأقصد هنا وبالتَّحديد، فتح، وحماس مثلما حدث بعد فوز حماس بالانتخابات منذ عشر سنوات تقريبًا.
- هذا واردٌ جدًّا، ورُبَّما نما لعلمك أنباء عن مساعٍ تقوم بها مصر منذ سنوات للتَّقريب بين وجهات النظر، وللتَّوحيد بينهما، وكنا قد اقتربنا كثيرا فى هذا الشآن، غير أن الصَّفقة المطروحة رُبَّما أضاعت جهودنا، خاصة بعد إعلان وزيركم عمن سيسمح له بالتَّوقيع على وثيقة الصَّفقة وعمَّن سيُستبعد من ذلك وبصورة قاطعة.
- أرى سيِّدى أنَّه لمن الصَّواب ألَّا أُثقل عليك بالاسئلة فى حين أن ردود الفعل العربيَّة والفلسطينيَّة على بيان وزيرنا لم تتَّضح بعد، ورُبَّما تحمل لنا الأيام القادمة مفاجآت بهذا الخصوص فاسمحلى بإستئذانكم فى إنهاء الحوار عند هذا الحد، وإلى أن تتضح الأمور وتنجلى، بشرط موافقتكم بالطبع على منحى فرصة للقاء آخر بعد أيامٍ لاستكمال حوارنا.

- شكرا جزيلا رغم تحفُّظى على شرطكم، لأننا أمة لا تفضل استعمال الشُّروط المُسبقة حتَّى فى المناسبات الوديَّة، والحميميَّة.
هنا عاد السَّيِّد مُقدِّم البرنامج للظُّهور سائلًا للسيد منير:
- ألا ترى سيدنا فيما سمعناه منذ قليل نفس السِّيناريو بقصتك الَّتى قصصتها علينا الآن؟.
- الحقيقة أستاذى أنَّ ما سمعته الآن لا يذكرنى بما جرى بالقصة التى قصصتها عليكم فقط، بل يذكرنى ببعض الأفلام الأخرى التى تحدثت عن أساليب تخريبية وحربية، بل وعن اكتشافات ومخترعات كانت تعد من الفانتازيا فى حينها ثم رأيناها تتحقق بعد عدة سنوات من نشر تلك الأفلام وبنفس الأسلوب والأدوات والتفاصيل، والحقيقة أن ما سمعناه قد جعلنى اتخوف كثيرا من تكرار ما حدث من معارك بين منظمة فتح وحركة حماس بعد فوز الأخيرة فى الانتخابات التَّشريعيَّة عام 2006، وحصدها لأغلب المقاعد ، وكان ذلك بدايةً لمواجهات قتالية بين الطرفين، حتَّى وصل الأمر لاستعمال كلِّ الوسائل القتالية من عمليات اختطاف، وقتل مُتبادل، وفرار العشرات من عناصرالأجهزة الأمنية، واختفاء مسؤولين أمنيين كبار بشكلٍ مُفاجئ، وأخيرًا تمكَّنت حماس من السَّيطرة على قطاع غزَّة، لتطوي بذلك آخر صفحات مشاهد الدَّمِّ، وإن بقي الصراع بين الطرفين قابعًا كاتما على أنفاس التَّحرر الوطني الفلسطيني، آخذا شكلًا آخر بدا محمومًا عما كانت عليه الأوضاع في السَّابق، وكنت كما كان العرب جميعًا أشعر بالحزن والألم لما أراه دائما من اقتتال على السُّلطة فى بلادنا، فكم من آلاف سقطوا قتلى وجرحى بين طرفين تقاتلا ليحكموا البلاد والعباد، وذات يوما قفزت أمام أعينى فكرةٌ عجيبةٌ من المستحيل إدراكها وكانت على شكل سؤال وهمى هو: ماذا سيفعل هؤلاء إذا انسحبت إسرائيل طواعية من أراضيهم؟ حيث إنَّها قد أتمَّت تنفيذ أهداف وجودها بيننا، بل وأكثر مما كانت تهدف إليه، أو إذا

تحقق حلم الشعوب العربية باتحاد العرب وإقامة جيش مشترك استطاع طرد إسرائيل بالقوة كما قال عبد الناصر يوما ما بعد هزيمة يونيو المريرة: " ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة " ... أما المُدهش فى الأمر فهو أن إسرائيل قد تمكنت من تحقيق كل ما أرادته بيسرٍ وسهولة بالغة، إذ اكتشف قوَّادها أنَّ إشعال نيران الفتنة بأُمَّتنا لا يحتاج أكثر من إطلاق شائعة كاذبة، أو بإيهام الناس أن الانتحار بقتل أنفسهم لقتل الأبرياء سوف يدخلهم الجنة وفيها سيتمتعون بحور العين، والحقيقة أننى لا أدرى لماذا اختصر هؤلاء للمتع والنعيم بجنة النعيم فى حور العين فقط بينما وصفها الله فى كتابه الكريم بأن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، بل إنه سبحانه وتعالى قد ذكر لنا بعض متعها تفصيليا، غير أن قوَّاد وأقصد هنا قادة إسرائيل ومن ورائهم قد علموا أن التلويح بهتاف دينى هو أسرع الوسائل لحشد آلاف المتطوعين للجهاد ظنًّا منهم أنهم سيجاهدون فى سبيل الله ويعلون كلمته ولا يدرون أن هذا ما صوِّر لهم، بينما هم فى الحقيقة يجاهدون فى سبيل الشيطان أو فى سبيل ساسة ورؤساء إخرين وإعلاء كلمتهم وإعانتهم على نشر الشر والفساد فى بلادنا، وأعود مرة أخرى لما سمعناه فى مؤتمر السيد وزير الخارجية الأميريكى وما أعلنه بحزم عن استبعاد حركة حماس من التوقيع على الصفقة لتزيد شكوكى فى أن الصفقة قد تم إعلانها بصورة أظهرتها لنا على أنها عمل أريد به وجه الله وفعل الخير، بينما أتشكك فى هذا الآن، وأوكد أنه أريد بها نشر الفساد فى البلاد، وهل تصدقنى أن لحظة الإعلان عن تلك الصفقة تذكرت على الفور القصة التى قصصتها عليكم، ولم أكن أتصور أبدًا أنها ستحدث فينا وستكون حقيقة ليس أمام أعينى فقط بل أمام أعين الناس جميعا، وهنا أقول كما قال أمير القبيلة لقداسة الكاهن: ليس أمامنا إلا الدُّعاء، والحقيقة أننى بت أخشى أن يصل القتال والعداوة بين الأخوة

المتحاربين من الفصيلين وبينما يقتل بعضهم بعضنا طمعا فى الحكم أن يرفع وعاظ كل طرف منهم أياديهم ليدعوا الله على الطرف الآخر بأن يشتت شملهم وأن يزلزل الأرض من تحت أقدامهم وأن ييتم أولادهم ويرمل نساءهم إلى أخر تلك الدعوات التى حفظناها جميعا من فرط ما ردَّدناها ضد أعدائنا، وسبحان الله.

- وهل تعلم سيدى أنَّه وبعد إعلان الوزير الأميريكى لبيانه، أنَّ كلَّ الفلسطينيين ألآن قد خرجوا فى تظاهُرات بكلٍّ من غزَّة والضَّفة يُناشدون كلًا من فتح وحماس بالتزام الهدوء وبتعلية المصالح الوطنيَّة على المصالح الخاصة.

- أتمنى أن يتوقف الأمر على هذا، وألا تتجدد عمليات الاقتتال مرة أخرى، لأن هذا هو ما تتوقعه وتتمناه إسرائيل، وأكاد أجزم أن هذا كان الدَّافع لها ولأميريكا لأطلاق تلك الصَّفقة.

هنا توجَّه السَّيِّد مُقدِّم البرنامج سائلًا السَّيِّد منير وقد بدا قلقا:

- وما هى الاحتمالات المتوقعة كما تراها سيدى؟.

- لا أخفى عليك سيِّدى، أنَّنى بمجرد سماعى لإعلان وزير الخارجيَّة الأميريكى بعدم اعترافهم بحماس باعتبارها مُصنَّفة كجماعة إرهابيَّة، وأنَّهم لن يسمحوا سوى لرئيس السُّلطة الفلسطينيَّة بالتَّوقيع على وثيقة الانسحاب، تذكَّرت ما فعله ذلك اليهودى مع شريكيه بالقصة إياها، وأقول لكَ وكلِّى أسف: أنَّه لو بدأت الصِّدامات بين القوى الفلسطينيَّة المُختلفة فستكون النتيجة كارثيَّة بكلِّ ما تحمله هذه الكلمة من معنىً، إذ إننى أتسائل الأن عن حاجة إسرائيل لتوقيع الفلسطينيين، وعن حاجتها لموافقتهم على وثيقة أو معاهدة صفقة القرن؟، وعن انسحابها من أراضيهم؟، ولماذا لا تعتبره انسحابا من طرف واحد كما يقولون بالمعارك الحربية؟ أو لماذا لا يعرضون صفقتهم على منظمة الأمم المتحدة لاتخاذ القرار المناسب حيالها، ولا

أظنُّ أنَّ هذا لم يفطن له الأميريكان ولا اليهود، ثُمَّ إنَّ هناك سؤالًا آخر وهو: من قال لك أن إسرائيل ستنسحب من أساسه سيِّدى؟.

- يا إلهى، أتعنى أننا ومنذ الإعلان عن صفقة القرن الثانية والأخيرة، ما كنا سوى مشاهدين لمسرحية تراجيديةٍ فى بعض فصولها، وكوميدية فى بعضها الآخر؟.

- أكاد أجيبك بنعم، ولو كان الكاتب الإيطالى العظيم دانتى الَّذى اشتُهر ببلادنا، بل وفى كل بلدان العالم بكتابه الرائع المُسمَّى "الكوميديا الإلهيَّة"، وأُكرِّر لو أنَّه عاد إلى الحياة، ويعيش بين ظهرانينا الآن لكتب كتاب أكثر روعة وأسماه "الكوميديا الصهيونية".

- ألا ترفقت بنا سيِّدى قليلًا؟، أكاد أراك شخصًا مُختلفًا اليوم عن ذى قبل.

- اليوم، واليوم فقط، أدركت أهميه البدء وبأسرع ما يمكننا ذلك فى سبيل تغيير مفاهيمنا، وأساليبنا، ووسائلنا، فى التَّعامل مع أنفسنا من جهة، ومع الآخر من جهة أخرى، وأن نوقف التَّقاتل بيننا فورًا، ومهما كانت الأسباب، ونلجأ للتَّحاور والتَّصارح بعيدًا عن المجاملات، والنِّفاق الَّذى غرقنا به، وفيه، فلو كنت بمكان الفلسطينيين لوافقت فورا على الصَّفقة لنكشف الوجه الحقيقى لليهود وحلفائهم فى العالم الغربى، وأن ننبذ التَّقاتل فيما بيننا عملا بما جاء بالقرآن الكريم وبالسُّنَّة النَّبويَّة المُطهَّرة الَّتى حذرتنا بشدة من اشتعال نيران الفتن، وحسبنا أن نتذكَّر دائمًا قول الله سبحانه وتعالى: " وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا".

- وإلى أين ترى الأمور مُتَّجهة بنا؟

- الحقيقة وبالقياس لما رأيناه سابقا أتوقع أن تتجه الأمور لمصادمات دامية ولرفض أحدى الكيانات الفلسطينية للصفقة، وستُقدِّم بذلك صفقة العُمر بلا أدنى شكٍّ للإسرائيليين، وأمام أعين العالم أجمع حيث يُجيد اليهود انتهاز واستغلال وتوظيف واستثمار مثل هذه الفُرص

بحرفيَّتهم الفطريَّة، فمن المُؤكَّد أنَّهم سيبدأون فى التَّرويج بأنَّهم أرادوا الانسحاب من جميع الأراضى الفلسطينيَّة والعربيَّة المُحتلَّة بلا قيدٍ أو شرط،غير أن العرب رفضوا لذلك وبالتَّالى يُصبح وجودهم بالمنطقة محمودا لهم، ثم إنه سينال شرعية دولية أكثر مما يناله الآن.

وانتهت حلقة البرنامج على أمل اللقاء يوم الخميس لمتابعة المستجدات، وكذلك متابعة الحوار الذى ستجريه السيدة الإعلامية الشهيرة مع السَّيِّد / وزير الخارجيَّة المصرى.

بائع المناديل

كانت الأوضاع تتأزم فى كلٍّ من الضَّفة الَّتى هى تحت سيطرة السُّلطة الفلسطينيَّة وتُمثِّلها فتح، وغزَّة وتُسيطر عليها حركة حماس، ففى كل يوم بل وكلِّ ساعة تزداد حدَّة القتال بين الطرفين فى كلِّ مكان يتواجدان فِيه حتَّى أصبح القتل يتم على الهوية حيث أقيمت الحواجز بكلِّ مكان وإنزال كلِّ من له لحية، وكلِّ من يحمل هوية الطَّرف الآخر ليُطلق عليهم الرَّصاص بغلٍّ وكراهية، وانتشرت الاتهامات بين الطرفين، فهذا يدَّعى أنَّ إسرائيل تمدُّ ذاك بالسِّلاح، وذاك يردُّ بأنَّ ما لدي الطَّرف الآخر من سلاحٍ كان قد منحته له قيادات الإخوان المسلمين أثناء حكمهم لمصر ولفترة وجيزة، فإنَّ ما لدى حماسٍ من سلاح كان كافياً لإبادة إسرائيل من الوجود إن كان فعلًا ينوى تحرير أرضه بمحاربة ومقاومة الاحتلال كما يدَّعى، وبين الأشاعات والأكاذيب تزداد نيران الفتنة اشتعالًا واضطرامًا، ولا زال القتال مُستعرًا ومُستمرًا وعشرات الجثث ملقاة على جانبى الطرق هنا وهناك.

فى هذه الحلقة بدا السَّيِّد مُقدِّم البرنامج مكتئبا حيث اختفت بسمته الَّتى عهدناها عليه، كما لو كان قد أتى لإدارة الحوار مُجبرًا أو مُكرهًا، وبعد أن قام بتقديم الترحيبات بدا باهتًا باردًا لضيفيه، بادئا بالمستشار أحمد السعيد، ومُنتهياً بالسَّيِّد مُنير، وعقب ذلك أعلن عن إذاعة اللقاء المرتقب بين الإعلامية الأميريكية الشَّهيرة، والسَّيِّد وزير الخارجية المصرى، ثُمَّ اختفى عن الشَّاشة الَّتى ظهرت عليها السَّيِّدة الأعلاميَّة الأميريكية الشهيرة سعيدةً مُغتبطةً لتقدِّم الشُّكر

للسَّيِّد الوزير لإتاحته فرصة ثانية لمحاورتها وباغتته بسؤالٍ بدا مؤلما إذ قالت كما لو كانت شامتةً:

- هلا أخبرتنا سيِّدى الوزير عن الصِّراع المُسلح الجارى بين الأشقاء بفلسطين؟، وعن جهودكم لاحتواء الأزمة وإنهائها، فلكم تحملت مصر بما تتمتع به من مكانةٍ لدى كافة المُنظمات الفلسطينية مسئولية التَّدخل دائمًا، إمَّا لتهدئة الأوضاع، أو للصُّلح بين الأطراف المتصارعة، وأحيانا لعقد الهدنات بين اليهود والفلسطينين، ونحن بأميريكا نثمِّن، ونقدِّر لمصر جهودها دائمًا.

- بعد التَّرحيب بكم مرةً أخرى بالقاهرة، وبعدما حدث ما توقعناه فى اللقاء السَّابق من احتمالية وجود تصادمات بين القوى المُختلفة وبصفةٍ رئيسيَّةٍ بين فتح وحماس، فيؤسفنى أن أُعلن أنه قد حدث ما تنبَّأنا به وحذَّرنا منه، غير أن التقاتل هذه المرة فاق فى قوته وشراسته ما حدث فى مايو عام 2007 والَّذى تعلمونه وتعلمون دواعيه جيِّدًا، وقد قامت مصر كما اعتادت بعمل اتصالات مكثفة بين قيادات كلا الطَّرفين، وقدَّمت العديد من الحلول والإطروحات فى هذا الصَّدد.

- ولماذا لم تتجه حضرتكم مباشرة كما جرت العادة إلى غزة حتَّى تكون المساعى على أرض الواقع.

- بالتأكيد نحن نستعمل الوسائل المناسبة فى الأوقات المناسبة، وقد تمَّ بالفعل توجيه دعوات لعدد من القيادات الفلسطينيَّة من كلا الطَّرفين لزيارة القاهرة لغرض التَّباحث حول إيجاد مخرجٍ يُفيد القضيَّة، وهناك جهود مكثفة لإتمام هذه الزِّيارة غدًا بمشيئة الله، ونسأل الله الهداية والتَّوفيق.

- وهل ترى أملًا أو تتوقع خيرًا سيِّدى الوزير نتيجة لجهودكم؟

- نحن نعمل بالمثل القائل: وعلي أن أسعى وليس علي إدراك النَّجاح.

- مثلٌ جميل رائع، وما أجمل أقوالكم وأمثالكم وأروعها سيِّدى، إذاً فسيادتكم لا تودُّ استباق الأحداث بالتَّكهن حول نتائج لا يعلمها إلَّا الله.
- نعم ومن الأفضل عدم استباق الأحداث.
- حسنا سيِّدى، وقد أردت إطلاعكم على استفتاءٍ تمَّ طرحه على كافة الفلسطينيين أينما كانوا، سواء من قرَّروا الهجرة والإقامة بأميركا وأوروبا، أو فلسطينى الداخل سواء من يطلق عليهم عرب **48** الَّذين يحملون جواز سفرٍ إسرائيلى، أو من يقيمون بالضَّفة وغزَّة، ومن يقيمون بالدول العربية، وسوف تُصدم سيادتكم لما أسفرت عنه نتائج الاستطلاع الَّذى كانت بنوده كالتَّالى:

1 – هل أنت على استعداد لتنازلك عن الجنسية المكتسبة ببلاد المهجر والعودة لفلسطين حال انسحاب إسرائيل منها؟.
2 – فى حال عودتك لبلادك هل تكون عودة دائمة أم ستكون فى صورة زيارات مُتقطعة؟.
3 – هل تتوقع حياة أكثر أمنا، وأمانا، ورفاهيَّة، وديموقراطيَّة، ببلادك أكثر مما تمتعت به ووجدته ببلاد المهجر؟.

ملحوظة: من حقِّ كلِّ مشاركٍ بالاستطلاع إيضاح مبررات تصويته سواء بنعمٍ، أم بلا، ونؤكد لكم أن الجهة القائمة على الاستطلاع تضمن لكمً السِّرية وعدم تسريب بياناتكم الشخصية أو أرائكم لأى جهةٍ أو مواقعٍ أخرى.

وبعد سرد تفاصيل الاستطلاع استأنفت الأعلامية لحوارها مع السَّيِّد الوزير قائلة:

- هل تصدق سيِّدى أنَّ الغالبيَّة العُظمى من المشاركين صوَّتوا "بلا" على البند الأوَّل من الاستطلاع، وكانت مبرراتهم تتركز فى تخوفاتهم من الصِّراع الدَّائر الآن، والَّذى رُبَّما استمرَّ لزمنٍ لا يعلمه إلا الله.
- وعن البند الثَّانى كانت "نعم" هى إجابة الغالبيِّة العظمى أيضا، فى حال احتفاظهم بجنسياتهم ببلاد المهجر وبأنَّهم غير مستعدين للتَّنازل

عن جنسياتهم المكتسبة ويُفضلون العودة بزيارات فقط. أما بالبند الأخير فكاد التَّصويت عليها "بلا" يصل إلى 100 %، فما تعليقكم؟.

- أعتقد أنَّنى أميل إلى تصديق النتائج بالقياس للأحداث الَّتى تَّتسم بالخطورة بالأراضى الفلسطينيَّة فى هذه اللحظة، وأعتقد أنه لو كان الأمر مُتغيَّرا لكانت النتائج أيضا متغيِّرة بالتَّبعية، كما أن التَّصويت على استطلاع كهذا يتطلب وقتاً وحساباتٍ أكثر بكثير من الوقت الَّذى قضاه من قامَ بصياغة، وإعداد، وكتابة الاستطلاع بالصورة التى عُرض بها.

- نعم سيِّدى هذا صحيح، وأتمنى أن يضع السَّادة والقادة الفلسطينيون القادمون للتَّفاوض بالقاهرة غدًا، خطورة نتائج هذا الاستطلاع، وان يكون له اعتبارٌ هامٌ ضمن اعتباراتهم، وندعوا لمصر ولكم ولهم بالتَّوفيق والسَّداد ولما فيه خير شعوبكم، وأكرر لسيادتكم شكرى لإتاحة الفرصة لحواركم وللمرة الثانية وبلا شروط مسبقة.

- أهلا بكِ وسهلًا فى القاهرة.

مرة أخرى يظهر السَّيِّد مُقدِّم البرنامج وقد بدا أكثر همًّا وحزنًا وتوجَّه للسَّيِّد مُنير سائلا:

- هل لديكَ ما تقوله سيِّدى تعليقا على ما سمعنا؟.

- نحن سيِّدى لدينا ما نقوله دائمًا، وما نُفتى به طالما كنَّا بعيدين عن النَّار ولهيبها، ونحن أيضا نُجيد الكلام والنُّصح الَّذى لا نعمل به فى أغلب الأحيان، أمَّا فى هذا الموضوع فالكلام يُفسر بعضه بعضا، وأعود لأكرر مرة اخرى أنه لا سبيل أمامنا سوى العمل وبأقصى ما يمكننا من سرعة على إعادة بناء وصياغة الإنسان العربى من الغفير إلى الأمير، علينا أن نُغير مناهجنا التَّعليميَّة والفكريَّة، علينا أن نضع فى الاعتبار أن عقولنا خلقها الله لنفكر ولنعمل بها، ولا يجب استئصالها كما يقنعنا البعض كاستئصالنا للزَّائدة الدُّودية واللوز بحجة أنَّ لا فائدة من وجودها ولا ضرر من استئصالها، وأنا هنا

أُؤكد لكم أنَّ الأطراف المُنخرطة بالصِّراع الدَّائر الآن بفلسطين لو سمعوا نتائج هذا الاستطلاع لآلاف المرات لما حرك بهم ساكنا ولا حتى لفت انتباههم بخطورته.

- وهل اقتنعت سيادتكم بما جاء بإجابات السَّيِّد وزير الخارجية المصرى؟.

- أكاد أقول نعم، وطبعا واضعًا فى اعتبارى أن اللغة الدِّبلوماسية لها قواعدها وقيودها ومحدَّداتها الَّتى لا يمكن الخروج عنها أو تجاوزها، أما فى حواراتنا، فنحن نتحدث بحريةٍ أكبر حيث لا تُكبِّلنا القيود الدِّبلوماسية والوظيفيَّة، كما أننا نتكلم كمواطنين يشعرون بمرارة ما يحدث لأمتنا، وبحزن على تراجعها بين الأُمم، ولذا فنحن نُعبِّر عن أرائنا بتلقائيَّة وبراءة قاصدين للصالح العام ولمنفعة أُمَّتنا طبقا لم وصانا به الله ورسوله، وسوف ترى من الباكر وتسمع من يتهم من شارك فى هذا الاستفتاء بالخيانة، وبأنَّه امبريالى صهيونى، ورُبَّما تسمع اتهام المشاركين به أيضا بالعمالة مع الموساد، وهم معذورون فى ذلك، لأنهم لم يدركوا بعد ما تعلَّمه المشاركين بالاستطلاع خلال وجودهم ببلاد المهجر ـ التى ننعتها بالبلاد الكافرة ـ من حُرَّيَّة الرَّأى والصدق والصراحة والدِّيمقراطية، وأنا أقول نيابة عن المشاركين بالاستطلاع وردًّا على من يتهمهم: هب أنَّهم جميعا عادوا لأرض الوطن بعد أن تنازلوا عن جنسياتهم المُكتسبة، وما أن عادوا حتَّى وجدوا الدِّماء فى كلِّ مكان، ورأوا القتلى من إخوانه من الجانبين راقدين جثثًا هامدةً على جوانب الطُّرق وأرصفتها، فهل تستنكر على هؤلاء اضطرارهم للفرار من البلاد باحثين عن الأمان باللجوء إلى دول الجوار للإقامة بمخيمات اللجئين كما فعل الملايين بسوريا حديثا وبالعراق من قبلها؟ وهل من الصواب أتهامهم بالخيانة والتآمر بسبب فرارهم حفاظا على حياتهم؟، يا صديقى أن لم يكن لدينا الوقت الكافى لقراءة التَّاريخ رغم ما فيه من تجارب لها قيمة بالغة رُبَّما

أفادتنا فى حال تكرارها، فلنقرأ حاضرنا، ليس هناك سيِّدى من عانى مثلما عانى الإنسان الفلسطينى الَّذى كابد ما لم يعانِهِ إنسانٌ فى عصرنا، بل أن القضيَّة الفلسطينيَّة هى وصمة عارٍ فى جبين الإنسانيَّة، هل تصور رجل أميريكى، أو حتَّى يهودى أنً يحتل رجل أتى عبر الزمان لداره بحجة أن أجداده كانوا يسكنون فيه منذ آلاف السنين ؟ إنَّ على العالم أجمع أن يتذكَّر دائمًا أنَّ هناك وطنًا واحدًا مُحتلًّا بعصرنا، هو فلسطين، وسواء كان الفلسطينى مُجبَّرا، أو قد أُجبر على التَّهجير هربا من جحيم الحروب الَّتى ذاقها عند احتلال وطنه، أو ما لاقاه من عذابٍ بعد تثبيت اليهود لأقدامهم بوطنه، فإننا لا يجب أن نعاقبه على ذنبٍ لم يرتكبه، بل كان هو ضحيَّته. لقد كنَّا نسمع منذ مولدنا من يقول: إنَّ الدِّول الاستعماريَّة قد وضعت إسرائيل بفلسطين لتكون شوكة فى ظهر العرب وهذا صحيح، بيد أن العرب لم يُدركوا مُؤخرا أن إسرائيل قد نزعت الشوكة من ظهورهم ووضعتها فى كروشهم، وتركت ظهور العرب لإخوانهم كى يطعنوها، ولأنَّها تعلم أنَّ العالم يتغيَّر، بل أكاد أجزم أن الغالبيَّة العظمى من التَّغيُّرات الَّتى تحدث فى عالمنا هى بفعل وتخطيط يهودى أميريكى، ولأنَّهما يتمتعان بذكاءٍ ودهاءٍ خارقين، فإنَّك تجد فى خطابهما ملاكًا يتحدث عن المبادئ والأخلاقيَّات، وحين تنظر لأفعالهم لا تجد إلَّا شيطانًا قاتلًا مُدمِّرًا إمَّا بيده، أو باستعمال أيادى الآخرين، ألم تسمع الرَّئيس الأميريكى فى حملته الانتخابية يتَّهم سلفه بإنشاء التَّنظيم المُسمَّى بداعش، والَّذى قام باحتلال معظم الأراضى السورية والعراقية فى لمح البصر، ألم تذكر حين استيقظ العرب يومًا من سباتهم ليسمعوا فى نشرات الأخبار أنَّ تنظيم الدَّولة الإسلاميَّة، المسمى اختصارا "داعش" قد احتل نصف العراق وثلثى سوريا بدعمٍ لوجستي وحربى من أميريكا وإسرائيل، ثُمَّ نعلم أن من يقوم بتمويلٍ هذه العملَيات هى دولٌ عربية، ومن يسهل مرور داعش عبر أراضيها للوصول

للأراضى السُّوريَّة والعراقيَّة هى دولةٌ مسلمةٌ تسعى لإقامة الخلافة الأسلاميَّة، وهذا أمرٌ محزنٌ، بل ومخزٍ أيضا، ألم يفكر قادة داعشٍ وأعضاؤها لماذا قامت أميريكا بإنشاء تنظيمهم؟، ولماذا أمرت دولةً عربيَّةً مسلمة بتمويليهم؟!، ودولة اخرى بتسهيل عملية مرورهم عبر أراضيها؟!، وهل أقنعتهم أميريكا بحرصها على إعادة مجد الأُمَّة الإسلاميَّة؟!، وأنَّها تُعاون المسلمين لإعادة إنشاء دولة الخلافة؟!، لعل أسئلتى تبدو استنكارية فى مضمونها ولعلها بدت تعجبية، إلا أن ما أنا واثق به هو أن أميريكا لا وعدتهم بدولة إسلامية ولا بخلافة، بل فقط وعدتهم بالعرش وأنَّ مُلكهم سوف يمتد برعايتها ومباركتها، ومن هنا أدركت أنا أنَّ الشَّوكة الإسرائيليَّة قد انتقلت يومها من الظُّهور إلى الكروش، فقد تولت الجماعات والتَّنظيمات الإسلاميَّة طعن إخوانهم من الخلف ولم يكن الطعن بشوكة بل كان بخنجر مغموس بسُمِّ الحقد والكراهية وحُبِّ الدَّم، وأيضا انتشرت داعش وتوغلت فى سيناء بمصر متأملة إنشاء ولاية إسلامية بها، كما انتشرت كالطاعون والسَّرطان والعياذ بالله فى ليبيا، ومن الطَّبيعى أن ينتشر القتل بتلك البلاد إمَّا للمُعتَدِى أو للمُعتَدَى عليه، فانهارت البُنى التَّحتيَّة والفوقيَّة لتلك الدول، وانهارت اقتصادياتها، وانتاب الرُعب أهلها، وجاعت شعوبها، وهنا اطمئنت إسرائيل وأميريكا إلا أن الشوكة قد استقرت بالموضع المُراد له بكروشهم، ولآن اليهود يظنُّون أنهم يتمتعون بدهاءٍ وذكاءٍ خارقين، ويُجيدون اللعب بالأوراق، فقد مكَّنها انتقال شوكتها للمكان الصحيح من إراحتها من جيرانها لمدة مئة عام قادمةٍ بل ورُبَّما أكثر من هذا، فهل يستطيع أحدٌ تقدير الوقت الَّذى تَنتهى فيه حروب الجماعات بسوريا، والعراق؟ وبعد انتهاء الحروب هل يتمكن من تقدير الوقت الذى تحتاجه البلدان لإعادة بناء ما دمَّرته الحروب الطَّائفية بها؟، وهل سأل أحدكم نفسه عن تكلفة إعادة البناء وضخامتها؟، فى الوقت الَّذى ضاعت فيه

الثروات العربية الضخمة فى شراء رضا أميريكا وإسرائيل، أو نظير حماية العرب المسلمين من دولٍ إسلامية أخرى تنتهج نفس أساليب الفتونة والبلطجة الأميريكيَّة، كما استُنزفت ثروات العرب أيضا فى شراء أسلحةٍ تدعم بها الجماعات كى تتخلص من حاكم لا يُحبُّونه، أو شراء أسلحةٍ تقاوم بها وتحارب دولة إسلامية كبرى تُهدِّد دائمًا باحتلالها.

الوضع صديقى واضحٌ للعيان وللعميان أيضًا، فهناك دولتان تسعيان لاستعادة إمبراطورياتهما ونفوذهما بالمنطقة، أولاهما الخلافة العثمانية، أمَّا الأخرى فهى الأمبراطوريَّة الفارسيَّة، وأكاد أشتم من التَّقارب والتَّعاون بينهما، أن هناك أتفاقية أُعدَّت فى الخفاء يتم تقسيم الأمة العربية والإسلامية بينهما مهتديتان فى ذلك باتفاقية سايكس بيكو اللعينة. إننى ومن خلال برنامجكم سيِّدى اصرخ واستصرخ العرب جميعا والمسلمين حتَّى يفيقوا من سُباتهم ويتَّحِدوا، كما استصرخ وأتوسل إلى كل من السُّلطات الحاكمة والمُتحكِّمة فى فلسطين بوقف العنف والاقتتال فورًا، والاستجابة للجهود المصريَّة إزاء عملية المُصالحة، وليعلما أن أىَّ متعاركين على كرسى الحكم، دائما ما يطول القتال بينهما حتَّى تُنهك قواهما، فيأتى رجلٌ ثالثٌ كان يترقب ضعفهما ووهنهما ليجلس بكلِّ أريحيَّة وبلا جهدٍ على ذلك الكرسى اللعين الذى ولطالما إختلفت أمتنا وتفرقت فى سبيل الفوز به. وأنصح كلَّ من له عقلٌ بأُمَّتنا لينظر صوب سوريا ويحصى إن استطاع لذلك سبيلا، كم دولة الآن تحتل الأراضى السُّورية بحجة دعم السُّلطة الشَّرعيَّة؟ وكم دولة أخرى بها للتخلص من الرئيس الشرعى؟، وكم دولة هناك بحجة غاية فى السُّخف ألَّا وهى مراقبة ومعاقبة الجيش السُّورى حال استعماله أسلحةٍ كيماوية ضد الجماعات المسلحة أو من يُسمُّونها المعارضة، والَّتى بدأت تعارض وتعادى بعضها بعضا نظرا لتعدُّد جماعاتها وانتماء كلٍّ منها لدولة

مختلفة، وبذلك أصبحت الأمور معقدة ومتشابكة وملتبسة بصورة يستحيل معها إيجاد حلٍّ يُقنع كل طرف من هذه الأطراف بالنَّصيب الَّذى سيناله عند توزيع التُّورتة، وعند التوزيع فقط سيدرك الجميع أنهم كانوا مجرد أدوات تُستعمل لتحقيق أهداف الكبار الذين خططوا لهذه الكارثة ليفوزا دون جهد ولا دماء بالنَّصيب الأعظم من التُّورتة، ولتنظر صوب العراق الَّتى كانت من أغنى وأقوى دول المنطقة لتراها بدت عجوزًا تتوكأ على عصىً ضعيفةٍ لتسير خطوةً ثُمَّ تقف لتلهث ريثما تستريح قليلًا، وقد سيطرت إيران على مُقدراتها بعد أن دمَّرتها، وأضعفتها، وأنهكتها، وقسَّمتها أميريكا التى أعلنت عند احتلالها للعراق بأنها ستجعلها واحة للديمقراطية تكون نبراسا لباقى دول المنطقة للحذو حذوها، ولنولى أنظارنا الآن شطر ليبيا الَّتى تبدو كثور ثمينٍ أجهز عليه أسدٌ، وأكل منه حتَّى شبع ثُمَّ تركه لقطعانٍ من الكلاَب وجَّهتها أصحابها نحو بقايا الثَّور لينالوا نصيبهم بدورهم، وبعد عودتنا من جولتنا دعونا نجلس لنتكهن كم من السِّنين تحتاجها بُلدان أُمَّتنا المصابة بأسلحة أعدائها وبأيادى أبنائها بهدفٍ مُعلنٍ هو إقامة الخلافة الإسلامية، وهدف مخفىٍّ بصدور وعقول مُخططى تدمير أُمَّتنا والكتابة على أبوابها عبارة"مغلقة للتَّحسينات".

هنا، وباقتضابٍ وحزنٍ شديدين توجَّه مُقدِّم البرنامج بالشُّكر للسَّيِّد مُنير داعيا الله أن يُلهمنا ويلهم الفلسطينيين مراشد الأمور ثُمَّ ألقى بنظره صوب سيادة المستشار الغير سعيد قائلا:

- والآن جاء دورك سيادة المستشار وأنت مهمومٌ بقضايا أمتنا وسلوكياتها لتحدثنا عما جرى منذ بزوغ نجم الجماعات والتنظيمات التى أختارت أسماءها ووضعتها فى صيغةٍ تُشير لانتمائها للإسلام، فهل تراها قد حققت للإسلام ما كانت تدَّعيه؟ أم أنَّها فقط كانت وسيلة

ذكية منها لاجتذاب أعدادٍ غفيرةٍ من المؤيدين والدَّاعمين الَّذين مكَّنوهم وعاونهم فى الوصول والجلوس على عروش الحكم ببلادنا.

- بداية سيِّدى، اسمحلى أن أبدأ حديثى باقتباس واستعمال مصطلحك الدقيق الذى استعملته فى أن الجماعات المسماه بالدينة كانت دائما وسيلة حقق بها الآخرون أهدافهم.
- نعم سيدى، فلترينا كيف ترى الأمر؟.
- القصة ببساطة صديقى هى أنك عندما تنشأ شركة أو مؤسسة لتمارس نشاطا تجارياً أو أىٍّ من الأنشطة الأخرى، فلابد أنك قد أنشأتها لتحقيق هدفٍ أو طموح تسعى إليه.
- هذا صحيح بلا ريب ولا شك، ولكن ما علاقة شركتى التى أريد إنشائها بما سألتك عنه؟.
- العلاقة وثيقة الصلة سيدى، وأرجو أن تتحلى معى بالصبر لأشرح لك الفيلم من بدايته.
- أرجوك سيدى فأنت تعلم أن وقت برنامجنا محدَّدٌ لذا أرجو الإيجاز قدر الإمكان مع تحفظى على تسميتك الموضوع أنه فيلم.
- بل أعود وأؤكد أنه فيلمٌ سيدى قد تم إعداد سيناريو دقيق الحبكة له منذ عشرات السنين بينما كنا نغط فى نوم عميق فلم نتمكن من قراءة المشاهد المتتالية التى كنا نراها منه جيدا ومن استطاع منا قراءتها اتهمناه بالغباء والجهل والجنون، وقلنا من ذا الذى يستطيع علم الغيب؟، والغيب كله بيد الله، وإذا حاول الرجل إفهامنا أن التنبأ بالمستقبل ليس غيبا، وأن هناك من يستطع بحسابات منطقية وبديهية معرفة ما سيقع فى الأيام المقبلة، وهناك من يستطيع توقع ما سيحدث خلال شهور وخلال سنوات وهكذا، فحياتنا سيدى بل وكوننا بأكمله يدور طبقا لحسابات وقوانين دقيقة للغاية، وخلاصة قولى أن كل شيء بحياتنا وتصرفاتنا يخضع لعلم رياضى حسابى وعلينا أن ندرك ذلك جيدا.

- حسنا. وما علاقة هذا بشركتى التى أزمع إنشاءها إذًا.
- من هنا نعود لموضوعنا فأقول أن شركتك تبدأ بفكرة تدور برأسك تمكنك من تحقيق هدفا حياتيا تحلم به، وحين تنشأ شركتك بالفعل تبحث عن من توظفه ليكون وسيلتك لتحقيق أهدافك، وهذا ما فعله الغرب منذ عشرات السنين، غير أنه كان الأذكى دائما فقد أوهمنا بترك مسألة توظيف الخبراء القادرين على تحقيق أهدافنا كما نظن نحن بينما هو كان يحقق أهدافا له رسمها منذ زمن بعيد، ومذ كان مستعمرا لبلادنا حيث اختار موظفيه ومؤسساته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية بل وكل ما يتعلق بإدارة الدول وكان هذا استعمارا فكريا وكان أجدى وأقل كلفة بكثير من احتلال الأرضى، الذى يحتاج تحريك أساطيل ومعدات وجنود ومؤن وخلافه، وفكرة تكوين الجماعات الدينية المتعددة كانت أحدى دعامات النظرية الغربية التى تعى مدى تمسك الشرق أوسطيين العرب بالدين وبأنهم مستعدون للتضحية بأرواحهم فى سبيل إعلاء كلمة الله، ولست محتاجًا هنا سوى أن تُطلق شعارًا أو مقولة دينية لتجد حولك وخلال دقائق معدودة آلاف الأتباع والمريدين المستعدين للسير خلفك، ويبدو أن يأس الناس ببلادنا جعلهم يزهدون الدنيا بثرائها الذى لم ينالوا منه شيئا، وجمالها الذى لم يتمكنوا من التمتع به جعلهم موقنين أن ليس أمامهم أمل إلا بالعمل للآخرة عسى أن ينالوا بها نعيمًا مقيمًا وخالدًا، والنَّاس هنا معذورون، وأعود لأجيب على سؤالك عما جررى بأوطاننا بعد بزوغ نجم الجماعات الدينية؟، وعما إذا ما استطاعات تحقيق ما كانت تدَّعيه؟، أم إنهم كانوا مجرد أداة استعملها الأخرون لتحقيق أهدافهم ومآربهم؟، فأقول آسفا أن الضرر الذى لحق بالدين الإسلامى بعصرنا كان أسوأ الأضرار التى لحقت به منذ هبوط الوحى على رسولنا الكريم - عليه صلوات الله وسلامه - وحتى تاريخه وكأن ما حدث قد أعاد إشعال الرماد الذى خلفته الفتنة الكبرى

التى حدثت بين سيدنا على ومعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما وعنا، وأذكرك هنا أن تلك الفتنة كانت قد وقعت أيضا بسبب النزاع على الحكم كما هو الآن، وستجد أيضا أن أهم الوسائل التى استخدمت فيها هى نفس الوسائل التى تستعملها جماعاتنا الآن، فمعاوية استعمل قميص سيدنا عثمان الذى كان ملونا بدمائه كمبررٍ لتأجيل مبايعتة للأمام على حتى يقتص من قتلة عثمان، ولجذبٍ وحشد أتباع له كان يحمل القميص على المنبر عند كل صلاة مطالبًا المسلمين للالتفاف حوله ومعاونته ودعمه لأخذ الثأر لعثمان، ونحن الآن نضع الناس فى وضعٍ يُقتلون فيه لنطالب بعد ذلك بالثأر لدم الشهيد، نفس المنهج ونفسً الأسلوب لتحقيق نفس الغاية، وما دمنا نتحدث عن القميص الملطخ بدماء عثمان قديما ودماء الشهداء حديثا والذى نستعمله دائما لإشعال الفتن فأنا أبتهل إلى الله أن يرسل لنا من يلقى قميص يوسف على أعيننا، حتَّى نُبصر ونعى ونفهم ما يحاك لنا مستغلين شعارات براقة وأساليب معروفة للسَّيطرة على قلوب وعقول الناس أوحى لنا بها من أرادوا توظيفنا لتحقيق أهدافهم ومآربهم وأوهمونا أنهم يساعدوننا لتطبيق الشريعة الإسلامية التى هم من يهاجمونها بضراوة عبر قنوات ومؤسسات أخرى، نعم سيدى لقد أضير الدين ضررا بليغا أظن أن إصلاحة سيكون أكثر صعوبة من إصلاح وترميم كأس من الزجاج سقط من أعلى ناطحة سحاب فتناثر وتقسم إلى ذرات زجاجية تبعثرت على مساحة شاسعة من الأراضى.

- لا أظنُّ سيِّدى أن لدى ما أخالفك فيه على الإطلاق رغم أن كل ما قلته قد أتى على بما لا تشتهى السفن، وحيث إننى موقن تمام اليقين بأن ما نتحدث فيه هو الأمر الذى نستطيع من خلاله إنقاذ أمتنا، فهلا حدثتنا سيدى بصورة يستطيع الناس ممن يشاهدوننا ويسمعوننا إعادة ترتيب مفاهيمهم وأحكامهم على ما يرون وما يسمعون من مختلف الطوائف المتصارعة ببلادنا؟.

- دعنا صديقى نتحدث بصورة صريحة ومباشرة ونسمى الأمور بمُسمياتها المحدَّدة حيث أرى أن سيادتكم تشير إلى إخواننا الَّذين أطلقوا على تنظيمهم مُسمى الجهاديين، وتنظيم الدولة الإسلامية، وجند الشام، والقاعدة، والإخوان المسلمين والسلفيين إلى أخر تلك الجماعات والمسميات، وهنا أتساءل بينى وبين نفسى حول مسمى الإخوان المسلمين باعتبارهم أكثر الجماعات تنظيما وهيكلة وتغلغلا بمجتمعاتنا وليس هذا فحسب بل إنهم قد تغلغلوا بالمجتمعات الأوروبية والأميريكية بصورة لا يمكننا تصورها حتى إنهم أصبحوا مؤثرين بصورة عظيمة فى مؤسسات صانعى القرارات بتلك البلدان العظمى، وأعود لتسميتهم بالإخوان المسلمين لأتساءل: هل كان قصدهم من وراء تلك المُسمَّى أن من سواهم ليسوا بمسلمين؟، وعلى أية حال فعند تمكنهم من الجلوس على عروش البلاد، ويجدر هنا أن أشير أنهم قد تمكنوا بالفعل من الوصول لحلمهم باستعمال كافة الوسائل المشروعة منها والغير مشروعة، حتَّى أن أحد الدَّاعمين لهم من الجماعات الأخرى هدَّد بإحالة البلاد إلى بحورٍ من الدِّماء فى حالة عدم فوزهم، وسمعنا تهديدًا مماثلا من كبيرهم بالتَّنظيم، فوضعوا البلاد بين أمرين أحلاهما مُر، فإمَّا أن تعمل على إنجاحهم وتمكينهم، أو رُبَّما سال دمك فى تلك البحور فى الحالة الأخرى، ومن هنا أطلق عليهم معارضوهم مقولة " يا نحكمكم يا نقتلكم "، وعندما أعلن فوزهم فعليَّاً، قابلنى أحد الإخوان مُعاتبًا على عدم تهنئته بفوزهم، فأجبته أن من يسعى لوجه الله لا يهتم بتهنئةٍ على أمرٍ دنيوىّ، وأخبرته أن ليت الأخوان اكتفوا بأنشطتهم الاجتماعية والدَّعَويَّة فقط، فقد كان ذلك أكثر نفعًا لهم وللإسلام والدَّعوة، فى حين أن تصدِّيهم للحكم سيلحق أبلغ الضرر بهم، وبالإسلام، وبالمسلمين، والعجيب الَّذى آلمنى حقًّا أن أقرأ فى الصُّحف وأسمع عبر الفضائيات أنَّ

الإخوة الإخوان قد أطلقوا مُبادرة من محبسهم الان أن يُفرج عنهم مقابل تفرُّغهم للدَّعوة والأنشطة الاجتماعية فقط.

- ولماذا توقعت أن حكمهم سيلحق ضررا بالغا بالإسلام والمسلمين؟
- هناك أسباب هم من يتحملون مسئوليتها، وأسباب فُرضت عليهم فرضًا ولم يتمكنوا من مجابهتها أو تحاشيها.
- مثل ماذا؟
- سأبدأ أوَّلًا بالأسباب الَّتى فُرضت عليهم وأقول: إنَّ الليبراليين والعلمانيين، وأيضا اللادينيين والملحدين، بل والإصلاحيين بأوطاننا لم يكونوا ليسمحوا بإقامة حكم دينى ببلادنا حيث رأوا بأعينهم آثارًا سلبيةً مُدمِّرة فى البلدان الَّتى سيطروا عليها ونرى آثارها بأعيننا، وكانوا دائًما يعطون أمثلةً على هذا بأفغانستان والصُّومال وأحيانا السُّودان الذى انقسم بالفعل إلى شمال وجنوب، وهناك اتجاه لانفصالات أخرى تلوح فى الأفق، ويردُّ عليهم الإخوان بأن التَّجربة التُّركية تُعدُّ نوذجًا إسلاميًّاً ناجحًا بل ومبهرًا إذ احتلت لمرتبة جيدة ومتقدِّمةٍ بين الدُّول المتقدِّمة اقتصاديًّاً، فيردُّون عليهم بأنَّ تركيا وطبقا لدستورها دولةٌ مدنيةٌ علمانيَّة تدين بالإسلام، وقد صارت السِّجالات والحوارات على هذا النَّحو حتَّى أتى الرَّئيس التُّركى الحالم بإعادة الخلافة العثمانيَّة ليُعلن من القاهرة أنَّ تركيا دولةٌ مُسلمةٌ علمانيَّةٌ فأحبط الإخوان الَّذين لطالما حاولوا الالتفاف حول هذه المعضلة، وكأن أردوغان بقوله هذا قد أفسد جانبا كبيرا من مزاعمهم التى يطلقونها حول إنشاء حكم إسلامى يطبقون الشرع فيه على الحاكم والمحكوم، وقد اعتبروا أن الرئيس التُّركى الَّذى هو أكثر وأقوى الداعمين لهم قد وقع بخطأٍ جسيم للغاية حين اعترف وأعلن لعقيدته العلمانية على الملء، وكأنى أسمع الإخوان حينها يقولون له نشنت يا فالح، ولأن الليبراليين والعلمانيين بأوطاننا أكثر دهاءً وذكاءً وثقافةً فقد اغتنموا الفرصة جيدا بترديد علمانية تركيا بمناسبة

وبدون مناسبة، بل إنَّ منهم من سألهم: أن كيف تختارون خليفتنا وخليفتكم من بلدٍ يعيش على مدخول السِّياحة والدَّعارة، وأن بين كلِّ خمَّارةٍ وأخرى فى بلاده توجد عشرون خمَّارة، ومعلوم أنَّ السِّياحة ببلادنا تُعدُّ من أضخم المحرَّمات الَّتى حرَّمها الأخوان على لسان مرشدهم الَّذى هدَّد بحرمان المدن السِّياحية بمصر من نشاطها بسبب الفسق والفجور الَّتى تنشره بخمرها ومايوهاتها الفاضحة، أما الهمُّ الأكبر الَّذى لم يكُن السَّبب الوحيد، لكنَّه وفى اعتقادى من الأسباب الرَّئيسة لإبعاد الإخوان السريع عن الحكم فكانت سيول الفتاوى الغريبة والعجيبة الَّتى بدأ بعضٌ من السَّلفين بل وبعضٌ من الإخوان يُطلقونها فى كلِّ زمانٍ ومكانٍ، وبمناسبة وبدون مناسبة، وكأن هدفهم كان كما يود مَن يقولَ للناس نحن هنا فاحذرونا حُكَّاما ومحكومين، وقد أفسحت لهم الفضائيات الليبرالية والعلمانية المجال ليُعلنوا عن فتاويهم، فمنهم من أعلن عن بدء تطبيق الحدود وبالفعل بدأ أحدهم بقطع أذن رجلٍ اتهمه - على قدر ما تسعفنى ذاكرتى - بمغازلة ومعاكسة بنت الجيران - فى الوقت الَّذى لم يسمع أو يعرف مسلما قط أن هناك حدا يقضى بقطع آذان النَّاس إن اقترفوا فعلا كهذا، وهناك أيضًا من قام بجلد أحد المتهمين مئة جلدة، وهناك من أفتى بهدم أبى الهول، بل قيل حينها وهدم الهرم أيضًا، وهناك من أدَّعى إنشاء جماعة الأمر بالمعروف والنَّهى عن المُنكر، وقد أعلن عن قيامها بعدة أنشطة بالفعل. وهذا يرينا أنَّ كلَّ ذلك كان مُباحًا لكلِّ من هبَّ ودبَّ كما يقولون بإصدار فتوى تُثير النَّاس، وأرى أنَّه وبفضل تلك الفتاوى انقلب العديدون على الإخوان المسلمين، بل وهناك من انقلب على الدِّين نفسه. إذ بدأنا نرى المُلحدين واللادينيِّن يُعلن بعضهم عن كفره بالأديان، وأخرون يعلنون كفرهم بالله عبر الفضائيات هم الآخرون بعد أن كشفوا عن وجوههم، وبدأت أعدادهم فى الازدياد بصورة مُخيفة تجعلنا نتوقف أمامها لنُراجع ونحاسب

أنفسنا جيَّدًا، ومن هنا اقتنص أعداء التَّنظيمات الدِّينية الفرصة لأطلاق مُسمىً عليهم وجد رواجا كبيرا بين النَّاس حيث أطلق عليهم لقب " تُجَّار الدِّين "، وقد استغلوا وأشاروا إلى العديد من الأمثلة الَّتى تُثبت فساد قيادات وأعضاء تلك الجماعات، ومن هنا باتت الغالبية العُظمى من الشّعوب نادمة على اختيارهم، بل وداعمة لإزاحتهم وإيقاعهم من على العرش الَّذى تمكنوا من احتلاله بكافة الوسائل.

- يبدو أنَّكَ سيِّدى سهوت ذكر الأسباب المُتعلقة بالأخوان أنفسهم وتسببت فى إسقاطهم.
- هذا سيِّدى ما فضَّلت تركه لأخر حديثى، فقد بدا لى أن الإخوان حينما اعتلوا العرش قد أُصيبوا بالسُّعار واعتقدوا أنهم قد أوتوا خيرا ونعمة لا يجب التفريط أو الإبطاء فى اغتنام غنائمها، ففعلوا مثلما فعل رُماة المسلمين الَّذين كانوا يحتلون قمة الجبل بمعركة أُحُد وعندما لاحت لهم بشائر النَّصر وشاهدوا المسلمين يجمعون الغنائم، هبطوا عدواً تاركين موقعهم الحصين ليشاركوا الآخرين فى جمع الغنائم مُخالفين أمر الرَّسول الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعدم ترك أماكنهم إلا إذا أمرهم بذلك، وما كان للمشركين أن يُفوِّتوا الفرصة فهرعوا ليحلُّوا محلَّ المسلمين فى احتلال قمة الجبل، ولذلك انهزم المسلمون بمعركة أُحد، وكذلك فعل الإخوان إذ بدأنا فى كلِّ صباح نسمع تصريحًا يحمل اتهاماتٍ لأحدى المُؤسسات السِّياديَّة بالدَّولة إمَّا بالتَّقصير أو بالفساد، ثُمَّ يلى ذلك التَّصريح تغييرات قياديَّة بها، ويبدو أنها عقيدةٌ لدى الإخوان إذا ما أرادو ببسط سيطرتهم على القوى الحاكمة فى أى دولة يسيطرون عليها وتلك القوى هى، الشُّرطة؟ والقضاء، ثُمَّ الجيش، ولما كانوا قد وصلوا للحكم بعد انهيار الشُّرطة عند قيام ثورات الرَّبيع العربى كما أطلقوا عليها، فقد بدا الأمر هيِّنا أمامهم بالسَّيطرة على الشرطة حتَّى إنهم قد أعلنوا الاستغناء عن بعض

إداراتها كإدارة الحراسات، والدفاع المدنى وغيرها بشركات خاصة، وهنا أتت الفرصة لليبرالين والعلمانيين لينبهوا الشَّعب أن تلك الشَّركات ستكون ملكًا لقيادة كبيرة من قيادات الإخوان، والَّتى قيل فى حينها أنها الشَّخصية الَّتى تحكم مصر فعليَّاً وما الجالس على العرش إلا صورة لها، ثُمَّ وفى نفس الأيام يبدأ الهجوم على القضاة والقضاء، وقد لاقى الإخوان مقاومة عنيفة وجسورة وشرسة من السَّادة القضاة، أما الَّذى يدعو للدَّهشة والاستغراب هو التَّصريح الذى خرج به أحد الأعضاء البارزين فى التَّنظيم والَّذى لم يكن الشعب يُعطى له مكانةً عليا ومرموقة بالتَّنظيم وقد خرج هذا العضو ليُكيل الإهانات والاتهامات للجيش المصرى، وكأن هذا الرجل هو ومن أوحى له بإطلاق ذلك التصريح لا يعى مدى الحُبِّ الَّذى يكنَّه الشَّعب المصرى لجيشه، ولا مدى الحُبِّ الَّذى يجعل الجندى يُضحى بحياته من أجل حماية مصر وشعبها ضد أىِّ اعتداء، وهنا بدأت الاحتجاجات الشعبية، وتسارعت النِّداءات وعلت بإقصاء الإخوان عن الحكم، وقد أذهل الشَّعب المصرى العالم حين خرج فى ثورةٍ سلميةٍ كاسحةٍ قيل أن أعداد المشاركين بها كانت قد تعدت الثَّلاثين مليونا من البشر، والجميل فى الأمر أنها بدأت وانتهت ولم يُخدش أصبع أى من المشاركين فيها أوالذين حملوا لافتاتٍ مكتوب عليها، يسقط حكم المرشد، 30 / 6 ثورة ضد أعداء الوطن، والعديد من الشباب يلوحون بالكارت الأحمر، ورجُلٌ يمسك برجُلٍ أحدهما يحمل القرآن والآخر يحمل الصليب، ورجل آخر يحمل لافتة مكتوب عليها، إرحلوا، الشَّعب يريد إسقاط الإخوان، كما حمل المتظاهرون لافتة ضخمة عليها صور المُرشد وصور القيادات البارزة والمعروفة بالتَّنظيم وعلى صورة كل منهم وضعت علامة أكس، هذا بالإضافة لنِّداءاتٍ عديدةٍ أخرى، أهمها نداءات للجيش للتَّدخل لحماية مصر، ولأنى أريد كتابة رؤوس المواضيع أعود وأجيب سؤالك بنعم، فإن ما حدث فى

تلك الفترة، والفترة الَّتى تلتها قد أضرَّ بالإسلام والمسلمين أبلغ الضرر.

- إذاً هل تُطلعنا على بعض مظاهر الضرر التى تحدثت عنها؟
- عند سقوط حكم الإخوان وبعد احتلالهم لميدانى رابعة والنهضة كان لدى إحساسٌ أكيدٌ أنَّ ذلك لم يكن سبيلا موفقا لإحياء حلم العودة للحكم، كما أنَّ إعلانهم بوقف الهجمات الإرهابية بسيناء فور عودة الرئيس الشرعى للحكم، والتى كانت حماس ضالعة فيها إما بالمشاركة المباشرة باعتبارها تنظيمًا عسكريا تابعا للتَّنظيم الأُمَّ بمصر، أو بتيسير مرور باقى الجنسيات عبر الأنفاق الَّتى حفروها بهمةٍ وبأعداد هائلة تحت أراضى سيناء أثناء حكم الإخوان تمهيدا لاستعمالها لتمرير ما نسميهم إرهابيين وهم يسمونهم جهاديين، أعود لأقول: إن إعلانهم هذا لم يكن له أيةُّ فائدةٍ سوى أنَّه اعتبر أمام الشَّعب والمراقبين أنَّه اعترافٌ ضمنىٌ بانخراط الإخوان فى العمليات الإرهابية بسيناء وبشكل مباشر، بل إن الجماعة هى من تقوده وتُموِّله أيضا، وكنت أرى أن وجودهم برابعة والنهضة كان الهدف منه سقوط ضحايا فقط لاستعمال دمائهم حجة، كالحجة الَّتى استعملها معاوية بعرض قميص سيدنا عثمان الملون بدمائه منادياً بالثأر من القتلة ـ كما وضحت سابقا ـ، وما كان هدفه فى ذلك سوى اعتلاء عرش الخلافة الإسلاميَّة والَّتى حولها بقدرة قادر إلى توارث أبنائه للحكم واعتلاء العرش بعد موته وبذلك تحولت الخلافة منذ معاوية إلى النظام الملكى، أما العجيب والغريب فى الأمر أنه لم يقتص من قتلة عثمان كما كان يطالب بذلك كشرط لمبايعة سيدنا على، أما الأعجب فيكمن فى أنَّه عندما طالب علىٌّ بذلك، كانت إجابة علىٍّ بأنَّ الوقت ليس مُناسبا لذلك، وعندما سأل النَّاس مُعاوية بعد أن اعتلى للعرش، متى سيقتص من قتلة عثمان؟ أجابهم بما أجابه به سيدنا علىٌّ بأن الوقت غير مناسب، وسبحان الله. كما أنَّ اعداد الأخطاء

كانت كثيرة، وقد تحلى الرئيس الإخوانى بالشجاعة مرةً وأعلن فى إحدى خُطبه ـ التى كانت قبل الإطاحة به مباشرة ـ اعترافه باقترافهم لأخطاء عديدة، وهذه الأخطاء كانت واضحة بصورة جلية أمام الشَّعب والمراقبين، وأرى عدم استهلاكنا للوقت فى ذكرها بل أرى أنه قد حان الوقت لنا جميعاً لمواجهة أنفسنا بأنفسنا، والابتعاد عن النفاق واللف والدَّوران لإيجاد حججٍ ومبرراتٍ للأخطاء وفداحتها.

- إذاً فأنت تنادى الجميع بالتَّنازل عن متاع الدُّنيا، وترك الفتن التى تضر بالبشر والحجر ببلادنا، والعمل لوجه الله كما أمرنا بقرآنه وكما وجهنا رسوله الكريم برسالته وسنته.
- أنا لا أنادى بذلك فقط سيِّدى؟ بل أصرخ حتَّى يسمعنا كل من يتنفسون بهذه الأمة وأخبرهم أنَّ الحروب الموصوفة بالدِّينيَّة لهى أخطر أنواع الحروب، وليقرأوا ما كتب فولتير وغيره من الكُتَّاب المسيحين الَّذين أرادو إصلاحاً، عن فداحة الحروب الطَّائفية بأوروبا، حيث كان الرجل يقتل أباه وأخاه وابنه لمجرد أنهم ينتمون إلى طائفةٍ غير الَّتى ينتمى إليها بنفس الدين، وحسبُنا فى هذا قول رسولنا: دم المُسلم على المسلم حرام، وكما قال أيضا: "لزوال الدُّنيا أهون على الله من قتل رجُلٍ مسلم"، كما قال صلى الله عليه وسلم: " لا يُشِرْ أَحَدُكُمْ إلى أخيهِ بالسِّلاح ، فإنَّهُ لا يَدْري لعلَّ الشَّيْطانَ يَنْزِعُ في يَدِهِ ، فَيَقعَ في حُفْرَةٍ مِن النَّار" وأيضا " مَنْ أشارَ إلى أخيهِ بحديدَةٍ ، فإنَّ الملائِكةَ تَلْعَنُهُ حتَّى يَنْزِعَ ، وَإنْ كانَ أخاهُ لأبيهِ وأمِّهِ". واسمحلى سيِّدى بهذه المناسبةَ أن أنَّبه كلَّ مُسلمٍ للبرامج الَّتى انطلقت عبر وسائل لا يمكنك التعامل معها بحظرها كمًا اعتدنا على ذلك فى الماضى القريب، إذ كان من اليسير أن تُقاضى المؤسسات الدِّينيَّة لشخصٍ ما بتهمة ازدراء الأديان أو الإساءة إليها، أو إلى رمزٍ من رموزها، وأعتقد أن من أوائل هؤلاء كان الدكتور طه حسين حيث كان مُتَّهما بتكذيبة للقرآن صراحة بكتابه "فى الشعر الجاهلى"، حسبما ادَّعوا حيث كتب

فيه " للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا، ولكن ورود هذين الأسمين فى التَّوراة والقرآن لا يكفى لإثبات وجودهما التاريخى، وقد تعرض بالفعل للتحقيق وقررت النيابة فى نهاية التحقيق بحفظ الأوراق إداريًّاً. والآن هناك العديدين ممن يتناولون ما تناوله طه حسين بكتابه على نطاق أوسع وعبر أفواه عربية عديدة وأغلبهم من المسلمين، فمنهم من يُشكِّك فى كتب الأحاديث وبخاصة البخارى ويذكرون أحاديث يدَّعون بإنها تخالف العقل والمنطق، بل وأحيانا تخالف وتتعارض مع القرآن نفسه، وأكاد أظنُّ أن هناك من اقتنع بحججهم، وهناك من اكتفى باتهامهم بالزَّندقة والإلحاد، وعلى الجانب الآخر تسمع العديدين على اليوتيوب منهم من يدعى أنه وُلد مُسلم ثُمَّ ارتد وبدَّل دينه وبدأ يشنُّ حملة شعواء على الإسلام والقرآن ثُمَّ يدَّعى أن القرآن ما هو إلا كتاب كتبه محمد بنفسه وليس موحىً إليه من ربه كما يدَّعى، وهناك من يدَّعى أنَّ الإسلام دينٌ يدعوا إلى الإرهاب مستندا للآية الكريمة الَّتى تقول "تُرهبون به عدو الله وعدوَّكم"، وكلمة وفعل ترهبون هنا دليل على إرهابية الدِّين، ويستغلون فى ذلك العمليات التَّفجيريَّة الَّتى تقوم بها بعض الجماعات ببعض دول العالم وأغلبها تكون بالبلاد الإسلامية ذاتها، والَّتى ينتمى إليها هؤلاء الإرهابيون، ويبدو أن هذه الأبواق قد نجحت بهجومها المتواصل والمتكرر أن تضع علماءنا فى وضعٍ دفاعيٍّ يحاولون فيه الردَّ ببعض الآيات والأحاديث الَّتى تحرم مثلَ هذه الأعمال، وعقدت الكثير من المناظرات الَّتى لم تكن كما رأيت شافية أو كافية لإقناع المهاجمين، وأرى أنه لا مناص من اهتمام كلِّ من يتصدَّى للوعظ والإرشاد الدِّينى بقراءة كافة الكُتب السَّماويَّة وأخص هنا الأنجيل والتَّوراة حتَّى إذا هاجم أحدٌ للإسلام بآية فيه، يردُّ عليه المُناظر بآية مماثلة من كتابه، ولا يكتفى باتِّهامه بأنَّه حاقدٌ على الإسلام وكفى، أو بالرَّدِّ عليه بآيات أخرى من القرآن وهو غير مؤمنٍ

بالقرآن من الأساس، فأنا أتوقع شراسة مثل هذه الهجمات وعلى نطاق أوسع حيث بدأ الناس وكذلك المؤسسات بالعالم الغربى يلاحظون تزايد أعداد التَّاركين لدينهم واعتناقهم للدِّين الإسلامى بأعدادٍ مقلقة، والشَّيء البديهى هنا أن يصاحب هذا التَّزايد تزايد مجهودات تلك المؤسسات للهجوم على الدِّين الإسلامى، وأتمنَّى أن تتوقف تلك المواجاهات والحروب الَّتى تبدو سلمية للآن، وأن يهتم المسلم بنشر سماحة دينة بصورتة الطَّيِّبة وكذلك يفعل المسيحى، وقد أسعدنى رؤية محاولات كهذه بمصر أرى أنَّها جيِّدةٌ للغاية، كما أنَّ توقيتاتها مُناسبة تماما، وذلك لإفشال مساع من يقومون بالوقيعة بينهما، غير أنَّه ولله الحمد فالمسلمون والمسيحيُّون ببلادنا يعلمون المنهج القويم الَّذى أتى به سيدنا المسيح ـ عليه السَّلام ـ، والمنهج القويم الَّذى أتى به سيِّدنا محمدٌ ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

- بعد التحية سيدى المستشار لما تتحلى به من مشاعر إيمانيَّةٍ، ووطنيةٍ، لا تبتغى من ورائها غير الصَّلاح والإصلاح، والحُبِّ والأخاء بين الناس جميعا على كوكبنا، غير أنَّه يؤسفنى إحاطتك وإحاطة السَّادة المستمعين علماً باشتداد وتيرة الأعمال القتاليَّة فى كلٍّ من غزَّة والقطاع، والتى شبت بسبب اختيار الوزير الأميريكى لمن يقوم بتوقيع وثيقة الانسحاب الاسرائيلى من فلسطين، واستبعادهم لحركة حماس الَّتى هى مُصنَّفة لديهم كجماعة إرهابية، وقد انتشر منذ الأمس فيديوهات عديدة عبر المواقع المختلفة على اليوتيوب تصور المصادمات الدامية بين المنتمين لفتح من جهة والمنتمين لحركة حماس من جهة أخرى، وسنقوم الآن بعرض إحداها والذى سجل أعلى نسبة مشاهدة على الإطلاق وأكثر الفيديوهات حيازة على تعليقات كتبت بدموع كاتبيها ممن شاهدوا ذلك الفيديو الذى عرض جانبا من حرب الشَّوارع التى نشبت واشتعلت بين الفلسطينيين على اختلاف انتماءاتهم بكلٍ من غزَّة والضِّفة الغربيَّة، ويعرض الفيديو

لميدانٍ رِّئيسيٍّ بغزة يعجُّ بحركة المقاتلين من مُهاجمين ومن هاربين منِ الَقتل فى هلعٍ، ومن مُسلَّحين، ومن عُزَّلٍ من السِّلاح، ومن الطَّبيعى أن تتضاءَل حركة المواطنين إلَّا للضَّرورة القصوى، ومن نوافذ أحد المنازل التُقت ذلك الفيديو الذى بدأ بعرض شيخ بدا طاعنًا فى العمر، ربَّما كان قد تجاوز الثمانين وهو يُغادر باب دَاره متوكِّئاً بصعوبة بالغة على عصاه، انطلق سائرًا ببطءٍ حتَّى بلغ ناصية أحد الشوارعِ المتفرعةِ من الميدان والَّذى لم يكن بعيدا عن مسكنه، توقف الشَّيخ مُطِلًّا على الميدان بجوار صبى لا يتجاوز العاشرة من عمره، كان يقف خلف طاولةٍ صغيرةٍ مُتواضعة وضع عليها صندوقا صغيرا من الكرتون يحفظ فيه أكياس المناديل الَّتى يبيعها للمارة، مُحتمياً بجدار أحد المنازل على ناصية الميدان وكان الوقت صباحًا وفجأة علتِ أصوات طلقات الرَّصاص هنا وهناك، أمسك الشَّيخ مُكبرا للصَّوت كالَّذى يستعمله المتظاهرون فى هتافاتهم وبدأ ينادى بصوته الضعيف واضعا مُكبر الصَّوت قبالة فمه قائلا: أيُّها الأخوة، أيُّها المُسلمون، تذكَّروا قول رسولكم الكريم، دم المُسلم على المسلم حرام، توقَّفوا يرحمكم الله. وأخذ يردد ويكرر نداءه، أيُّها الأخوة، أيُّها المسلمون، تذكَّروا قول رسولكم الكريم، دم المُسلم على المُسلم حرام، توقفوا يرحم.. ولم يُكمل جملته إذ أصيب بصدره بطلقٍ نارىٍ من مكانٍ قريب، سقط الشَّيخ على الأرض مُضرجاً بدمائهِ الَّتى انطلقت كنافورة من صدره، هنا هرع الصَّبى بائع المناديل إليه حاملًا صندوقه الكرتونى الصَّغير الَّذى يحفظ فيه مناديله وجثى إلى جوار جثَّة الشَّيخ حيث أجلسه على الأرض ووضع رأسه على صدره وبدأ بفض أكياس المناديل وقطعها بسرعةٍ ليخرج منها المناديل ويضعها على مصدر النَّزيف مُحاولًا وقفه ومنعه حفاظاً على حياة الرجل، ولم يتوقف النَّزيف بينما انتهت المناديل، فخلع الصبى قميصه وكوَّمه بيده ووضعه على صدر الشيخ وأيضا لم يفلح بذلك فى وقف نهر

الدماء المتفجر من قلب الرجل، وقف الصبى يبكى ويصرخ مُنادياً للنَّاس طالباً للمساعدة، مناديا نجدة ياهل الله، إسعاااااف، هنا خاطبه الشيخ: توَّقف بنى، توَّقف ولا تجزع فلست ذى قيمةٍ ببلادنا، هناك العديد من الشَّباب قد فقدوا حياتهم من أجل وطننا، فلا تحزن من أجل شيخٍ طاعنٍ فى السنِّ، أرجوك بنىَّ خذ مُكبر الصوت وواصل ندائى لعلهم يسمعونك، فلم يكن صوتى قوياً حتَّى يسمعوه.

هنا ضم الصبى الشيخ إلى صدره وقال:

- **أرجوك جدِّى توقف عن الكلام، يبدو لى أنَّك تحتضر.**
- **لا تبكِ بُنى ولا تحزن فقد سبقنى إلى الموت آلاف أكثر منِّى فائدةً فى الحياة.**
- **أرجوك جدِّى توقف، يبدو أنك تتألم ألماً شديداً من شدة إصابتك.**
- **إطمئن بُنى ففى أوطاننا تكون لحظة موتنا هى أسعد لحظات الحياة.**
- **بكى الصبى وتعالى صوته بالبكاء وطالب الشيخ بالتوقف عن الكلام، فوعده الشَّيخ بالتَّوقف راجياً له أن يتناول مُكبِّر الصَّوت الَّذى سقط بعيداً عنه عقب إصابته لاستكمال ندائه للأخوة بالتَّوقف عن القتال، ثُمَّ رفع سبابته وقال: أشهد أنَّ لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، وسقطت رأسه فأراح الصَّبى جسد الرَّجل على الأرض وهرع ليلتقط مكبر الصوت رافعا إياه صوب فمه، وبدأ ينادى من بين دموعه وهو يقترب كثيرا من أماكن إطلاق الرَّصاص دون أن يدرى، وكأنَّه أراد أن يُسمع نداءه لكل مُقاتلٍ على حده: أيُّها الأخوة، أيُّها المُسلمون، تذكَّروا قول رسولكم الكريم، دم المُسلم على المُسلم حرام، توقَّفوا يرحمكم الله، توقَّفوا يرحمكم الله، وأخذ يردد ويكرر نداءه، أيُّها الأخوة، أيُّها المسلمون، تذكَّروا قول رسولكم الكريم، دم المُسلم على المُسلم حرا... وفجأة توقف النداء إذ سقط الصبى على الأرض إثر اختراق طلق نارى لقلبه فحمله أحدهم ليضع جسده إلى جوار جسد جدَّه الشَّيخ.**

السيرة الذاتية للكاتب:

الأسم : يوسف أبو شادى
كاتب وشاعر
الإقامة : القاهرة
المهنة : مهندس مدنى

قمت بتصميم والإشراف على تنفيذ عددٍ من الفنادق والفيلات بمدينة دهب بمحافظة جنوب سيناء.

النشاطات الأدبية : قمت بحضور العديد من الندوات الأدبية بدعوة من السادة جمعية أدباء وشعراء مصر وقد تم اختيارى لرئاسة مجلس إدارتها وقد اعتذرت عن قبوله لعدم تفرغى.

وكذلك حضور ندوات بدار أدباء مصر.

ومجلة همس مصر.

ومجلة أمواج وبحار للشعر والثقافة.

صالون الشاعر والإعلامى السيد حسن بدار الأدباء.

صالون الشاعرة تغريد فياض الثقافى اللبنانى.

حضور احتفالات محافظة جنوب سيناء بعيدها القومى.

حضور فعاليات مثل يوم اليتيم ويوم الشهيد وكافة المناسبات الوطنبة وقد قمت بإلقاء قصائد بكل هذه الصالونات والندوات والاحتفاليات.

كما منحت العديد من شهادات التقدير وكذلك الحصول على المركز الأول ببعض مسابقات الشعر الخاصة بالمجلات والمنتديات التى تضم كبار الشعراء والأدباء. كما أحرص على حضور كافة الفعاليات والمهرجانات التى تقيمها مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر

والتوزيع لما يتحلى به القائمون على إدارتها من مصداقية وأمانة مهنية وحرفية فيما تتعهد وتعد به.
كما يقوم بإلقاء أشعارى الأستاذ حمزة الأغا والذى أعتبره من أروع من يلقى شعرا على اليوتيوب إذ يقتصر إلقاؤه على كبار الشعراء أمثال الأستاذ الشاعر قبانى، والأستاذ الشاعر فاروق جويدة، والأستاذ الشاعر عبد العزيز جويدة، وغيرهم من مشاهير الشعراء.
كما أن لى قناة باسم يوسف أبو شادى عليها العديد من قصائدى.
أعمال تم طباعتها:
" كتاب حوارى مع روح الخيام حول رباعياته " الصادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

تحت الطبع :

ديوان شعر أسياد حارتنا.
ديوان شعر المُلك لكْ.
قصة حب وأشعار مجنون رويدا.

صفحتى على الفيس بوك : الكاتب والشاعر يوسف أبو شادى
قناتى على اليوتيوب : يوسف أبو شادى
إيميل :
s.m_yousef@hotmail.com
netmedo@yahoo.com

محتوى الكتاب

فيس بوك ويو تيوب : يوسف أبو شادى

إيميل: s.m_yousef@hotmail.com

netmedo@yahoo.com

